الشهيد الممتحن
الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

تأليف

السيد محمد علي الحلو

الكلمة الطيبة

www.aljawadain.iq

الشَهِيدُ المُمتَحَن

الإمَام مُوسَى بن جَعفَر عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٤٧٦) لسنة ٢٠١٤م

هوية الكتاب

اسم الكتاب: الشَهيد الممتحن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

المؤلف: السيد محمد علي الحلو.

الناشر: الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة – الشؤون الفكرية والثقافية

المطبعة: دار الرافدين - بيروت.

التاريخ: ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

موقع العتبة: www.aljawadain.org للمراسلة: fikriya@ aljawadain.org

الشهيد الممتحن

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

تأليف

السيد محمد علي الحلو

العتبة الكاظمية المقدسة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة الناشر

الحمدُ لله على ما أنعم، والشكر له على ما ألهم، والمنّة إليه لما أتم، والصلاة والسلام على خير النبيين وكمال عدة المرسلين ونور قلوب المؤمنين محمد المصطفى صلى الله عليه وآله الطاهرين وأصفياء الله المخُلَصين وعباده المُمتحنين، لا سيما العبد الصالح موسى بن جعفر عليه السلام، وبعد..

فإن من نعم الله على عباده أن جعل لهم حججاً يهدون إلى أمره، ويرشدون عباده الضالّين، وقد شاءت حكمته عز وجل أن يكون هذا الحجة إما ظاهراً واضحاً، أو غائباً مخفيّاً، ومن خلال استعراض حياة الإمام الزاهد موسى بن جعفر عليه السلام نجد أنه قد مرّ بهذين الدورين (الظهور والخفاء)، ويمكننا القول بأنه أول إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام مَن شرَعَ بمسألة التمهيد للغيبة الكاملة التي نعيشها اليوم.

ولوجود الحاجة الماسة إلى التراكم المعرفي في ثقافة الأمة والأجيال، وغياب أهم الأحداث والتفاصيل التي مرّت بإمامنا الممتحن والشهيد المهتضم موسى بن جعفر عليه السلام؛ وذلك لعدة أسباب أهمها أن أقلام الباحثين والكتاب لم تكن توثق وتحلل بصورة مستفيضة تلك الأحداث التي مرّت عليه، ولوجود التعتيم العلمي والمعرفي بخصوص الحوادث التأريخية التي عاشها، فإن (الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة) تسعى إلى استقطاب العلماء والباحثين في الكتابة والبحث

والتحقيق في ضمن هذا الإطار لتعزيز النتاج المعرفي الخاص بالإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

وهذا البحث الذي بين أيدينا ما هو إلا خطوة تضم إلى باقي الخطوات التي سعت من خلالها إلى توثيق المعارف والعلوم كافة المرتبطة بالإمام الهمام موسى بن جعفر عليه السلام.

فكان هذا الكتاب الموسوم بـ (الشهيد الممتحن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام)، لسماحة السيد محمد علي الحلو، حيث استعرض بلغة علمية وصفية تحليلية المراحل التي مرّ بها الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وما عاشه من إرهاصات بالغة الصعوبة والشدة، مع الأمة والحاكم.

وآخراً لا يسعنا إلا تقديم الشكر والامتنان لسماحة السيد محمد علي الحلو على ما بذله من مجهود علمي في إخراج هذا الكتاب، داعين المولى عز وجل أن يديم تأييداته وفيوضاته عليه، وأن يجعله من خدام الدين والشريعة ومذهب أهل البيت عليهم السلام إنه سميع الدعاء.

الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الكاظمية المقدسة

المقدّمة

القضيّة الحبيسة

«القضيّة الحبيسة» بين جدران السجن العبّاسي وبين حواجز المؤرّخين، تلك القضية التي لم يزل السجّانون يخفونها بين زوايا الجدران المظلمة، ويطمرونها في ظلمات طوامير هارون، لكنّها تنبثق بانبثاق تراتيل «موسى الإمام عليه السلام» على وقعات رنّات القيود الحديدية التي لم تعق حركة الإمام وهو يبتهل إلى الله في صلاة الخاشعين، وسجود الشاكرين، ولم تخفِ صوت الإمام أسوار القصر العبّاسي بأبوابه الموصدة على موسى عليه السلام حتّى يخترق صوته مسافاة الزمن وأسماع الدهور، وإذا كانت قصّة سجنٍ مظلمٍ تحت طوامير القصر العبّاسي فإنّ منائر بغداد الشاهقتين تؤذّن في الناس ليأتوها من كلّ فجّ عميق، فتطوف الأرواح قبل أبدان المحتشدين على نفحات قبر الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، تتضرّع بصمت مذهول، ممّا أحال هذه السجون إلى شاهقات الخلود.

«والقضيّة الحبيسة» بين أخبار المؤرّخين وتبريرات المعتذرين تأخذ أبعاد الحديث إلى مساحات شاسعة من التاريخ؛ لتشغل رقعة الزمن العتيد فتندرج ملاحم الصمود، ومواقف التحدّي، ومسلات الأخلاق، ومدوّنات الأحكام إلى غيرها من سيرةٍ عطرةٍ بنكهةٍ محمّدية، تعيد إلى الأذهان مجد «محمّد النبي» صلى الله عليه وآله في دعوته ورسالته، يوم كانت قريش تحاصره بين أسوار العصبية وحدود الجهل المقيت، كما هي يومذاك تحاصر «موسى الإمام عليه السلام» في زنزانات هارونية تشمّ منها رائحة الحقد على محمّد وذرّيته، يوم أطلق العبّاس جدّهم في حربه القرشية، فصار الطليق، وهم اليوم أبناء الطلقاء لا ينصاعون إلى مجدٍ عتيد يتزعّمه محمّد صلى الله عليه وآله وذرّيته النجباء.

«والقضيّة الحبيسة» لم تزل طليقة التحدّي يؤرّخها الكثير، ويقرّضها الأكثر؛ لتحكي حياة العابد القدّيس يتمتمُ كلمات الشكر لله، ومن جهة ثانية تسمع

صيحات القصر الهاروني في نصف الليل على أنغام العبث ووقعات المجون، وهارون يثمل بفتاوى فقهاء البلاط ليعبّ من خمور «الخلافة» عبّاً على أنغام ماجنةٍ يترنّح «الخليفة» بين صبايا القصر وجواري الغناء.. وإذا كان الأمر كذلكً فمتى تنطلق قضيّة موسى الإمام عليه السلام الممتحن في روايات المحدّثين وأخبار الرواة؟! ومتى تنتهي أعذار المعتذرين عن هارون صاحب «العصر الذهبي» الذي أطلقته أقلامهم تحسيناً لوجهٍ قبيح، ابتلى به هارون، وأبلته حقائق التاريخ التي تراهن على قداسة «أهل البيت» لكنّه العبّاسي.. يوم كان يروي أبو جعفر الدوانيقي «مثل أهل بيتي كسفينة نوح..» ليمنح نفسه وأهله قداسة المصطفين فيرفعهم إلى مصافي العلّيين دون تحرّج في دين أو تدبّر في حديث، فيقارع في ذلك آل علي الأقربين ويعاند حقائق الدين ومبادئ الشرع القويم.

ولم تعد «القضيّة الحبيسة» ملحمة الإمام الممتحن موسى بن جعفر عليهما السلام مرهوبة بدعاوى المؤرّخين، وتجنّي المدّعين، فإنّها اليوم تنطلق كما انطلقت بالأمس على وقع حلقات القيود الحديدية في مشهدٍ جنائزي مهيب يبدأ من جسر بغداد على أنغام أمواج دجلة الحزين لينعاه شاهداً وشهيداً، فتكتمل الصورة الحزينة وتحال رنّات القيود الحديدية إلى إهزوجة الخلود.

محمّد علي السيّد يحيى الحلو

النجف الأشرف ٣٠ محرّم الحرام ١٤٣٥

شهيد بغداد

الأبواء؛ منطقة تنتسب إلى جبل شامخ سمّي باسمها، أو هي نسبت إليه، وقد شمخت من قبل بقبر لسيّدة ولدت خير أهل الأرض محمّد ﷺ ذلك هو قبر آمنة بنت وهب، واليوم تشمخ بسيّدة أُخرى تلد خير أهل الأرض «وهو خير من برأ الله في خلقه» كما قال أبوه جعفر الصادق عليه السلام واصفاً به ذلك الوليد؛ أنّه موسى ولده عليه السلام؛ القادم من آفاق الغيب مع بشارة النبي جدّه حينما عدّ أوصياءه من بعده وكان موسى عليه السلام سابعهم.. كانت الأبواء تميس فرحاً، تترنّم على إيقاعات ثنايا الأب، تتربّع على فمه الطاهر ابتسامة الفرح، بما أنعم الله عليه من كرامة الله في هبته لمولود «ليس بينه وبين الله حجاب» فإنّ حميدة الآن تحظى بمقام لا يدانيها أحد كما حظيت من قبل بوصف الإمام لها «حميدة مصفّاة من الأدناس، كسبيكة الذهب، ما زالت الأملاك تحرسها حتّى أُدّيت إليّ، كرامة من الله لي والحجّة من بعدي».

هكذا كانت ترنّ هذه الكلمات أصحاب أبي عبد الله الصادق عليه السلام الذين كانوا يتابعون حركات الإمام وهم على الغداء، إذ جاءه الخبر من حميدة «إنّ الطلق قد ضربني» وقد أمرتني «أن لا أسبقك بابنك هذا.

فقام أبو عبد الله عليه السلام: فرحاً مسروراً، فلم يلبث أن عاد إلينا حاسراً عن ذراعيه، ضاحكاً سنّه، فقلنا: أضحك الله سنّك، وأقرّ عينك، ما صنعت حميدة؟

فقال: وهب الله لي غلاماً، وهو خير من برأ الله، ولقد خبّرتني عنه بأمر كنت أعلم به منها.

فقلت جعلت فداك، وما خبّرتك حميدة؟

قــال: ذكرت أنّه لمّا وقــع من بطنها واضعاً يديه على الأرض، رافعاً رأســه إلى السماء، فأخبرتها أنّ تلك أمارة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمارة الإمام من بعده..»[1].

لقد كانت ولادةً عظيمة من أُمّ مصفّاة من الأدناس «كسبيكة الذهب» حميدة بنــت صاعد البربري، أو هي أندلســية كما يقال كنّيت بلؤلــؤة، وأيّاً ما كان فإنّ الانتســاب لهذه القومية أو تلك العصيبة لا يغيّر من قضاء الله أمر، فإنّ الأمر لله يضعه في من يشــاء، فقد أرادت هذه العُلقة النســبية بين أقدس بيت في العرب الهاشميين وبين أقصى مكان أندلســي يرتفع شــأواً من بين بيوتات البربر، أو حتّى من عامتها، فإنّ معادلة النســب العتيد لا تتغيّر في حجج الله، أُولئك المصطفون الذيــن انتجبهم الله وأورثهم الأرض وما عليها.. إلّا أنّها تعتلج في ســرّ الأشــياء المغيبة معادلة الغيب لترتفع فيها كلّ الأســباب الموجبة لتشــكيل لياقة الانتساب، تســتحيل عند ذاك إلى حالة غير ذي جدوى إلّا أنّها ســترمي إلى غاية إنســانية قصوى لا يدركها المنتفخون بقوميتهم، ولا يستسيغها ذوو الأفواه المضمّخة بلعاب القبلية.. فإنّ الإنســانية بغاياتها المثلى ســتملي على أصحابها فهم الأسرار وفكّ رموز أسبابها، وتلك هي ريادة المعرفة في الانفتاح على بصائر السنن وانتهاج أمثلها أو قل أحسنها.. فالانتساب إذن لا يغيّر من أمر الإنسان شيء ما لم يكن مثقلاً بالقيم، أو معزّزاً بالثوابت، أو مدركاً لغايات الغيب بشــأنها المنفتح على النفس.. تلك إذن هي غاية العُلقة بين بيتين هاشمي عربي، وبربري أندلســي يتجاذبه ســرّ الغيب ليحظى بالإذعان والتســليم إلّا أنّها تكشــف عن رفع حواجز الانتســاب القبلي الذي لا يرفع من وضعه الله، ولا يضع من رفعه...

* * *

(١) البحار، المجلسي، ٤٨: ٢ ح٢.

كانت سنة ١٢٨هـ ولادة موسى عليه السلام ولعلّها هي سنة ولادة الزهو العبّاسي في دعوته، حيث كان موت هشام بن عبد الملك بمثابة نقلة في نجاح العبّاسيين لدعوتهم، فهشام هذا مفترس فظ غليظ لا يتعامل مع خصومه بالرحمة كأي خليفة أموي تستدعيه عنجهية الملك «وشرعية» الخلافة في الفتك بخصومهم بل والتنكيل بهم، ولعلّ لثورة زيد بن علي انموذج الثورة المطاردة بقائدها وأتباعه، ولم يعرف التاريخ تنكيل أبشع من تنكيل هشام بخصمه «زيد» حيث تركه مصلوباً لأعوم أربعة دون غطاء ولا وطاء.. هذا هو هشام ذلك الأموي الذي جهد بتثبيت دولته على جماجم الخصوم، واليوم ستجد دولة آل أبي سفيان وآل مروان نفسها محاصرة بدعوة هي أقرب إلى قلوب الناس من نزوة الملك وطيش السفهاء، فإنّها دعوة تتقرّب بشعار «الرضا من آل محمّد» وقد أنِست الناس إلى ذلك بعد غِلظة الأمويين وتعسّفهم بحقوق الناس وحرماتهم، تلك هي دعوة بني العبّاس التي تزعّمها أبو هاشم بن محمّد بن الحنفية المغتال على أيدي الدعاة العبّاسيين بزعامة محمّد بن علي بن عبد الله؛ ليكون زعيماً لا ينازعه من آل علي أحد[١].

هكذا تجري الأُمور بين منازع للأمر وبين حريص عليه ليسلّمه إلى آل علي الذين لم تغرّهم عروض الكوفي الطموح أبو سلمة الخلّال وقد انفصل بدعوته العبّاسية عن أُصولها ليوجّهها إلى آل علي برسائل ثلاث أحدها إلى جعفر بن محمّد، والأُخرى إلى عبد الله المحض، والثالثة إلى عمر الأشرف بن زين العابدين[٢]، يسألهم أن يستجيبوا لدعوة الخراسانيين الذين يرون الحقّ فيهم، فكان حظّ دعوة الخلّال من الإمام الصادق أن أحرق كتابه في سراج كان أمامه فكان هذا جوابه عليه السلام لأبي سلمة الذي لم يره من شيعته كما عبّر بقوله: «وما أنا وأبو سلمة؟ وأبو سلمة شيعة لغيري»[٣].

(١) أُنظر كتابنا الإمام الجواد عليه السلام الإمامة المبكّرة.. وتداعيات الصراع العبّاسي: ص١٦.

(٢) جهاد الشيعة، سميرة الليثي: ١٠٣.

(٣) المصدر السابق: ١٠٤.

وهكذا تفاقمت دعوة العبّاسيين وهي تسير إلى النصر سريعاً حتّى وقفت على أعتاب دولة يتزّعمها اليوم أبو العبّاس السفّاح عبد الله بن محمّد بن علي.

كان أبو العبّاس السفّاح منشغلاً في تشييد دولته عن خصومه التقليديين آل علي، ليصرف نظره عنهم وينشغل بملاحقة فلول الأمويين وذيول بني مروان بعد أن أذاق «مروان الحمّار» آخرهم مرارة التنكيل، ومطاردة الباقين؛ ليذيق وبال عاقبتهم.

سنتان عبّاسيتان؛ لم يذق فيها آل البيت مظاهر التعسّف العبّاسي، بل كان الحقد يغلي في قلوب العباسيين حتّى يأذن لهم ظرف الدولة التي لا تزال في ريعانها؛ ليقتصّوا من آل علي أُولئك الذين أقلقوا العبّاسيين ليتمثّلوا في خواطرهم معارضة السلطة وينسج لهم خيال الحكم تهديد الدولة.. فهم إذن على موعد مع أبي جعفر المنصور الذي خلّف أخاه السفّاح بعد موته سنة ١٣٧هـ، تلك السنة التي تربّع المنصور على عرش الملك وقد أقلقه أمر أبي مسلم الخراساني الذي وطّد لهم البلاد، وأذلّ لسلطانهم العباد، فنال جزاء التنكيل ونهاية القتل على يد أبي جعفر كأي أحد ممّن مالأ السلطان، إذ لم يستقم أمر لأبي جعفر مع أبي مسلم الخراساني، كما لم يستقم أمر لأبي جعفر مع آل علي أُولئك الذين نظر إليهم الناس أنّهم أحقّ بالخلافة فإنّ «الرضا من آل محمّد» الذي طالما تبجّح به العبّاسيون كأبي جعفر المنصور أمام بني مروان فأزالوا دولتهم بـ «الرضا من آل محمّد».

* * *

بات هذا الشعار مقلقاً لأبي جعفر المنصور، فمجرّد التذكير به يعني التذكير بشرعية آل البيت في الخلافة، وما أبو جعفر وغيره من بني العبّاس في نظر الناس سوى منتزين على الحكم، مبتزّين الحقّ وآل علي موجودون...

فذاكرة الأُمّة لم تبتلِ بالنسيان، ولم توهمها شعارات بني العبّاس، فقد كان العبّاسيون يتقمّصون النسب النبوي ويتكأوون على مشاعر الناس التي قبلتهم على أنّهم آل النبي ليتمثّل أبو العبّاس في خطبته الأُولى وهو يعتلي منبر الخلافة ليتلو: ﴿ثَمَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وقوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ وقوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى﴾ وقوله تعالى: ﴿اعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى﴾ خزين قرآني يلقيه أبو العبّاس على أسماع الناس ليشتري به محبّتهم ويستعطف بذلك قلوبهم، وأنّى له هذا والناس لم يغرهم ادّعاء، ولا يضلّهم إغواء، فإنّ آل علي هم أهل تلك الآيات، فيهم نزلت وعليهم حطّت.

وكيف يقرّ لأبي جعفر قرار ومحبّة الناس لآل علي تنازعه ما تقمّصه من رداء، فإنّ ذلك لا يستر عورة أبي جعفر التي تكشفها دعاواه في الخلافة، ولم يقرّ له قرار وآل علي يتمثّلون بجدّهم النبي ﷺ، خَلقاً وخُلُقاً، وعلماً ومنطقاً، وشجاعة وزهادةً، وحلماً وعفواً، وكرماً وجوداً، وسخاءً وبرّاً، فهم رحمة للعالمين، خلفاء ميامين، أئمّة مصطفون، ومَن هم آل العبّاس سوى أتباعاً لآل علي يتسكّعون على اسمهم، ويقتاتون على فضائلهم، ويتعيّشون على ذكرهم، هذه هي نظرة الأُمّة للفريقين، وتلك هي مشاعر الناس تطبعهم فطرة الخير ليقتفوا آثارها، وتعتليهم نزعة الإحسان ليتبعوا أخبارها، وبين الآثار والأخبار تعتلج فيهم جذوة الضمير، والقوم من بني العبّاس تعتلج عندهم جذوة الحقد، فشتّان بين ضمير حرّ، وحقد سلطان.

هذه هي مسيرة الأحداث وذلك هو قدر الأُمّة ينالها حيف العبّاسيين المتربّصين بآل علي متى استقرّت بهم أُمورهم، وأبعدتهم عادية المعارضات عن لظى الصراع ليطيح «بشرعيتهم» المتزلزلة تحت أقدام المعترضين عليهم كعبد الله بن علي العبّاسي

الذي دعا إلى نفسه بالشام[١]، أو ثورة محمّد ذي النفس الزكية الحسني وأخويه إبراهيم وإدريس، أو تمرّد حتّى أبي مسلم الخراساني مهندس الدعوة الخراسانية لبني العبّاس الذي «أزمع على خلع المنصور ثمّ سار نحو خراسان فأرسل إليه المنصور يستعطفه ويمنّيه»[٢]، ولم يزل الأمر لم يتمّ لأبي جعفر حتّى تخلّص من معارضيه وأذاقهم وبال التنكيل وأفرط في تصفيتهم، فقتل أبا مسلم الخراساني «بمجازاة» لما بذله من تثبيت دولتهم بعد أن كان الناس يتخطّفونهم، وطاف برأس محمّد بعد أن كان مهديهم، وقاتل إبراهيم بعد أن لقّبوه بالإمام، هذا حال بني العبّاس من خصومهم، فأين هم من خصومهم «آل علي» الذين يرى الناس فيهم حقّ الخلافة وأهلية الدعوة فإنّهم «الرضا من آل محمّد»؟

* * *

كان العبّاسيون مرفوضين من الأُمّة على مختلف توجّهاتها، ولم يكن هذا الرفض مقتصراً على العلويين وشيعتهم، بل اتّفقت الأُمّة كلمتها على أنّ الأمر لم يستحقّه غير آل علي سواء الحسنيين، منهم أو الحسينيين وبما أنّ آل الحسين جنحوا إلى موقف «الثورة الصامتة» فإنّ آل الحسن اختاروا ثورة السيف ومقاتلة السلطة بكلّ ما لديهم من قوّة. وسنشير إلى معنى «الثورة الصامتة» فيما بعد.

وما يعزّز الرأي الذاهب إلى نقمة الأُمّة على العبّاسيين هو موقف أئمّة المذاهب الإسلامية من ثورة إبراهيم الإمام، تلك الثورة التي أطاحت بهيبة العبّاسيين وهو في بادئ أمرهم، وإبراهيم بن عبد الله الذي لقّبه المنصور بالإمام، ومن قبله محمّد ذي النفس الزكية وقد أطلق عليه المنصور بالمهدي، يخرجان ليعلنا ثورتهما على العبّاسيين ذي الشرعية المزوّرة، أو الدعوة غير المنسجمة مع «الرضا من آل محمّد»، بل هو طموح سياسي ينفذه أهل المطامع والمصالح.. وإذا كان الناس قد استهوتهم

(١) أُنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ١: ٢٠٥ أحداث سنة ١٣٧.

(٢) نفس المصدر.

دعاوى العبّاسيين من قربهم النَّسبي إلى النبي ﷺ، فإنّ الحسنيين بقيادة محمّد وأخيه إبراهيم يكذّبون هذه الدعوى ويختلسون البيعة المزوّرة التي أخذها العبّاسيون من الناس بحجّة «الرضا من آل محمّد» فهم اليوم -أي وآل الحسن يزهقون هذا النصر العبّاسي المزيّف بثورة تتبعها ثورة، وتمرّد يردفه آخر، وقطيعة يعتريها التذمّر، واحتجاج يستعطف العامّة في الرفض لبني العبّاس أُولئك المنتزين على الحكم والمبتزّين الحقّ أهله...

فأحجار الزيت تشهد هزيمة العبّاسيين بثورة محمّد ذي النفس الزكية المقتول على أيديهم، ولا يعني قتل محمّد نصراً للعبّاسيين، بل هو بداية السخط العام ونهاية الدولة حينما تنتكس بخروج مثل محمّد، وهو دلالة التعثّر الذي يصيب تقدّمها، والتلكّؤ الذي يتحدّى قادتها، فمحمّد ذو النفس الزكية يمثّل شرعية العبّاسيين، وانفصاله إلغاءٌ لهذه الشرعية، وتحطيم لأُبّهة الملك الذي رعاه الأوائل من بني العبّاس؛ ليستبيحوا الحقائق ويستحسنوا التزييف.. وكانت لثورة إبراهيم الإمام أثرها في استقطاب الفقهاء، ومؤازرة أهل الفتيا من العلماء، وقد عدّ الاصفهاني فيمن عدّ من فقهاء الثورة وعلمائها ليقول: «ولم يتخلّف أحد من الفقهاء ومن هؤلاء الفقهاء عبّاد بن العوّام، وأبو العوّام القطّان، وكان الأخير من جملة محدّثي البصرة، وهو من أصحاب الحسن البصري»[١].

ولم يكن أبو حنيفة بمنأى عن الثورة فكان أحد اللاعبين لمناصرة إبراهيم الإمام ضدّ بني العبّاس فكانت بينهما مراسلات، وآل الأمر إلى أن يجهر أبو حنيفة بتأييد الثورة حتّى وصف ذلك الأصفهاني بقوله: «كان أبو حنيفة يجهر في أمر إبراهيم جهراً شديداً، ويفتي الناس بالخروج معه»[٢]، ولا عجب من افتاء أبي حنيفة لمناصرة إبراهيم الإمام فقد سبقه في التأييد الإمام مالك بن أنس حينما دعا للالتحاق بثورة محمّد ذي النفس الزكية في الحجاز، فعاقبه المنصور وكاد أن يكسر يده، ويستبيح

(١) جهاد الشيعة: ١٥٧.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٣٥٧.

إمامته، لولا شفاعة قلق المنصور من تعاظم أمر جعفر بن محمّد الصادق، ولابدّ أن يجعل المنصور قُبالة جعفر، ما يعزّز معارضة جعفر فاختار المنصور العفو عن أنس؛ لأنّ في أنس حاجة المعارضة لأمر جعفر وإمامته.

ولم يقتصر الأمر على فقهاء الدولة من معارضتهم لبني العبّاس وتأييدهم لكلّ خارج عليهم، بل تفاقم الأمر أن ينضوي تحت المعارضة من كان بالأمس يسعى إلى زوال حكم الأمويين، ولعلّ ثورة زيد وأتباعه مهّدت السبل لبني العبّاس من أن ينالوا حظوة الدعوة وزعامة الملك، وهم اليوم أي الزيدية يعيدوا الكرّة في ثورتهم على بني العبّاس، كما كانوا يعلنونها ضدّ آل أبي سفيان من المروانيين، فدخلوا تحت مظلّة إبراهيم التي أدخلت معتزلة بغداد ليكونوا ثوّاراً بعد ما كانوا منظّرين لأفكار لم تُدخل الثورة في حساباتها، ولا المعارضة في تجاذباتها لتقتصر على الجدل أحياناً والدليل أُخرى، فما الذي دعاها أن تلتحق بما لا يلتحق به الأسلاف من رجالاتها؟ وما الذي دعاهم إلى إشهار السلاح بدل إشهار الدليل بوجه خصومها؟ أهي شرعية إبراهيم الإمام في الخروج على المنصور؟ أم تجنّي المنصور على شرعية إبراهيم؟ أم كلاهما معاً؟؟

قال المسعودي: «ومضى إبراهيم إلى البصرة، فأجابه أهل فارس والأهواز وغيرهما من الأمصار، وسار من البصرة في عساكر كثيرة من الزيدية، وجماعة ممّن يذهب إلى قول البغداديين من المعتزلة وغيرهم ومعه عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب»[1].

ولم يزل يتسافل أمر المنصور ونار الثورات تأكل هشيم ملكه، إلّا أنّه أطفأها بوسائل القتل والتنكيل؛ لتبقى ثورات الهاشميين تسجّل سخط الأُمّة وغضبها على بني العبّاس وهم في بداية ملكهم...

(١) مروج الذهب ٣: ٣٠٨.

«الثــورة الصامتة» تعبيرٌ عن ثورات التغيير التي قادها أهل البيت لبناء الإنســان الفاضل، وتشييد المجتمع الأكمل، تلك الثورات التي بنى بها أهل البيت قواعدهم؛ لتحصّنهم من هزّات السياســة وتســابقات الســلطان التي صارت الأُمّة مسرحاً لتجاذباتهــا، وتهالكت من أجلها رجالات المناصب ورمــوز الحكّام، ولم يكن في وســع أهل البيت أن يقدّموا قواعدهم على مذبح التنافس السياســي؛ لتستحيل أتباعهم إلى تجارب الحاكم في تدشــين خطط المكر والخديعة، أو في تصفيات لا يحســنها إلّا ذوو السلطان، أو سماســرة الانقلاب، وما الذي يريد أن يضيفه أهل البيت إلى تاريخ الهزائم العبّاســية بثوراتهم سوى التذكير بسخط الأُمّة لبني العبّاس المرفوضين من كلّ الأُمّة وأنّ ملكهم لا ينقضي إلّا بانقضاء شــهوة الســلطان في نفوســهم، فإذا دبّ الضعف فيهم آل أمرهم إلى الســقوط، وقوّتهم إلى الانهيار، وبطشهم إلى ضعف، وخديعتهم إلى انهزام، والأمر في منظور أهل البيت لا يستحقّ ســوى الانتظار ليأخذ وقتهم المعلوم مأخذه، ثمّ ينتهي كلّ شيء ليبقى أهل البيت بشــيعتهم محفوظي الذمار، أقوياء الهمم، أشدّاء العزائم، تحفظهم مبادؤهم، وهم يحفظونها في تقيّتهم مرّة، وفي العزلة أُخرى، أو الثورة في بعضها، تبعاً لما تمليه عليهم ظروفهــم، وتفرض عليهم حكمتهم، وليس في الثورة طموح التغيير ما لم يســبقها بناء النفوس، وعزائم الهمم تتصاعد لتنمو فيهم دواعي الحكمة في اقتناص الفرص، واهتبال الممكن بما يضمن نجاح المشروع، وليس للتجربة في الإقدام شأن الثوّار، ما لم يكن للتهوّر مندوحة الاستعجال في استباق الأُمور، أو معذرة الإسراع في تقصّي المراد، والظفر بالمطلوب.

وهذا خالد الجوان يروي ما سمعه عن إمامه الكاظم عليه السلام في نصيحته له ليسمعنا مــن خلاله ما يراه أهل البيــت في ملك بني العبّاس، وما هــي إلّا مدّة أزِفت ثمّ قضت تفثها، واستحالت إلى تاريخ مهدور، لا يسع أصحابه إلّا استنهاض الحيلة الممزوجة بالمكر، واستحلال القوّة الممهورة بالغدر، والنكوص والخديعة.

قال خالد الجوّان: دخلت على أبي الحسن عليه السلام وهو في عرصة داره، وهو يومئذ بالرميلة[١]، فلمّا نظرت إليه قلت: بأبي وأُمّي ياسيّدي، مظلوم مغصوب، مضطهد في نفسي ثمّ دنوت منه، فقبّلت ما بين عينيه، وجلست بين يديه، فالتفت إليّ فقال: ياابن خالد نحن أعلم بهذا الأمر، فلا تتصوّر هذا في نفسك، قال، قلت: جعلت فداك والله ما أردت بهذا شيئاً، قال: فقال: نحن أعلم بهذا الأمر من غيرنا، لو أردنا أزف[٢] إلينا. وانّ لهؤلاء القوم مدّة غاية لابدّ من الانتهاء إليها، قال: فقلت: لا أعود أُصيّر في نفسي شيئاً أبداً، فقال: لا تعد أبداً[٣].

* * *

كانت «الثورة الصامتة» التي يقودها أهل البيت مبعث القلق العبّاسي الذي لا يجد ما يدين به أصحابها، ولا يجيد ما يحول دون رفض الأُمّة لملكهم، فالأُمّة تتعامل مع نقيضين، أحدهما مهزوم بسلب الشرعية منه، والآخر مقبول لما يمتلك من شرعية يجيز له أن يقرّر مصير الحاكم يوم يكون محكوماً بقرار المحروم المهتضم، والمهضوم المستكان، ولا يعني الاستضعاف سلب الإرادة، ولا تعني المسكنة خوار العزيمة، ولا الحرمان فقدان القرار، ولا كلّ ما يفرضه الحاكم استعباد المحكوم، بل الاستضعاف وثبة المجد يوم تعزّ الحيلة، والمسكنة وقار التخطّي برباطة الجأش، والحرمان يعني الحاجة إلى وجدان الذات، والعزيمة تنطلق من استعباد النفس لتبحث عن حرّية الاختيار، ولعلّي أصل مع القارئ إلى ما أُريد قطفه من ثمار البحث ما أصّله أهل البيت من أنّ القاعدة متى تكاملت نضجت، فكان لقادتها شجى المظلوم في حلق الظالم، كما عبّر المنصور عن الإمام الصادق «بأنّه الشجى المعترض حلقه»[٤] أي إنّ مبادئ الإمام ورسالته هي التي تعترض الظالم لتكون عقبة الثأر

(١) الرميلة: منزل في طريق البصرة إلى مكّة.

(٢) أزف الرجل عجّل وأزف الأمر دنا.

(٣) البحار ٤٨: ٤٩.

(٤) جهاد الشيعة: ١٩٤ عن تاريخ اليعقوبي ١١٧/٣.

لــكلّ مظلوم.. ولم يعد جعفراً مريحاً لأبي جعفر، فقــد كان الصادق منغّصاً لزهو المنصور وموهناً لنصره المفتعل.. ولم يزل أبو جعفر المنصور مرعوباً من وجود جعفر، قلقاً من حضوره في حاضر الأُمّة، مستاءً من تقديسها له، منهزماً من تقدّم جعفر في رســالته الأصيلة، وهو يخطو خطوات المنتصر في مدرســته التي استقطبت إليها النعمان أبو حنيفة تلميذاً، ومالك بن أنس جليســاً، وابن أبي ليلى ســائلاً، وأبو يوسف مسترشــداً، ولم يكن الإمام الصادق قد أغلق أبواب مدرسته على خاصّة طلّابه بقدر ما كان يســتقبل الجميع بعطفــه المعهود، فأحبّه كلّ أحد، وأثنى عليه الجميع، سوى أبي جعفر المنصور، ذلك المذعور الذي لم يجد بديلاً سوى التنكيل بجعفر الصادق الإمام الممتحن حين يســتدعيه الخليفة العبّاســي إلى بغداد ليرجعه من فوره إلى المدينة، وإذا ما رفض الاســتجابة «أمر المنصور والي المدينة بأن يحرق دار جعفر، ونجح الإمام في تخطّي النار والنجاة بنفســه وهو يقول: أنا ابن أعراق الثرى، أنا ابن إبراهيم خليل الله، وهو يشير بذلك إلى إبراهيم عليه السلام الذي أنجاه الله عزّوجــلّ من النار»[1].. ولم تنته معاناة الإمــام الصادق إلّا بما اختاره المنصور من محاولة الاغتيال بعنب مســموم؛ لتنتهي مرارة الإمام من دنيا جرّعته غصص الألم لتذيق خليفته قهر السجون وظلم المطامير.

* * *

كانت وصيّة الإمام الصادق عليه السلام صفعةً للنظام العبّاسي قوّضت خططه، وبدّدت أحلامه في القضاء على بيت الإمامة الذي كان بزعامة جعفر، واليوم بزعامة ولده موسى عليه السلام.. وأُقصيت خطط المنصور الذي دبّر بليل للقضاء على الإمام الخليفة الذي سيشاركه في الوصية المنصور الخليفة العبّاسي، محمّد بن سليمان والي المدينة، عبد الله ولده، حميدة زوجته[2].

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ١٩٤.

(٢) الكافي ١: ٢٤٧ ح١٣.

خمسة أئمّة يشتركون في خلافة جعفر؟!

وهل أبعد من هذا الأمر وأعجب من هذه الوصية؟! أيقتل المنصور نفسه وهو من الوصاة الخمسة الذين أوصى بهم الإمام الصادق في خلافته؟

أم يقتل محمّد بن سليمان وهو واليه وليس له في الأمر من شيء؟

أم يقتل حميدة، ويعلم أنّ النساء ليس لهنّ نصيب؟

أم سيكون عبد الله مطلوباً لأبي جعفر، ويعلم من هو عبد الله ابن الإمام الصادق، ذلك الرجل الذي لا ترى شيعة أبيه أن يكونوا له شيعة؟

أم مَن موسى عليه السلام، فلعلّه لم يكن هو الخليفة لأنّه لم يكن أكبر أولاد جعفر؟ ولم يكد المنصور أن يلاحق «الإمام» فإنّ أجله لم يمهله أن ينفّذ مهمّة التصفية التي عملها لأبي جعفر عليه السلام فإنّ الناس سينكرون عليه فهو بالأمس يقتل جعفراً واليوم يلاحق ولده، فقد شاء الله أن يدفع عن موسى عليه السلام كيد المنصور.

ولم يزل المنصور العبّاسي يتمثّل في ولده «المهدي العبّاسي» الذي حافظ على خط آبائه في مطاردة آل علي، وكان موسى بن جعفر عليهما السلام يشهد أبرز الضغوط من قبل المهدي العبّاسي الذي نقله إلى العراق؛ ليزجّه في السجن دون مبرّر، أجل هكذا كانت سجون بني العبّاس لموسى بن جعفر عليهما السلام، لا لشيء وإنّما كان لذعر يعيشه هؤلاء من وجود آل علي أُولئك «الثورة الصامتة» في أعين العبّاسيين، والشجى الذي يعترض حلق أحدهم، وكأنّ سياسة الاحتراز كانت تشير إلى ضرورة سجن موسى بن جعفر عليهما السلام في بغداد، ليرى المهدي العبّاسي منه كرامات «حتّى أنّه لم يجرؤ على إيذائه بسبب المعاجز الكثيرة التي رآها منه فأعاده إلى المدينة»[1]..

(١) منتهى الآمال، الشيخ عباس القمي ٢: ٣٣٥.

دورة عبّاسية انتهت بموت «المهدي» وبدأت أُخرى بخلافة «الهادي» ذلك الذي لم يمهله الأجل سوى ستّة أشهر، فلم يذق موسى عليه السلام منه مرارة المطاردة كما كانت من سلفه، سوى ما تعرّض له الهادي لموسى عليه السلام فسجنه، حتّى أفزعته رؤيا علي بن أبي طالب عليه السلام يتلو عليه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[1] فانتبه الهادي ذعراً ليوعز بتخلية «موسى بن جعفر عليهما السلام» من السجن، ولم يشأ «الهادي» أن يكمل منهج أسلافه في مطاردة آل علي إذ لم يلبث يسيراً حتّى خلّفه «هارون».

* * *

لم يبدأ هارون ما بدأ به أسلافه من مقاطعة «موسى بن جعفر عليهما السلام» الإمام الممتحن، فقد أراد أن يبدأ عهده بما يفرضه «حقّ الرحم» وأدبيات المغازلة مع أطراف الثائرين من آل علي، علّه يطفئ نار الثورة التي أجّجها غضبهم من سياسة المنصور وولديه المهدي والهادي العبّاسيين اللذين ما فتئا يلاحقان الثوّار دون جدوى، ويواصل الثوّار ثورتهم دون هوادة، ولم يستقم الأمر في نظر «هارون» ما لم يُعرِبَ عن حقده الدفين لآل علي، وكان سيّدهم «موسى عليه السلام» ينتظر التنفيذ ليتابع جولة السجين المضطهد في سجون المدينة ثمّ البصرة ثمّ بغداد، المطاف الأخير الذي عاناه موسى الإمام عليه السلام الممتحن من مؤامرات العبّاسيين ليضيف إليها آل برمك دسائس البلاط بحواشيه المتربّصة لكلّ تغيير، والآخذة بزمام المبادرات الماكرة التي تقصي فريقاً وتتحف آخر بحظوة السلطان.. وكان آل برمك يخشون ما يحظى به جعفر بن محمّد بن الأشعث من قربه لهارون الذي وضع ولده محمّد الأمين في حجر جعفر بن الأشعث، وقد اعتبرها آل برمك شهادة القبول لدولة آل الأشعث، التي ستطيح بآل برمك في غدها المنظور حينما يتولّى الأمر محمّد بن الأشعث.. ولم يكن بوسع آل برمك إلّا اتّهام جعفر بن الأشعث بموالاة

(١) محمّد: ٢٢.

«موسى عليه السلام» الإمام الذي تدين به المعارضة لبني العبّاس، ولابدّ أن تحظى وشاية يحيى البرمكي عند الرشيد بالقبول، فكان محمّد بن إسماعيل بن جعفر وهو ابن أخ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام طرفاً في معادلة المؤامرة؛ ليدّعي عند الرشيد أنّ موسى بن جعفر عليهما السلام يدعو لنفسه وتجبى له الأموال.. ولم يدع هارون لهذا التهديد أن يمرّ دون التنكيل بموسى بن جعفر عليهما السلام، وقد علِمَ هارون أنّ الإمام لم يحتج إلى مثل هذه الدعوة لنفسه، فإنّ الناس ينثالون إليه بمحبّتهم إيّاه واعتقادهم بأنّه الأحقّ من غيره، فكيف يدعو إلى نفسه وقد علم الأمر قد قاتل عليه القوم، وهتكوا الحرمات، ودنّسوا العهود، واستماتوا لئلّا يخرج الأمر من أيديهم، ولم يسع لبني العبّاس الذين استذوقوا حلاوة الملك أن يسكتوا على المعارضة، ما لم تصطبغ أيديهم بدماء الآخرين، ولم يسع لموسى بن جعفر عليهما السلام أن يستمرأ خلافة شحّت عليها نفوس قوم وترفّع عنها آخرون.. وكان علي وآل علي لا يرون لشأن الخلافة خطراً ما لم تكن بوصاية السماء، لا بوصاية الناس أُولئك الذين لا يفهمون إلّا الغلبة ومنطق المساومات، أمّا خلافة علي وآله فهي محفوظة في صدور الذين أُوتوا العلم وأتباعهم الذين لا يجدون في خلافة غيرهم غير التعدّي والانتهاك.. ويودع الإمام الممتحن في سجن بغداد ليمارس حقّه في الهداية ونصيبه من الصلاة.. وأنّى لسجين يهدي الناس وقد أنهكته قيود الحقد من أن يمارس دوره من التبليغ، بل قل من إدارة شؤون أُمّته.. أجل لا زال الإمام حاضراً في وسط الأُمّة لم يغب عنها أبداً.. والإمام لم تعرقله أساليب السلطة عن أداء دوره، فهو لم ينقطع عن قواعده إمّا بأسباب غيبية أحياناً، أو على أساس ما يمتلكه الإمام من قابلية التأثير حتّى في القائمين على السجن، فإنّهم تولّوه وقالوا بإمامته، ونفّذوا له ما يريد من اتّصاله بقواعده، أو نقل مراسلاته إلى أتباعه.. ولم يكن المسيّب بن زهير سجّان الإمام مصرّاً على تنفيذ شهوات هارون في التصرّف بسجينه كيفما شاء، فإنّه آمن بموسى عليه السلام ليكون مؤمناً بإمامته بعد ما رأى منه المعجزات.. ولم تحجزه مطاميرها من الخروج، فمتى شاء الخروج خرج من سجنه لولا إرادة الله في أن تجري مقاديره بأسبابها، وموسى عليه السلام أولى في الحرص على جريان قضائه في أوليائه، فهو لم يكترث أن تطول مدّة

السجن أو تقصر، فلله في خلقه شؤون وإرادته لا تنفد.. ففي امتحان الأولياء إرادة الله لا تقهر، وسلطانه الذي لا يغلب ولابدّ للطغاة من جولة يتمحّص فيها الحقّ، ويدحض بها الباطل.

وفي ظلم هارون امتداد الأُفق الرهيب في خلود موسى عليه السلام ذلك الصابر الممتحن.. وهذا «صالح بن واقد» رجلٌ من شيعته ابتلي بملاحقة النظام وزجّه في سجن من غير ذنب مأخوذاً عند هارون بجريرة موسى عليه السلام، وفي روايته شهادة كرامة الغيب «للعبد الصالح موسى عليه السلام».

قال صالح بن واقد الطبري: دخلت على موسى بن جعفر عليهما السلام فقال: يا صالح إنّه يدعوك الطاغية -يعني هارون- فيحبسك في محبسه ويسألك عنّي، فقل إنّي لا أعرفه، فإذا صرت إلى محبسه فقل من أردت أن تخرجه فأخرجه بإذن الله تعالى، قال صالح: فدعاني هارون من طبرستان فقال: ما فعل موسى بن جعفر عليهما السلام فقد بلغني أنّه كان عندك؟

فقلت: وما يدريني من موسى بن جعفر عليهما السلام؟ أنت يا أمير المؤمنين أعرف به وبمكانه، فقال: اذهبوا به إلى الحبس، فوالله إنّي لفي بعض الليالي قاعد وأهل الحبس نيام، إذا أنا به يقول: ياصالح.

قلت: لبّيك.

قال: صرت إلى هاهنا؟

فقلت: نعم ياسيّدي.

قال: قم فاخرج واتبعني، فقمت وخرجت، فلمّا صرنا إلى بعض الطريق، قال:

ياصالح السلطان سلطاننا كرامة من الله أعطاناها.

قلت: ياسيّدي فأين أحتجز من هذا الطاغية؟

قال: عليك ببلادك فارجع إليها فإنّه لن يصل إليك.

قال صالح: فرجعت إلى طبرستان فوالله ما سأل عنّي ولا درى أحبسني أم لا[1].

* * *

كان الموعد على جسر الرصافة ببغداد، تلك المدينة الصامتة على غفوات ترانيم سجدة موسى عليه السلام الطويلة، التي لم يرفع رأسه منها حتّى رفعته آلة الحمّالين على قوائمها الأربعة «لينادى عليه بذلّ الاستخفاف»،.. يا لمأساة الأُمّة في أوليائها، ومحنة الأولياء في تجاربهم القاهرة.. تلك هي نزهة هارون في لعبته مع القدر عند انتهاكه حرمات الله في أوليائه، وهذه هي مهمّة هارون الموروثة بكلّ ثقافتها الساخرة، بل قل بدواعيها الحاقدة على قيم الأُمّة ومبادئها.. وما لدجلة ذلك النهر الهادر تحت جسره المحدودب بتعرّجات السنين العبّاسية المقيتة يتّخذ الصمت ملاذاً من هول الواقعة الحزينة ليختار هديراً لم يسمعه المارّة من قبل، فهو أنين ممزوج بزعقات السندي بن شاهك، ليلتطم بتموّجاته الغاضبة حتّى تكاد تنفلت من عقالها، لتخزي بغداد بغرق الاحتجاج كما هي تعيش ذلّ الخنوع لوغد عبّاسي، تطاول على شموخها المذخور في موسى عليه السلام، وكبريائها المختزن في جسد ذلك المسجّى، رهين قيود الحبس.. أجل حتّى لحظة انتقالك ياسيّدي إلى الغيب الأبدي ليحتضنك إماماً صابراً أدّيت ما عليك، إلى الآن لم يثق هارون بهذا التغييب، ولم يكتف بهذا الانتقال الخالد حتّى أوثقك كتافاً بقيوده الحديدية ليوثق برهين مغامراته، ولم يزل هارون فزعاً ممّا أنت فيه، لأنّك تمتطي صهوة الخلود على

(١) البحار ٤٨: ٦٦.

الجسر ببغداد.. ولم تكن خطوات المارّة تحبسها همساتهم الذائبة من هول الفادحة، حتّى ترتسم محيّاهم قسمات المتحيّر، وتساؤولات التائه في لجج الأحداث، بنكد البطش المعهود، أهو «موسى عليه السلام» المنزّل من نفحات الغيب ليعود إلى أحضانه ملفوفاً برشحات القدس، فيستقرّ في بحبوحة الخلد مستريحاً من دنيا أذاقته مرارة الطائش هارون لينفّذ حقده الموروث؟!.. أم هو «عيسى» العارج إلى سماوات الربّ، محفوظاً في تعاريج الغيب، مذخوراً لإرادة إلهية جديدة؟!.. ولم تنقطع نفحات المارّة بأهازيج الوداع لسيّدهم الذي ما فتأ يعلّمهم سبل الكمال، ويلقّن الظالمين دروس الطغاة حينما تعوزهم الحجّة في كلّ شيء، فينخرون جسدهم الذي بات مسلوب الروح كما هو مسلوب الإرادة.. ولم تكن إرادة «الخليفة» العبّاسي المهووس بعبء الجريمة أن يجعل للمسجّى الممتحن ذلك العرس الجنائزي، الموسوم بوشاح الأبطال؛ لتهطل عليه نسمات الأرواح، المثقلة بهول المصيبة، كما هطلت عليه آماقيها المعتصرة من آهات الفاجعة.. فلك الله أيّها الممتحن الصابر.. حتّى على الجسر ببغداد...

* * *

دعونا الآن نودّع الجسد الممتحن لم يدفن بعد، أو دفن بلفظ المحتشدين المحتجّين، أو بهمسات هارون وهو يرقب ما أثاره سليمان[1] بن أبي جعفر المنصور الذي اتّخذ دور «الممثّل» المتقن على خشبة مسرح جسر الرصافة ليستغيث بغلمانه أن يأخذوا من هذا «الفاسق» ابن شاهك جنازة الطاهر ابن الطاهر موسى بن جعفر عليه السلام، ولينحاز إلى جموع المعزّين اللاطمين أو الصارخين المفجوعين بخطب المصيبة، مصيبة الاغتيال للإمام الشهيد، أو مصيبة التنكيل والاستصغار الذي اعتمدها الرشيد سياسة غير رشيدة في إيذاء آل علي، يستسيغها في سياسة بطشه الذي ما فتأ هارون يخاصم خصومه فيها.. ولعلّك لم تسلب تصوّرات مشهد المسجّى

(١) هو تعبير سليمان عن السندي بن شاهك.

الممتحن وهو على خشبة يحملها شرطة السندي بن شاهك مقيّدة بقيودها الحديدية.. إلّا أنّك لم تتصوّر خشوعاً أعظم من خشوعك لشهيد جلّلته هالة النور السرمدي، منحازة من ربوات الغيب تتدلّى على وجه خاشع من سجوده لله، وهو إلى مثواه الأخير تحتضنه مقابر قريش؛ لترسم على محاياها بهائج النصر لبطل رجع توّاً من حرب طويلة في جولات صراع بين المنصور المهزوم، والمهدي التائه، والهادي الضالّ، ورشيد غير رشيد، لترفع بغداد يد بطلها معلنة جولة النصر الأخيرة متمثّلة بمنارة ذهبية وتشرق على بغداد في مسائها الدامس للظلام.

* * *

خسر الجولة بنو العبّاس وهم يتلمّظون معاذير الهزيمة التي لم تنفكّ عن تاريخهم المشلول سوى محاولات أُولئك الأقزام الذين أرادوا أن ينهضوا بواقع عبّاسي أخلد إلى الأرض، غير جدير أن يعيش في ذاكرة الخالدين، ترفعه هاماتهم إلى أعلى.. سوى من أراد أن ينفض غبار الهزيمة لتاريخ عبّاسي، يرتجع في كلّ لحظة إلى وحل من المواقف، ليصف عصر هارون غير الرشيد بعصر ذهبي يبيح له الكلام عن بطولات القتل ونزف الدماء، ترتكبها حماقات العبّاسيين في كلّ حين، أو يصفّقون لألقاب لم ينزل الله بها من سلطان بين منصور مهزوم، إلى مهدي تائه، وهادي ضالّ، حتّى رشيد غير رشيد وقد ذكرنا ذلك سلفاً. ونضيف أمين خائن، إلى مأمون خؤون، إلى معتصم متهتّك، إلى واثق آيس، إلى غيرها من ألقاب تجرّؤوا على الله أغدقوها على ولاتهم، واستخفافاً بحرم الله نسبوها إلى أسيادهم، وما كان بنو أُميّة يتجرّؤون كجرأة هؤلاء الذين أرهبوا المسلمين بمثل هذه الألقاب، أسبغوها على ملوكهم ليستحصلوا بها شرعيتهم المفقودة.

ولعلّك تطالع معي شخصيتين متغايرتين ملأت التاريخ الإسلامي برجالاتها، واحتشد الزمان بأسمائها، كلّ منهما يمثّل عتواً وظلماً وتنكيلاً أدخلاه في فترة حالكة من الحكم، في قهر وبطش وتقتيل لأُمّة محمّد صلى الله عليه وآله الذي جاء بالشريعة

السمحاء، وأراد أن يحلّ الصفاء والوئام والسلام.. إلّا أنّك ستتّفق معي في الوقوف عند هاتين الشخصيتين الأموية والعبّاسية...

أمّا الشخصية الأموية فلم تتلبّس بلبوس الدين، ولم تتقنّع بقناع الناسك التقي أو المتعبّد النقي، فهي اعترفت بأنّها أهل عبث ومجون وصخب في ليالٍ حمراء، مشهودة أخبارها للقاصي والداني، ولم تكترث بما قيل فيها وما يقال، فقد انغمست بلذّات الحكم، وثملت بخمرة العبث والغواية.

أمّا العبّاسيون فقد ارتكبوا حماقة الإغواء النسبي، ودعوى أنّهم أهل البيت نزل فيهم ما نزل في آل علي، فضلاً عن أنّهم هم ظلّ الله في أرضه، وخلفائه على خلقه، هكذا قدّموا أنفسهم للأُمّة، وأوهموا أنفسهم بأنّهم أهل حقّ ودين، فارتكبوا كلّ محذور، وأقدموا على كلّ هتك لحرمات الله في حججه، فهم إذن أخطر وأشدّ وأنكى على الدين من بني أُميّة، الذين لا يفكّرون إلّا بسلطان الدنيا.. أمّا العبّاسيون فأرادوا حيازة الدنيا ومسخ الدين، بما ورثوه من سلطان لا يستفيق من غفلة طائش...

* * *

كلّ ما أتمنّاه أن أُصوّر بطلاً تعتريه ظلمة السجون.. وتؤنسه وحشة المطامير تردّد تسبيحاته القدسية في أعماق ليل طويل، وعيون الملأ تغفو على ترانيمه الموسوية.. وأهزوجة القيود في يديه تلعلع بصوت يخترق الحجب السبع، لكنّه صمّت أسماع الأُمّة عن سماعه، ومعانقة القيود لقدميه تعتلجها قبلة عاشق لسجدته الأبدية، وهي تخشع مع خشوع سيقانه النازفة بوجع العناق الهائم، في فسحات ليل طويل لم ينته حتّى تنتهي معه حكاية عملاق، سجّل على جدران السجون ذكرياته المتحدّية، لخليفة عاهر، يمتطي منابر القدّسيين، ثمّ يستفيق من غفوته العبّاسية الحالمة بنكهات أسلافه الذين ما فتأوا يتربّصون لذوي الطهر والصلاة...

وهل أبلغ أن أصل إلى «موسى عليه السلام» الشامخ بالنصر، والملتحف بإزار أُمّه الفدكي، وهو يعيد حكاية التحدّي بفاطميته الثائرة؛ ليحدّد فدكاً بحدود المهمّة الفاطمية، لتلقي خطبتها على أوغاد الانقلاب العابث في سقيفة بني ساعدة بذكرياتها المخذولة، فتنزف من جراحاتها الفاطمية؛ لتدّخر خزين المواقف شجاعة، يقتنيها الأبطال في جولات نزال حاسمة.. هكذا هو موسى عليه السلام الإمام الممتحن يلتهب حماساً فاطمياً، يقارع به أوغاد السلطة بكلّ خيلائها؛ ليحطّم أُسطورة الظل الإلهي في غمار زيف عبّاسي، مدجّج بظبى الحسد والطغيان...

قال علي بن أسباط: لمّا ورد أبو الحسن موسى عليه السلام على المهدي رآه يردّ المظالم فقال: يا أمير المؤمنين ما بال مظلمتنا لا ترد؟

فقال له: وما ذاك يا أبا الحسن؟

قال: انّ الله تبارك وتعالى لمّا فتح على نبيّه صلى الله عليه وآله فدك وما والاها لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فأنزل الله على نبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾، فلم يدر رسول الله صلى الله عليه وآله من هم فراجع في ذلك جبرئيل، وراجع جبرئيل عليه السلام ربّه، فأوحى الله إليه أن ادفع فدك إلى فاطمة عليها السلام.

فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها: يافاطمة إنّ الله أمرني أن أدفع إليك فدك، فقالت: قد قبلت يارسول الله من الله ومنك، فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا ولي أبو بكر أخرج عنها وكلاءها، فأتته فسألته أن يردّها عليها، فقال لها: ايتيني بأسود وأحمر يشهد لك بذلك، فجاءت بأمير المؤمنين عليه السلام وأُمّ أيمن فشهدا لها، فكتب لها بترك التعرّض، فخرجت والكتاب معها.

فلقيها عمر فقال: ما هذا معك يا ابنت محمّد؟ قالت: كتاب كتب لي ابن أبي قحافة، قال: أرينيه، فأبت، فانتزعه من يدها ونظر فيه، ثمّ تفل فيه ومحاه وخرقه.

فقال لها: هذا لم يوجف عليه أبوك بخيل ولا ركاب، فضعي الجبال في رقابنا.

فقال له المهدي: يا أبا الحسن حدها إليّ.

فقال: حدّ منها جبل أُحد، وحدّ منها عريش مصر، وحدّ منها دومة الجندل.

فقال: كلّ هذا؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين هذا كلّه ممّا لم يوجف أهله على رسول الله بخيل ولا ركاب.

فقال: كثير وأنظر فيه[1].

وفي رواية كانت الحادثة بوجه الرشيد يصفعه الإمام بحقائقها المرعبة ممّاجعلت هارون يعجّل في تنفيذ مخطّطه الأسود من قتل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

ويستفيق هارون على تحدّيات الإمام حينما يهزمه بحقائق قرآنية يمطرها بوابل تحذيراته ليجد هارون نفسه مهزوماً.

روى محمّد بن سابق بن طلحة الأنصاري قال: كان ممّا قال هارون لأبي الحسن موسى عليه السلام حين أُدخل عليه: ما هذه الدار؟

قال: هذه دار الفاسقين. قال: وقرأ ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾.

(١) البحار ٤٨: ١٥٦.

فقال له هارون: فدار من هي؟

قال: هي لشيعتنا فترة ولغيرهم فتنة.

قال: فما بال صاحب الدار لا يأخذها؟

قال: أخذت منه عامرة، ولا يأخذها إلّا معمورة[1].

ولم يتوقّع ذلك الخليفة الذي دعا له الإمام أن يكون دعاؤه له إدانةً يلتمسها الإمام في مناسباته التي تبيح أن يهزمهم فيها مرهوبين، ويرعبهم بها مغلوبين، غير قادرين على دفع تحديده واستهانته بهم.

حكي أنّه مغص بعض الخلفاء فعجز بختيشوع النصراني عن دوائه، وأخذ جليداً فأذابه بدواء، ثمّ أخذ ماءً وعقده بدواء وقال: هذا الطب إلّا أن يكون مستجاب دعاء ذا منزلة عند الله يدعو لك.

فقال الخليفة: عَليَّ بموسى بن جعفر عليهما السلام.

فأُتي به، فسمع في الطريق أنينه، فدعا الله سبحانه، وزال مغص الخليفة.

فقال له: بحقّ جدّك المصطفى أن تقول بِمَ دعوت لي؟

فقال عليه السلام قلت: اللهمّ كما أريته ذلّ معصيته فأره عزّ طاعتي، فشفاه الله من ساعته[2].

ولعلّك لم تبالغ أنّك أمام رجل يهزم جبروت دولة وخيلاء خليفة لم يرتوِ بعدُ من

(١) البحار ٤٨: ١٣٨.

(٢) المصدر السابق.

دماء الآلاف من الناس، وموسى الإمام عليه السلام رهين قراراته الطائشة ينفّذها كيفما شاء وأنّى شاء.

وليتك تذهب معي بخيالك الواسع لتنطلق إلى حيث فضاءات الأحداث المزدحمة بمواقف السجين المتحدّي، والمرتهن الشجاع وهو يلوّح بعصا شرعيته التي يبحث عنها الخليفة المهزوم بخيلائه وكبريائه.. ولا تذهب بك مذاهب الاستيحاش فيما أنت فيه لتقرأ سيرة سجين عادي، أو أسير مرتهن محبوس، يتخطّفه السجّانون بين ساعة وأُخرى، فلعلّك لم تبلغ مبالغ الحقيقة في صورتك غير الواقعية وأنت تحول بنظراتك الملئ من مواقف التحدّي الذي يبعثها موسى بن جعفر عليهما السلام في كلّ حركاته وسكناته، ثمّ أنّك ستجد نفسك أمام رجل شجاع مشحوناً بكبرياء الحقّ مزهوةً بتسبيحات الناسك.. الساجد إلى الله طويلاً...

وصي الأوصياء..

هذه شخصية موسى بن جعفر عليهما السلام الإمام السابع نقرأه في مواقفه، ونقرأ مواقفه فيه إماماً عالماً شجاعاً زاهداً عابداً صابراً كاظماً للغيظ هكذا نقرأه في سبحات روحه القدسية.. فكيف نقرأه في عين أبيه، وصيّه وخليفته والقائم بأمره؟ إنّه تقريض جدّه يستنزله من عالم الغيب السرمدي المكنون بأسرار الإمامة، مبلولاً بندى الوصاية بعد إشراقة فجر جديد.. ولنستمع إلى جعفر الصادق حيث يلقي بقولٍ ثقيل تحمله صدور أصحابه مكتنفة نفحات الوصاية القدسية في موسى عليه السلام الإمام المرتقب...

عن يزيد بن سليط الزيدي قال: لقينا أبا عبد الله عليه السلام في طريق مكّة ونحن جماعة فقلت له: بأبي أنت وأُمّي، أنتم المطهّرون، والموت لا يُعرى منه أحد، فأحدث إليّ شيئاً أُلقيه إلى من يخلفني.

فقال لي: نعم هؤلاء ولدي، وهذا سيّدهم، وأشار إلى ابنه موسى عليه السلام وفيه علم الحكم، والفهم، والسخاء والمعرفة بما يحتاج الناس إليه، فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم، وفيه حسن الخلق، وحسن الجوار، وهو باب من أبواب الله عزّوجلّ، وفيه أُخرى هي خير من هذا كلّه فقال له أبي: وما هي بأبي أنت وأُمّي؟

قال: يخرج الله تعالى منه غوث هذه الأُمّة، وغياثها، وعلمها، ونورها، وفهمها، وحكمها خير مولود وخير ناشيء، يحقن الله به الدماء، ويصلح به ذات البين، ويلمّ به الشعث، ويشعب به الصدع، ويكسو به العاري، ويشبع به الجائع، ويؤمن به الخائف، وينزل به القطر، ويأتمر له العباد، خير كهل، وخير ناشيء، يبشّر به عشيرته قبل أوان حلمه، قوله حكم، وصمته علم، يبيّن للناس ما يختلفون فيه، قال: فقال أبي: بأبي أنت وأُمّي فيكون له ولده بعده؟

قال: نعم، ثمّ قطع الكلام.

قال يزيد: ثمّ لقيت أبا الحسن يعني موسى بن جعفر عليهما السلام بعد فقلت له: بأبي أنت وأُمّي إنّي أُريد أن تخبرني بمثل ما أخبر به أبوك؟

قال: فقال: كان أبي عليه السلام في زمن ليس هذا مثله.

قال يزيد: فقلت: من يرضى منك بهذا فعليه لعنة الله.

قال: فضحك، ثمّ قال: أُخبرك يا أبا عمارة، إنّي خرجت من منزلي فأوصيت في الظاهر إلى بنيّ وأشركتهم مع علي ابني، وأفردته بوصيّتي في الباطن، ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام وأمير المؤمنين صلوات الله عليهم معه، ومعه خاتم، وسيف وعصا، وكتاب، وعمامة.

فقلت له: ما هذا؟

فقال: أمّا العمامة: فسلطان الله عزّوجلّ، وأمّا السيف: فعزّة الله عزّوجلّ، وأمّا الكتاب: فنور الله عزّوجلّ، وأمّا العصا: فقوّة الله عزّوجلّ، وأمّا الخاتم: فجامع هذه الأُمور، ثمّ قال رسول الله ﷺ: والأمر يخرج إلى علي ابنك، قال: ثمّ قال: يا يزيد إنّها وديعة عندك، فلا تخبر بها إلّا عاقلاً، أو عبداً امتحن الله قلبه للإيمان، أو صادقاً، ولا تكفر نعم الله تعالى، وإن سئلت عن الشهادة فأدّها، فإنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[1] وقال عزّوجلّ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ﴾[2] فقلت: والله ما كنت لأفعل هذا أبداً.

قال: ثمّ قال أبو الحسن عليه السلام: ثمّ وصفه لي رسول الله ﷺ فقال: علي ابنك الذي ينظر بنور الله، ويسمع بتفهيمه وينطق بحكمته، يصيب ولا يخطي، ويعلم ولا يجهل، قد مليء حكماً وعلماً، وما أقلّ مقامك معه، إنّما هو شيء كأن لم يكن، فإذا رجعت من سفرك فأصلح أمرك، وأفرغ ممّا أردت فإنّك منتقل عنه، ومجاور غيره، فأجمع ولدك، وأشهد الله عليهم جميعاً، وكفى بالله شهيداً.

ثمّ قال: يا يزيد إنّي أُؤخذ في هذه السنة، وعلي ابني سميّ علي بن أبي طالب عليه السلام وسميّ علي بن الحسين عليهما السلام، أُعطي فهم الأوّل وعلمه ونصره ورداءه، وليس له أن يتكلّم إلّا بعد هارون بأربع سنين، فإذا مضت أربع سنين فسله عمّا شئت يجبك إن شاء الله تعالى[3].

كانت هذه وصيّة أبيه تفتح له آفاق مستقبل مهووس بخلافة شقية يملكها هارون ليذيقه من سجونه ما عجز عنها الواصفون.

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٠.

(٣) البحار ٤٨: ١٢.

وفي وصيّته الأُخرى لولده موسى عليه السلام أشار أبوه الإمام الصادق عليه السلام أنّ أقواماً يسعدون بمعرفته وآخرون يشقون بإنكاره، وهو بين هذا وذاك إمام يعتلي قِمم العلياء...

عن إبراهيم الكرخي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فإنّي لجالس عنده، إذ دخل أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام وهو غلام، فقمت إليه فقبّلته وجلست فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا إبراهيم أما أنّه صاحبك من بعدي، أما ليهلكنّ فيه قوم ويسعد آخرون، فلعن الله قاتله وضاعف على روحه العذاب، أما ليخرجنّ الله من صلبه خير أهل الأرض في زمانه سميّ جدّه، ووارث علمه وأحكامه وفضائله، معدن الإمامة، ورأس الحكمة، يقتله جبّار بني فلان، بعد عجائب طريفة، حسداً له، ولكن الله بالغ أمره ولو كره المشركون، يخرج الله من صلبه تمام اثني عشر مهدياً، اختصّهم الله بكرامته، وأحلّهم دار قدسه، المقرّ بالثاني عشر منهم كالشاهر سيفه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله يذبّ عنه...

قال: فدخل رجل من موالي بني أُميّة فانقطع الكلام، فعدت إلى أبي عبد الله عليه السلام أحد عشر مرّة أُريد منه أن يستتمّ الكلام، فما قدرت على ذلك، فلمّا كان قابل السنة الثانية دخلت عليه وهو جالس فقال: يا إبراهيم هو المفرّج للكرب عن شيعته، بعد ضنك شديد، وبلاء طويل، وجزع وخوف، فطوبى لمن أدرك ذلك الزمان، حسبك يا إبراهيم، فما رجعت بشيء أسرّ من هذا لقلبي، ولا أقرّ لعيني[1].

ولم تنته وصايا «جعفر» في ولده «موسى عليه السلام» فإنّ الإمام اليوم وهو على فراش المرض لم يزل يؤكّد وصيّته في ولده ليس الوحيد بل الفريد في عظمته، والسديد في قدسيته، لم يمتلك غيره ما يمتلكه موسى عليه السلام وصي الآباء الذين أنجزوا مهمّة الوصاية واحداً بعد واحد حتّى يوصلوا إلى الحفيد الموسوم بـ «شارة» الغيب القدسية، فينتبه الأبناء على تراتيل العصمة وهي تقرّض أخاهم موسى عليه السلام ذلك

(١) كمال الدين وتمام النعمة، للصدوق ٢: ٣.

الثالث من بين الأشقّاء الخمسة الذين غادرهم إسماعيل أخاهم الأكبر والذي ظنّ به الناس أنّه وريث أبيه في الإمامة حتّى (بدا لله في أمر ولدي) إسماعيل، كما علّق على هذا الرحيل المفاجئ والده الإمام جعفر، وتقف قافلة الإمامة عند موسى عليه السلام ذاك الفريد في أوصافه وصفاته ولم يسبقه إلى ذلك أحد من اخوته، الذين تحدّقوا حول أبيهم الإمام وهو ينازع سكرات الموت بعد أن نفّذ فيه دوانيقي العبّاسيين أبو جعفر أبشع جريمة عرفها تاريخ هؤلاء فدسّ إليه سمّه القاتل الذي ورثه من أسلافه الأمويين، فأسمعهم وصاياه التي لا تعني غير موسى عليه السلام، ولا تريد سوى ذلك الوريث العتيد، الذي يستمع مع إخوته لكلام الأب الإمام، وهو يحدّق في وجوه أبنائه، ثمّ يضيف نظرة الحب والوداع لولده موسى عليه السلام وهو يستمع إلى قول الإمام، وكان يزيد بن أسباط يروي لنا هذه الأحداث الأخيرة ليقول:

دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في مرضته التي مات فيها، فقال لي: يا يزيد أترى هذا الصبي؟

إذا رأيت قد اختلفوا فيه، فاشهد عليّ بأنّي أخبرتك أنّ يوسف إنّما كان ذنبه عند إخوته حتّى طرحوه في الجب، الحسد له حين أخبرهم أنّه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر وهم له ساجدون؛ وكذلك لابدّ لهذا الغلام من أن يحسد.

ثمّ دعا موسى عليه السلام، وعبد الله، وإسحاق، ومحمّداً، والعبّاس وقال لهم: هذا وصي الأوصياء، وعالم علم العلماء، وشهيد على الأموات والأحياء.

ثمّ قال: يا يزيد «ستُكتب شهادتهم ويسألون»[1].

ولم يزل أبوهم يسمعهم نداء السماء في ولده موسى عليه السلام، فهو الشاهد عليهم إذ نكصوا عليه ليطالبوه بإرث أبيهم من الإمامة، ولم يفلح عبد الله ذلك المدّعي أو المدّعى عليه بالإمامة حتّى يفارق الحياة لتبطل دعواه ولن يزاحمه بعد ذلك أحد.

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٤٣٥.

قال أبو بصير: قال موسى بن جعفر عليه السلام:

فيما أوصاني به أبي أن قال: يا بني إذا أنا مت فلا يغسلني أحد غيرك فإنّ الإمام لا يغسله إلّا إمام، واعلم أنّ عبد الله أخاك سيدعو الناس إلى نفسه، فدعه، فإنّ عمره قصير.

فلمّا مضى، غسلته كما أمرني، وادّعى عبد الله الإمامة مكانه، وكان كما قال أبي، وما لبث عبد الله يسيراً حتى مات[1].

ولم يلبث أخوه «علي بن جعفر» ذلك الظنين على الحقّ أن لا يصرف عن أهله، وأن لا يذهب عن موسى عليه السلام الذي سمع فيه أبوه وهو يقول لجماعة من خاصّته وأصحابه: استوصوا بموسى ابني خيراً فإنّه أفضل ولدي، ومن أُخلِف من بعدي، وهو القائم مقامي، والحجّة لله عزّوجلّ على كافّة خلقه من بعدي.

ولم يقتصر الأمر على ذلك الشاهد من أولاد الإمام، ذلك علي بن جعفر الرجل العظيم الذي لازم أخاه موسى عليه السلام وأخذ منه معالم الدين، وأُصول الفقه، وخبايا العلوم، وأسرار المعارف، ووقائع الغيب المكنون الذي كان يزوّده به، ويغدقه عليه.

ولم يكن كلام الإمام جعفر قد اختصّ به أولاده وأهل بيته، فقد ألقاه على جلّ أصحابه، وأكثر مقرّبيه وكان من بينهم: المفضّل بن عمر الجعفي، معاذ بن كثير، عبدالرحمان بن الحجّاج، الفيض بن المختار، يعقوب السرّاج، سليمان بن خالد، صفوان الجمّال وغير هؤلاء ممّن سمعوا من إمامهم وصيّته في ابنه، وكرامته في وريثه، وتقريظه على من ادّخرته السماء لذلك اليوم الموعود الذي فارق به جعفر بن محمّد الدنيا مظلوماً شهيداً مسموماً، وقد أذاقه المنصور العبّاسي أقسى أصناف العذاب، وأشدّ أنواع التنكيل، فإلى روح وريحان يا ابن الطاهرين، وإلى عار وشنار أيّها العبّاسي المهووس بإرث أسلافه الماضين من غدرة الأُمّة، والفجرة الظالمين...

(١) المصدر نفسه.

خير أهل الأرض

ولم يزل والده الإمام ينظر إليه بشفقته، ويرعاه بعينه، ويغدقه بعطفه، فكان أحبّ الناس عنده، بل أحبّ أولاده إليه حتّى تمنّى أن لا يولد له ولد فيزاحم موسى عليه السلام حبّه...

روى ابن الجوزي قال: قيل له عليه السلام أي جعفر الصادق عليه السلام: ما بلغ بك من حبّك ابنك موسى؟

قال: وددت أن ليس لي ولد غيره، حتّى لا يشركه في حبّي له أحد..[1].

وكيف لا؛ وقد أخبر جدّه عنه بأنّه خير أهل الأرض بعد ما اشترى حميدة المصفّاة أُمّه ودفعها إليه فولدت بعد ذلك «موسى عليه السلام» فكان خير أهل الأرض كما قال عنه جدّه.. ولم يتميّز أحد من أولاد الإمام جعفر بما تميّز به «موسى عليه السلام» فقد أخرق العادة في مهده، وأبهر الألباب في جَدِه، وكان معجزة الإمامة وهو يردّد ما أغدق الله عليه من نعم علوم الغيب ليلقيها على أصحاب أبيه فينبهروا ليسجّلوها من معاجز الإمامة وليجعلوها من نعم الله على أهل هذا البيت...

قال يعقوب السرّاج دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وهو واقف على رأس أبي الحسن وهو في المهد: فجعل يساره طويلاً، فقال لي: أُدن إلى مولاك. فدنوت فسلّمت عليه، فردّ عليّ السلام بلسان فصيح، ثمّ قال:

«اذهب فغيّر اسم ابنتك التي سمّيتها أمس، فإنّه اسم يبغضه الله، وكانت ولدت لي ابنة فسمّيتها بفلانة.

(١) من مستدركات عوالم العلوم موسى بن جعفر عليهما السلام للشيخ عبد الله البحراني: ٦٩.

فقال لي: أبو عبد الله عليه السلام: انته إلى أمره ترشد، فغيّرت اسمها[١].

وشهد بذلك ولده الرضا حيث يقول: كان أبي عليه السلام ممّن تكلّم في المهد.

إيهاً ياوريث عيسى، فقد حارت الألباب، وزاغت العقول، حينما أشارت إليه أُمّه أن يكلّموه فأجابوها «كيف نكلّم من كان في المهد صبياً» فآمن قوم، وكفر آخرون، تلك هي مناغاة عيسى في المهد، كلمات حكمة، ودعوة هداية: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[٢]. وذلك موسى عليه السلام الذي فيه يجحدون...

وكان ابن أحمر هشاماً[٣] يستمع إلى تقريض جعفر لولده القادم من الغيب حينما يشير إلى جاريته حميدة وقد قرأ فيها الغيب: «أما إنّها تلد مولوداً ليس بينه وبين الله حجاب..» فكم هو «موسى عليه السلام» في قربه الملكوتي يستشرف ندى الرحمة على إيقاع التراتيل القدسية ليكون «جعفراً» الأب يكشف سرّه المدجّج بنفحات الروح وبركات السماء...

علامات الوصاية..

وكم هي عظيمة لغة الوصاية في الإمامة حينما يعرض الإمام السابق مختصّات الإمام اللاحق، فهي موقوفة عليه حرام على غيره أو ينازعه فيها أحد، فإنّها

(١) البحار ٤٨: ٧٣ وقد أسمى ابنته الحميراء فأمره عليه السلام بتغيير الاسم.

(٢) مريم: ٣٠ وما بعدها.

(٣) المقصود هشام بن الأحمر.

مبشّـــرات الســـماء لتتمّ رســـالة الأرض في الوصاية، أو إنّها موقوفة على الإمامة وحدها، فهي إحدى أســـرارها لا يدانيه أحد في الفضل لتليق فيه أو تليق عليه.. ولم يـــزل عبد الرحمان بن الحجّاج يتحيّن الفرصة في معرفة وصي الإمام جعفر حتّى يدخل عليه «.. في منزله وهو في بيت كذا من داره في مسجد له وهو يدعو وعلى يمينه موســـى بـــن جعفر عليهما السلام يؤمّن على دعائه، فقلت لـــه: جعلني الله فداك، قد عرفت انقطاعي إليك، وخدمتي لك، فمن ولي الأمر بعدك؟

قال: يا عبد الرحمان انّ موسى عليه السلام قد لبس الدرع فاستوت عليه. فقلت له [أي عبد الرحمان بن الحجّاج]: لا أحتاج بعدها إلى شيء[1].

وأي درع هي حتّى لا تســـتوي إلّا على موسى عليه السلام، إنّها درع النبي صلى الله عليه وآله أودعها عنـــد أوصيائه واحداً بعد واحـــد ليعرف بها الوصي للإمامة، فلو نازعه أحد عليها لم تســـتو عليه فإنّها تحمل أُبّهة السرّ الملكوتي الذي قدّسه النبي صلى الله عليه وآله برعايته الأبوية لأبنائه الأوصياء ليكون لهم ذخراً ولأُمّتهم شرفاً وعزّة ومجداً...

موسى.. ودور المعجزة:

وجاء دور موسى عليه السلام في الإعجاز فإنّها مهمّة الإمامة بعد رحيل السابق لتستقرّ في ثنايا الغيب يجرجرها موسى عليه السلام مثبتاً لإمامة نازعه فيها غيره فتراهن أصحابهم على المعجـــز فهي قدرة الوصاية في تعرّجات الإيهـــام الذي يهيمن على بعضهم فيصدّق نفسه بعد لأي من جهد جهيد ينازع الحقّ في أهله فتدحرهم التجارب أن يطالبـــوا أصحاب الحقّ بما يثبت لهم صدق الدعوى في صدق الإعجاز لئلّا ينازع الحقّ أهله.. وها هي شـــواهد موســـى عليه السلام في إعجازه من الجنّ الذين ينصاعون

(١) عوالم العلوم: موسى بن جعفر عليهما السلام: ٧٠.

لإرادة السماء التي يمثّلها «موسى عليه السلام» ليعجزهم في قيمومته وتدبير أُمورهم، واحصاء أحوالهم، ومن الفرق بين «سليمان» النبي وبين «موسى عليه السلام» الوصي، فقد حبست الجن لسليمان بإذن الله، وقد سخّرت الجن لموسى عليه السلام بإذن الله، وها هي شواهد الاعجاز تمتد من أعماق التاريخ لترويها روايات الأصحاب الذين دهشتهم معجزات الإمام وهو يتعامل مع الجنّ كأحد رعاياه يذعنون له، ويطيعونه في أُموره حتّى لا يكون بينه وبينهم حجاب سوى حجاب الإمامة ونفحات النور القدسي الذي يأخذهم إلى أبعاد مترامية من الانصياع والطاعة ما يبهر العقول ويذعن النفوس إلى عظيم قدرته سبحانه ولطيف جماله بأوليائه المصطفين...

فقد روى موسى بن بكر بإسناده قال: دفع إليّ أبو الحسن الأوّل عليه السلام رقعة فيها حوائج وقال لي: اعمل بما فيها، فوضعتها تحت المصلّى وتوانيت عنها، فمررت فإذا الرقعة في يده، فسألني عن الرقعة فقلت في البيت، فقال: يا موسى إذا أمرتك بالشيء فاعمله، وإلّا غضبت عليك.

فعلمت أنّ الذي دفعها إليه بعض صبيان الجنّ[1].

معجزة المهد..

ويفتتح موسى عليه السلام عهده بمعجزة سبقه إليها نبي الله عيسى بن مريم روح الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم، فقد تكلّم في المهد صبياً، فكانت تلك معجزة الأنبياء الذين تنكر الناس لرسالاتهم وجحدوا حقّهم فكانت إرادته تعالى أن يحقّ الحقّ بكلماته ليستمع الجاحدون إلى كلام عيسى وهو في المهد، فأذعن بعض وأنكر آخرون، وهكذا كانت المعجزة تقف حائلاً في الإنكار، وتصدّ محاولات الجحود

(١) عوالم العلوم: موسى بن جعفر عليه السلام: ٧٠.

التي ارتكبها المنكرون، وأغرق فيها المشكّكون.

فما كان لعيسى المجحودة رسالته فيما بعد كان لموسى عليه السلام المجحودة إمامته كذلك، وستكون هذه المعجزة من معزّزات أحقّيته في الإمامة التي يدّعيها غيره دون حقّ.. وفي ذات يوم يدخل يعقوب السرّاج على أبي عبد الله عليه السلام وهو واقف على أبي الحسن وهو في المهد فجعل يسارّه طويلاً فقال لي:

أُدن إلى مولاك. فدنوت فسلّمت عليه، فردّ عليّ السلام بلسان فصيح ثمّ قال:

«اذهب فغيّر اسم ابنتك التي سمّيتها أمس فإنّه اسم يبغضه الله».

وكانت ولدت لي ابنة فسمّيتها بفلانة.

فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: انته إلى أمره ترشد. فغيّرت اسمها[1].

ولم تكن معجزة المهد قد شاهدها بعض الأصحاب مقتصرة على المصادفة والاتّفاق، بل كانت آية محكمة تحدّث فيها ولده الإمام الرضا عليه السلام حينما روى عنه زكريا بن آدم قال:

سمعت الرضا عليه السلام يقول: كان أبي عليه السلام ممّن تكلّم في المهد[2].

فكان ولده «علي» يعدّ ذلك من معجزات الإمامة في أبيه وهي ممّا كانت شاهدة على صدقه وعظيم شأنه.

(١) البحار ٤٨: ٧٣.

(٢) كشف الغمّة، للأربلي ٢: ٢٤٤.

موسى عليه السلام.. آتاه العلم صبياً:

وتكتمل معجزة المهد لتوصلها معجزة العلم في الصبا، والحكمة في الصغر؛ لتكون شواهد أُخرى على عظيم نعمه السابغة المغدقة على موسى عليه السلام الإمام المرتقب تحت رعاية أبيه، والمنتظر لأصحاب أبيه كذلك، فهم ينفتحون على ثقافة أبيه التي أودعها في مكنون الصبا، وغزارة العلم التي تتفجّر بين جوانب الفتى الهاشمي الذي يستقبل ضيوف أبيه ليلقي لهم من العلوم ما تنوء منه عصبة العلماء، ويعجز عنه البلغاء، ويقصر عن مراده أهل العلم الفضلاء، فيخبرهم ويحدّثهم بما هم أحوج إليه في معرفة مصائر الأُمور، وعواقب عاديات الزمن، يجرجره من صحائف الغيب المعلّقة في ملكوت صدور الذين أُوتوا العلم والإيمان، ليلقيه على حملته الأُمناء الذين نالوا اهتمام الإمام الصادق عليه السلام ليوجّه أصحابه إلى الفتى الذي يحمل في أطناب روحه حديث الغيب فيتوسّمون فيه الإمام ذلك القادم من حنايا الملكوت ليفيض على أهل هذه الأرض شذى الرحمة وطهارة الإيمان.

فقد روي عن عيسى مسألتان قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأنا أُريد أن أسأله عن أبي الخطّاب، فقال لي مبتدئاً من قبل أن أجلس: [ياعيسى] ما منعك أن تلقى ابني موسى عليه السلام فتسأله عن جميع ما تريد؟

قال عيسى: فذهبت إلى العبد الصالح عليه السلام وهو قاعد في الكتّاب[1] وعلى شفتيه أثر المداد، فقال لي مبتدئاً: يا عيسى إنّ الله أخذ ميثاق النبيين على النبوّة فلم يتحوّلوا عنها، وأخذ ميثاق الوصيين على الوصية فلم يتحوّلوا عنها أبداً، وإنّ قوماً أيمانهم عارية، وإنّ أبا الخطاب ممّن أُعير الإيمان فسلبه الله إيّاه.

---

(١) لعلّ وجود موسى بن جعفر عليهما السلام في الكتّاب لا لحاجته قطعاً إلى ذلك بل أراد الإمام الصادق عليه السلام أن يدفع عن ولده «موسى عليه السلام» بأنّه هو الإمام حفاظاً على حياته، لئلّا يذاع خبره بين أوساط العامّة فيكون عرضة للقتل من قبل السلطة أو حتّى من قبل الحاسدين له. لذا فأدخله الكتّاب مع عدم حاجته إلى ذلك؛ ليكون في نظر السلطة كباقي الصبية الذين يحتاجون إلى التعلّم في مثل هذا العمر...

فضممته إليّ وقبّلت ما بين عينيه وقلت: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾.

ثمّ رجعت إلى الصادق عليه السلام، فقال لي: ما صنعت؟ قلت: أتيته فأخبرني مبتدئاً من غير أن أسأله عن جميع ما أردت، فعلمت عند ذلك أنّه صاحب هذا الأمر.

فقال: ياعيسى إنّ ابني هذا الذي لو سألته عمّا بين دفّتي المصحف لأجابك فيه بعلم، ثمّ أخرجه ذلك اليوم من الكتّاب[1].

علمه بالمغيبات..

ولم يكن علم الغيب الذي أحاط به «موسى عليه السلام» من لدن عليٍّ عليم، إلّا أن يكون سؤدد الإمامة في عاديات التغييب وقد انتهجها مناوؤه في الحدّ من هالته القدسية التي يأخذ بريقها الأنظار.. ولماذا لا يكون كذلك «موسى عليه السلام» المرتبط بالغيب وهو يتمتم شكره في عبودية المحتاج الضعيف المقرّ بحاجته كلّها إلى خالقه الذي ألهمه الشكر ليقوى على الشكر.. وكلّما انفتح لموسى عليه السلام الإمام رعاية الربّ في انكشاف الغيب.. انفتحت معه أسارير نفسه على الحمد ثمّ ترانيم الشكر بخشوع الساجد ثمّ العارف.. «عظم الذنب من عبدك فليحسن العفو من عندك.. وإن كنت بئس العبد فأنت نعم الربّ..» وهكذا تردّد معه جوانب المكان، وآنات الزمان، كلّ ذلك الترنيم الملكوتي الذي يحسنه موسى عليه السلام وهو يخبر أصحابه عن عظيم ما وهبه له الواهب الخلّاق.. وفي ضمير موسى عليه السلام غيب مكنون يبديه مرّة، ويخفيه أُخرى.. فهو يعلنه إذا أراد أن يثبت حقّاً مهدوراً ليحاجج به أُولئك الواثبين على الحقيقة، فيتعاملون مع موسى عليه السلام كأحدهم فيظهر عند ذاك بدائع العطاء الربوبي إذا عزّ النصير، وهو لا يظهر علمه اللدني حينما يجد بعضهم ينحازون إلى أوهامهم فيقولون ما يقولون، وينزعون صفة العبودية ليحيلوها إلى ما ورائها من أوهام تخلقها عقولهم، وتصفها أوهامهم.. وتبديها رغباتهم عند معرفتهم القاصرة،

(١) البحار ٤٨: ٥٨ ح٦٨.

وفي توحيدهم الموهون الــذي يأخذونه من إيحاءات الوهم فتندفع في مزالق الهوس ومعاطن الشــيطان.. وكم كان موسى عليه السلام حريصاً على أُولئك الذين لا يفقهون من الإمامة شــيء، سوى أنّها إمامة أسيادهم الذين لا يقوون على معرفة ما يحيط بهم.. بل هؤلاء حفدة العبث لا يرومون من «خلافتهم» إلّا ما قرّرته لهم أهواؤهم فكيف يدرك أتباعهم ســرّ «موســى عليه السلام» وهو متلبّس بفيض السماء، مكنون بالغيب ومغمور بنفحات القدس..؟!

فهذا إسحاق بن عمّار يروي لنا ما شاهده أصحاب أبي حنيفة من الإمام وهو في حبــس هارون، حيث دخل عليه أبو يوســف ومحمّد بن الحســن صاحبا أبي حنيفة، فقال أحدهما للآخر: نحن على أحد الأمرين، إمّا أن نســاويه أو نشكله، فجلســا بين يديه، فجاء رجل كان موكّلاً من قبل السندي بن شاهك، فقال: إنّ نوبــتي قد انقضــت وأنا على الانصراف، فإن كان لــك حاجة أمرتني حتّى آتيك بهــا في الوقت الذي تخلفني النوبة. فقال عليه السلام: مــا لي حاجة. فلمّا أن خرج قال [الإمام] لأبي يوســف: ما أعجب هذا! يســألني أن أُكلّفه حاجة من حوائجي ليرجع، وهو ميّت في هذه الليلة.

فقاما فقال أحدهما للآخر: إنّا جئنا لنســأله عن الفرض والســنّة وهو الآن جاء بشيء آخر كأنّه من علم الغيب.

ثمّ بعثا برجل مع الرجل فقال: اذهب حتّى تلزمه وتنظر ما يكون من أمره في هذه الليلة، وتأتينا بخبره من الغد.

فمضى الرجل فنام في مسجد في باب داره، فلمّا أصبح سمع الواعية ورأى الناس يدخلون داره فقال: ما هذا؟ قالوا قد مات فلان في هذه الليلة فجأة من غير علّة.

فانصرف إلى أبي يوســف ومحمّد وأخبرهما الخبر فأتيا أبا الحســن عليه السلام فقالا: قد

علمنا أنّك أدركت العلم في الحلال والحرام، فمن أين أدركت أمر هذا الرجل الموكل بك أنّه يموت في هذه الليلة؟

قال: من الباب الذي أخبر بعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام، فلمّا ردّ عليهما هذا، بقيا لا يحيران جواباً[1].

وفي سرّ موسى عليه السلام ينطوي أمر، بل أكثر من أمر، لا يعيه أُولئك الذين أُشرب في قلوبهم حبّ الدنيا وتاقت نفوسهم إلى أحلامها.. وقد أدرك موسى عليه السلام أنّ القوم لا تنفعهم الموعظة دونما تصعقهم الحجّة، وتأخذ بهم البيّنة ليكونوا شهداء على ما آتاهم موسى عليه السلام من علوم الغيب ليحتجّ بهم كما احتجّ على رؤوسائهم آباءه من قبل.. ولعلّ هؤلاء يدينون بدين الالغاء أو عدم التسليم حتّى لو تقرع أعينهم البيّنة وتصفع وجوههم حقائق الوحي ليدركوا أنّهم زاحمتهم أهواءهم من أن يذعنوا للحقّ.. لكن من أجل الحقّ...

ولم يقتصر الإمام في إظهار مغيباته التي أذن الله له بها، فهو ممّن ارتضاه لغيبه، واستودعه سرّ أمره؛ ليظهرها إلى بعضهم إظهاراً لشأنه، وإقراراً لمقامه، بل كان الإمام عليه السلام يدير به شؤون رعيّته فيحميهم من عاديات الفتن، وملاحقة الظالمين لهم، فيستبدل استرسالهم حذراً، ويحيل مقارعتهم موادعة، ويبقي على جماعتهم من أن ينحازوا إلى جذوة النصر العاجل؛ ليجعلها قاعدةً أو يؤسّس لهم بنياناً، أو يكافح من أجل أن يقهر فيهم نشوة الاسترسال في تحصيل نتائج النصر الباهر، أو يكسر فيهم جماح الرغبة؛ لئلّا ينكشف الأمر فيحصدهم الظالمون انتقاماً، ويستأصل شأفة الإيمان فيهم، ويذرهم ينحازون إلى الاستسلام، أو يعبث بهم ليقدمون على الخذلان؛ ابقاءً على حشاشة نفوسهم من العطب، ليستقيم أمرهم إلى السلامة، وينتهي بهم إلى الأمن.

(١) الخرائج والجرائح، للراوندي: ١٦٧.

هكذا كان الإمام موسى عليه السلام يهذّب أصحابه فيعمل فيهم من التقية ما تنوء بمعرفته عصبة النظام من أن يكتشفوا ما يختلج في نفوس القوم أو يقفوا على ما يجري من أمر بينهم وبين إمامهم الذي أشار عليهم بالتروّي وحفظ النفس.. وهذا علي بن يقطين كان أن يقع فريسة المنافقين ليشوا به عند هارون فيروي لنا ما وقع بينه وبين هارون من أمر عظيم كاد أن يودي به لولا علم الإمام بما ستؤول له الأُمور لعلمه بما سيجري بعد حين.

قال علي بن يقطين: كنت واقفاً عند هارون الرشيد إذ جاءته هدايا ملك الروم، وكان فيها درّاعة ديباج سوداء منسوجة بالذهب لم أر أحسن منها، فرآني أنظر إليها فوهبها لي، وبعثتها إلى أبي إبراهيم عليه السلام ومضت عليها تسعة أشهر.

وانصرفت يوماً من عند هارون بعد أن تغدّيت بين يديه، فلمّا دخلت داري قام إليّ خادمي الذي يأخذ ثيابي بمنديل على يده، وكتاب لطيف خاتمه رطب وقال: أتاني رجل بهذا الساعة. فقال: أوصله إلى مولاك ساعة يدخل.

[قال علي بن يقطين] ففضضت الكتاب وإذا [به كتاب مولاي أبي إبراهيم عليه السلام و] فيه: «ياعلي هذا وقت حاجتك إلى الدرّاعة وقد بعثت بها إليك» فكشفت طرف المنديل عنها ورأيتها وعرفتها.

ودخل عليّ خادم هارون بغير إذن، فقال: أجب أمير المؤمنين، قلت: أي شيء حدث؟ قال: لا أدري. فركبت ودخلت عليه، وعنده عمر بن بزيع واقفاً بين يديه فقال: ما فعلت الدرّاعة التي وهبتك؟

قلت: خُلع أمير المؤمنين عليَّ كثيرة من دراريع وغيرها، فعن أيّها يسألني؟

قال: درّاعة الديباج السوداء الرومية المذهّبة.

فقلت: ما عسى أن أصنع بها ألبسه في أوقات وأُصلّي فيها ركعات، وقد كنت دعوت بها عند منصرفي من دار أمير المؤمنين الساعة لألبسها.

فنظر إلى عمر بن بزيع فقال: قل له يحضرها. فأرسلت خادمي جاء بها.

فلمّا رآها قال: ياعمر ما ينبغي أن تنقل على علي بعد هذا شيئاً. قال: فأمر لي بخمسين الف درهم حملت مع الدرّاعة إلى داري قال علي بن يقطين: وكان الساعي ابن عم لي، فسوّد الله وجهه وكذّبه، والحمد لله[1].

ولم يزل الإمام عليه السلام يرعى أصحابه وينذرهم ممّا هم عازمون عليه؛ لئلّا يصيبهم ما أصاب غيرهم من عاديات الزمن، ولم يكن لهم مندوحة المشورة، أو تصويب الرأي، أو عزيمة الخلاص فيما إذا وقعوا فيه من الحيرة والبلاء.. والإمام موسى بن جعفر عليهما السلام يدير أُمور رعيته بما توفّر على علم الغيب؛ ليُطلع أصحابه على مآلات الأُمور ومصائر التدبير، دون أن تصطلمهم مصائب الأيّام.. وقبل كلّ هذا فقد كان الإمام يولي اهتمام أصحابه إلى الأخلاق ومكارم الصفات، فقد كان دينه ودين آبائه التواصل والتحابب بين الاخوان، فما بال أُولئك الذين يتقاطعون للدنيا حتّى يروا عقوبة الله فيهم، ومآل أمرهم، وهكذا كان موسى عليه السلام يرشد أصحابه ويلقّنهم مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وكان يعقوب قد نزل به من أمر أخيه ما أخبره الإمام وحذّره عن تقاطع الأرحام، وهذه قصّة شعيب العقرقوفي يرويها لما شاهده من مغيبات الإمام إذ يقول: قال لي أبو الحسن عليه السلام مبتدئاً من غير أن أسأله عن شيء:

يا شعيب غداً يلقاك رجل من أهل المغرب يسألك عنّي فقل: هو والله الإمام الذي قال لنا أبو عبد الله عليه السلام فإذا سألك عن الحلال والحرام فأجبه منّي.

(١) البحار ٤٨: ٥٩ ح٧٢.

فقلــت: جعلت فداك فما علامته؟ قال: رجل طويل يقال له يعقوب، فإذا أتاك فــلا عليك أن تجيبه عن جميع ما ســألك، فإنّه واحد قومه، فإن أحبّ أن تدخله إليّ فأدخله.

قــال: فوالله إنّي لفي طــوافي إذ أقبل إليّ رجل طويل من أجســم ما يكون من الرجال، فقال لي: أُريد أن أسألك عن صاحبك.

فقلت: عن أي صاحب؟

قال: عن فلان بن فلان.

قلت: ما اسمك؟ قال: يعقوب.

قلت: ومن أين أنت؟

قال: رجل من أهل المغرب.

قلت: فمن أين عرفتني؟

قال: أتاني آتٍ في منامي: «الق شــعيباً فســله عن جميع ما تحتاج إليه» فسألت عنك، فدُللت عليك.

فقلت: اجلس في هذا الموضع حتّى أفرغ من طوافي وآتيك إن شاء الله تعالى.

فطفت ثمّ أتيته، فكلّمت رجلاً عاقلاً، ثمّ طلب إليّ أن أُدخله على أبي الحســن عليه السلام، فأخذت بيده، فاستأذنت على أبي الحسن عليه السلام فأُذن لي.

فلمّا رآه أبو الحسن عليه السلام قال له: يايعقوب قدمت أمس، ووقع بينك وبين أخيك

شرّ في موضع كذا وكذا، حتّى شتم بعضكم بعضاً، وليس هذا ديني ولا دين آبائي ولا نأمر بهذا أحداً من الناس، فاتّق الله وحده لا شريك له، فإنّكما ستفترقان بموت، أمّا أن أخاك سيموت في سفره قبل أن يصل إلى أهله، وستندم أنت على ما كان منك، وذلك أنّكما تقاطعتما فبترَ الله أعماركما.

فقال له الرجل: فأنا جعلت فداك متى أجلي؟ فقال: أمّا إنّ أجلك قد حضر حتّى وصلت عمّتك بما وصلتها به في منزل كذا وكذا، فزيد في أجلك عشرون.

قال: فأخبرني الرجل ولقيته حاجّاً أنّ أخاه لم يصل إلى أهله حتّى دفنه في الطريق[1].

فكان موسى عليه السلام.. إماماً مؤدّباً وعطوفاً تأخذه موارد الشفقة على أتباعه حتّى تفوق شفقة الوالد على ولده.. يديم لهم النصيحة، ويمحّض فيهم المشورة، ويحذّرهم ويزكّيهم، ويشيّد لهم محاسن الأخلاق ومكارمها، وأطائب العادات وفواضلها، وينهاهم عمّا يقبح فيهم وعليهم ليكونوا له شيعة، ولآبائه أتباعاً.. وكان علمه بالغيب يدبّر أمر رعيته ويزجرهم أو يرشدهم، وينهاهم أو يأمرهم فكان يقوّي عند شيعته المعروف، وينشّط في وعيهم الإحسان كلّما قاموا عن «موسى عليه السلام» الإمام، قاموا وهم أبرّ الناس بالناس وأوفاهم لدينهم وأوثقهم لدنياهم.. ولم يئل الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام كآبائه جهداً في تربية شيعته، كما أنّ الوالد لم يأل جهداً في الحرص على أولاده وأهل بيته، يتعاهدهم باللطف، ويغدق عليهم الإحسان، ويشدّ من أزرهم في عمل الخير، ومداراة الناس؛ ليكون أتباعه خيرة الناس، وأسياد القوم، وعرفاء التقوى.. وأيّة نصيحة هي يغدقها على صاحبه المغربي عندما ينهاه عن القطيعة ويأمره بالتواصل ويمتّن عنده روح التراحم؛ ليكون سيّد قومه في المعروف، وأفضلهم في البِر، وأزكاهم في صلة الرحم.

(١) عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال: الإمام موسى بن جعفر عليه السلام/ ص١٢٠.

عالم آل محمّد صلوات الله عليهم

هذا هو موسى بن جعفر عليه السلام عالم بالغيب، كما هو عالم بكلّ أمر آتاه الله فيه الحكم والعلم وفصل الخطاب، وهل يعزب عن علم الإمام بإذن الله شيء، وكيف يكــون الحجّة من الله على العباد وفيهم من هو أعلم منه، بل كيف يكون خليفة الله وهو يحتاج إلى رعيته إنّ هذا لهو اختلاق.

فالإمام أعلم الناس، وأفقه الناس، وأولى الناس بالناس في كلّ أُمور الدين بل كلّ معائش الدنيا.. وهكذا هو موســى بن جعفــر عليه السلام العالم باللغات، والمطّلع على رعيتــه من غير لغته، فهو حجّة الله عليهــم، يحكم فيهم بحكم الله، يفاوضهم في لغتهم، ويوافقهم في ألســنتهم، ويقضي لهم في منطقهم.. كان هشــام بن الحكم يروي أنّ موسى بن جعفر عليه السلام قال لإبرهة النصراني: كيف علمك بكتابك؟

قال: أنا عالم به وبتأويله.

قال: فابتدأ موســى عليه السلام يقــرأ الإنجيل، فقال أبرهة: والمســيح لقد كان يقرأها هكذا، وما قرأ هكذا إلّا المســيح، وأنا كنت أطلبه منذ خمســين سنة فأسلم على يديه[1].

ولِمَ لا؟ والإمــام حجّــة الله على خلقه، فيكون كذلك وهــو لا يفقه من كتب الأوّلين شــيء؟ فهو الحاكم بين أهل الكتاب بكتابهم، وبين أهل كلّ دين بدينهم حــتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ، وأنّ الله على كلّ شــيء قديــر.. ففي المناقب أنّه دخل موسى بن جعفر عليه السلام بعض قرى الشام متنكّراً هارباً، فوقع في غار وفيه راهب يعظ في كلّ سنة يوماً، فلمّا رآه الراهب دخله منه هيبة.

(١) البحار ٤٨: ١٠٤ ح٨.

فقال: يا هذا أنت غريب؟ فقال: نعم.

قال: منّا أو علينا؟ قال: لست منكم.

قال: أنت من الأُمّة المرحومة؟ قال: نعم.

قال: أفمن علمائهم أنت أم من جهّالهم؟ قال لست من جهّالهم.

فقال: كيف طوبى أصلها في دار عيسى، وعندكم في دار محمّد، وأغصانها في كلّ دار.

فقال عليه السلام: الشمس قد وصل ضوؤها إلى كلّ مكان وكلّ موضع، وهي في السماء.

قال: وفي الجنّة لا ينفذ طعامها وإن أكلوا منه، ولا ينقص منه شيء؟

قال: السراج في الدنيا يقتبس منه ولا ينقص منه شيء؟

قال: وفي الجنّة ظلّ ممدود؟

فقال: الوقت قبل طلوع الشمس كلّها ظل ممدود قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾.

قال: ما يؤكل ويشرب في الجنّة لا يكون بولاً ولا غائطاً؟

قال: الجنين في بطن أُمّه.

قال: أهل الجنّة لهم خدم يأتونهم بما أرادوا بلا أمر؟

فقال: إذا احتاج الإنسان إلى شيء عرفت أعضاؤه ذلك، ويفعلون بمراده من غير أمر.

قال: مفاتيح الجنّة من ذهب أو فضّة؟

قال: مفتاح الجنّة لسان العبد «لا إله إلّا الله».

قال: صدقت. وأسلم والجماعة معه[1].

وكيف يكون الحجّة حجّة وهو لا يفقه من أمر ما يختلفون فيه، فيفصل فيما بينهم ويحكم فيما فيه يمترون.

ولم يشأ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام أن يبتعد عن رعيته ما لم يُظهر لهم مقامه في العلم وشأنه في الحكم، فيكلّمهم بلسانهم، ويستهديهم بحكمته، ويرشدهم إلى ضالّتهم، فيبصرهم بما فيه يسألون.

وإذا كان ذلك غريباً على الناس، فليس هذا غريب على إمام هو حجّة الله على خلقه، وإذا استكثر عليه الناس كان الأمر عليه صغيراً، وفي جنب مقامه قليلاً، فيقول لمن يستغرب في شأن علمه: لعلّك عجبت من كلامي إيّاه بالحبشية؟! لا تعجب، فما خفي عليك من أمر الإمام أعجب وأكثر. وما هذا من الإمام في علمه إلّا كطير أخذ بمنقاره من البحر قطرة من ماء، أفترى الذي أخذ بمنقاره نقص من البحر شيئاً؟

قال: فإنّ الإمام بمنزلة البحر لا ينفد ما عنده وعجائبه أكثر من ذلك، والطير حين أخذ من البحر قطرة بمنقاره لم ينقص من البحر شيئاً، كذلك العالم لا ينقص

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٤٢٧.

علمه شيئاً، ولا تنفد عجائبه[١].

وكيف ينفد من أمره شـــيء وأمره مرهون إلى المطلق في العلم كما هو المطلق في العطاء، إذ لا تنفد خزائنه، ولا تنتهي آلاؤه، ذلكم هو الله ربّ العالمين، وهل العلم إلّا آلة الحكم، بل هو آلة الخلافة والرئاســة، وكيف لا يكون العالم رئيســاً حيث يقود الأُمّة إلى حيث هي من الانتظام في شــؤون الحياة، كأفضل ما تكون الأُمم مــن مصافي العزّة والخلود، ولِمَ لا يكون العالم خليفة، أو لِمَ لا يكون الخليفة عالماً، وفيه تتلى آيات الله، وعنده مستودع علمه، ونفوذ أمره؟! والإمام موسى بن جعفر عليهما السلام أحد هؤلاء الخلفاء، الحكماء، العلماء، الفهماء ثمّ هو أحد من استودعه الله أسرار حكمه ومخزون علمه.. وكيف لا يكون كذلك وقد ولده علي بن أبي طالب وقد قال عنه رســول الله صلى الله عليه وآله: أنا مدينة العلم وعلي بابها.إذاً فموســى عليه السلام وارث المدينة والقيّم عليها.

سخاء الأبناء.. وراثة الآباء..

وأي وراثة هي يرثها موسى عليه السلام من آبائه سوى العلم والحكمة والفصاحة وفصل الخطاب.. حتّى تضاف إلى صفاته وراثة الكرم ثمّ وراثة الأخلاق الفاضلة التي هي نقطــة الالتقاء، أي التقاء كلّ ما يحمد من صفــات عزّ على غيره وجدانها ونأى على الآخرين حملها؛ لأنّها الأمانة.. والأمانة لا يحتملها إلّا ذوو الشرف، ولا يعرف فضلها إلّا أهل الإنصاف، ولا يميّزها إلّا من جادت نفسه على المعروف، وانفتحت على الإحســان، واســتطالت إلى عاديات الخير.. ولم يكن «موسى عليه السلام» الإمام ســوى وراثة آبائه، بل محطّ فضائل أسلافه الذين جادوا بكلّ معروف، وبذلوا كلّ ما من شأنه أن ينتزع الإنسان فيه جذوة الضمير؛ ليمتدّ فيه إحساس القيم إلى خير

(١) البحار ٢٦: ١٩٠ ح٢.

لم ينته فيه إلّا إلى المكرمات ودواعي الشرف والعفاف.. فينتحل صفة الخير ليرد إلى معروفه تمتمات الحمد وتسبيح الثناء.. هذا هو موسى بن جعفر عليهما السلام صنيعة الخير وصانع المعروف، يبذل كلّ ما من شأنه أن يبذل ليحيط بكلّ شيء براً ومعروفاً، ويغدق على كلّ شيء كرماً وجوداً.. «وكان موسى بن جعفر عليهما السلام إذا بلغه عن الرجل ما يكره، بعث إليه بصرّة دنانير، وكانت صراره ما بين الثلاثمائة إلى المائتين دينار، فكانت صرار موسى عليه السلام مثلاً[1].. وكان موسى عليه السلام يغدق في العطاء ويفيض بالبرّ كأنّه سحاب يستمطره كلّ ذي حاجة، ويزخّ عليه بالعطاء وهو لا يعرفه.. تماماً كالغمام الممطر بل كالمزن السريع يستفيض مطراً على كلّ الناس، من يعرفه ومن لا يعرفه حتّى أنّه لا يميّز بين عدوّه وبين صديقه فيفيض عليهم متى شاؤوا وكيف شاء.. وإذا أردت أن تقرّض هذه الصفة صفة الكرم والسخاء فإنّك لا تتعدّى عن ذكر موسى عليه السلام وريث الآباء يوم كانت مكّة تستغيث من شظف العيش ولأواء الحاجة، إذ كظّها الجوع فاستغاثت إلى عمرو العلا فيهشم لهم خبزاً ويطهي لهم لحماً، فأكلوا عن آخرهم، وشبع جائعهم وأغاث ملهوفهم، فكان هاشم المكرمات منذ ذلك اليوم وحتّى اليوم تتحدّث مكّة بتاريخها المهزوم عن ذلك الهاشم، الذي أباح كلّ ما يملك لجياع مكّة ومعوزيها، فكانت وراثة هاشم الجدّ في موسى عليه السلام الحفيد، وهاشم الرئيس في حفيده الإمام، وإذا أردت أن تعطي للتقريض حقّه فإنّك لا تعدو صفة الإمامة التي جمعت محاسن الصفات ومناهل المكرمات، وأوهبت لصاحبها كلّ خير فأغدقه على أهله من ذوي الحاجة لينشر لهم فيوضات الربّ، وشذى أُعطيات الحقّ، ملفوفاً بترانيم التمجيد، وصدى التحميد الربوبي.

(كان المنصور تقدّم إلى موسى بن جعفر عليهما السلام بالجلوس للتهنئة في يوم النيروز وقبض ما يحمل إليه.

(١) مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الأصفهاني: ٣٣٢.

فقال عليه السلام: إنّي قد فتّشت الأخبار عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله فلم أجد لهذا العيد خبراً، وانّه سنّة للفرس ومحاها الإسلام، ومعاذ الله أن نحيي ما محاه الإسلام، فقال المنصور: إنّما نفعل هذا سياسة للجند، فسألتك بالله العظيم إلّا جلست.

فجلس، ودخل عليه الملوك والأُمراء، والأجناد يهنّؤونه ويحملون إليه الهدايا والتحف وعلى رأسه خادم المنصور يحصي ما يحمل[1].

فدخل في آخر الناس رجل شيخ كبير السنّ، فقال له: يا ابن بنت رسول الله، إنّني رجل صعلوك لا مال لي أُتحفك ولكن أتحفك بثلاث أبيات، قالها جدّي في جدّك الحسين عليه السلام:

عجبت لمصقول علاك فرنده ... يوم الهياج وقد علاك غبار
ولأسهم نفذتك دون حرائر ... يدعون جدّك والدموع غزار
ألا تغضفت السهام وعاقها ... عن جسمك الإجلال والإكبار

قال عليه السلام: قبلت هديتك، اجلس بارك الله فيك، ورفع رأسه إلى الخادم وقال: امض إلى أمير المؤمنين وعرّفه بهذا المال وما يصنع به.

فمضى الخادم وعاد وهو يقول: كلّها هبة منّي له يفعل به ما أراد.

فقال موسى عليه السلام للشيخ: اقبض جميع هذا المال فهو هبة منّي لك)[2].

أُنظر إلى حسن ما توسّل به هذا الشيخ، وإلى أحسن ما جازاه الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام وكافئه على جميل ما أهداه وعظيم ما أتحفه، فرثاء الشهيد الحسين بن علي عليهما السلام يعدل عند الإمام موسى عليه السلام أطناناً من المال وأكواماً من العطاء في يوم

(١) فالحادثة تدل على محنة الإمام الكاظم عليه السلام في مداراة الحاكم فاستجاب إلى الجلوس رغم عدم قناعته في ذلك.
(٢) المناقب ٣: ٤٣٣.

عزّ مثل هذا العطاء على ذوي النجدة والاستقامة من أن يصرّحوا بولائهم للإمام، وهم يعيشون ضنك الخوف، ومحذور الرقابة، وبنو العبّاس يخشون ما تؤول إليه أُمور الولاء وإعلان البيعة للخلافة الحقّة المتمثّلة في موسى عليه السلام.. فالمنصور يعرفه الجدير بوراثة جدّه المصطفى، والناس تحسبه المغصوب حقّه والمهدور مقامه تحت قوائم العرش العبّاسي، المتمرّد على قيم السماء، ومن ثمّ على رغبة أهل الأرض.. وكم عند موسى الإمام عليه السلام من شأن الولاء في دهاليز السياسة الماكرة، وهو يستمع إلى مرثيات المفجوع في حقّ جدّه الحسين ليعطيه كلّ ما ملّكه المنصور.. ولعلّ الإمام موسى عليه السلام صدّق مقولته ومقولة آبائه من ذي قبل: من قال فينا بيتاً من الشعر بنى الله له بيتاً في الجنّة، وكم هو الفارق بين الثمن القليل بيتاً من الشعر وبين المثمن العظيم بيتاً في الجنّة ليساوي بين بيت من الرثاء وبين صفائح الذهب، وقلائد الأحجار، التي لم يقدّرها أحد من أصحاب المنصور، والتي فاقت توقّعات الجميع...

كاظم الغيظ:

ولم يكن كظم الغيظ عن عجز يجده في نفسه حتّى تلازمه هذه الصفة فيستحقّ الكاظم كاظماً، ولا كان منه قلّة بأس حتّى يجد من نفسه انموذجاً هاضماً فيه مشاعر الغضب، أو سبباً في بخس هواجسه الجيّاشة بالمحبّة للجميع، أو المتحمّسة لكلّ ما يدور من حوله تعدّياً لحقوقه، وغصباً لدواعيها، بل كان «موسى عليه السلام» الإمام إنساناً له أحاسيسه وعواطفه ومشاعره، تتداخل لتشكّل حلقة الألفة يوم يرتكب الطاغي حماقاته في استنزاله منازل الضعة كما تصوّرها بنو العبّاس ولا موارد العزلة حينما يودعه السجون المظلمة، والطوامير الغائصة في قعور الأرض ودهاليز الضياع، وحينما كان موسى عليه السلام يعيش عزلة الناس كما أرادها هارون فإنّ عواقب الخير تراود الإمام فينتظر ما أعدّ الله للمتّقين، ويتيقّن ما تؤول إليه مصائر الظالمين،

وهو يعيش بين أمل رضا الربّ بعد انتقاله من زنزانة السجن إلى بحبوحة الخلد في الفردوس الأعلى، ومن ثمّ يلجأ الله ظالميه من أعالي بروجهم إلى حفرٍ من النيران الغاضبة، وقعورٍ من الجحيم البائسة.. فالحلم وكظم الغيظ والصبر واحتمال الأذى، لا تعني سوى منهج الصدّيقين، وثمالة المرسلين، أودعوها لدى أوصيائهم ورثة النبي وخلفائه الذين يكمِّلون منهجه ويحيون سنّته، فقد كان يحتمل الأذى فيصبر، ويُساء إليه فيغفر، وتغضبه قريش فيكظم الغيظ، فكان كظم الغيظ عند «موسى عليه السلام» الإمام وديعة «محمّد» النبي ليكمل رسالته في أوصيائه، ويتمّها في ذرّيته خلفاء الله وسفرائه، ولعلّ في هذه الأحداث المتلوَّة، والروايات التي أذن ببعضها تأريخ التغييب، وتغييب التأريخ نقرأ ما بقي من سيرة صبره:

إنّ رجلاً من ولد عمر بن الخطّاب كان بالمدينة يؤذي أبا الحسن موسى عليه السلام ويسبّه إذا رآه، ويشتم علياً، فقال له بعض حاشيته يوماً: دعنا نقتل هذا الفاجر، فنهاهم عن ذلك أشدّ النهي وزجرهم أشدّ الزجر.

وسأل عن العمري، فذكر أنّه يزرع بناحية من نواحي المدينة، فركب إليه، فوجده في مزرعة له، فدخل المزرعة بحماره فصاح به العمري: لا توطئ زرعنا، فوطأه عليه السلام بالحمار، حتّى وصل إليه، ونزل وجلس عنده، وباسطه وضاحكه.

وقال له: كم غرمت على زرعك هذا؟ قال: مائة دينار.

قال: فكم ترجو أن تصيب؟ قال: لست أعلم الغيب.

قال له: إنّما قلت: كم ترجو أن يجيئك فيه؟ قال: أرجو أن يجيء مائتا دينار.

فأخرج أبو الحسن عليه السلام صرّة فيها ثلاثمائة دينار وقال: هذا زرعك على حاله، والله يرزقك فيما ترجو. فقام العمري فقبّل رأسه وسأله أن يصفح عنه، فتبسّم إليه أبو الحسن وانصرف.

وراح إلى المسجد فوجد العمري جالساً فلمّا نظر إليه قال: الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

فوثب أصحابه إليه فقالوا له: ما قضيّتك؟ قد كنت تقول غير هذا.

فقال لهم: قد سمعتم ما قلت الآن. وجعل يدعو لأبي الحسن عليه السلام فخاصموه وخاصمهم.

فلمّا رجع أبو الحسن إلى داره قال لجلسائه الذين سألوه في قتل العمري: أيّما كان خيراً؟ ما أردتم أم ما أردت؟ إنّني أصلحت أمره بالمقدار الذي عرفتم، وكفيت به شرّه)[1].

هذا غيظ من فيض، فاضت به أخلاق موسى الإمام عليه السلام عفواً وحلماً وصبراً وكظماً، فكان كاظم الغيظ ومقيل العثرة.. ولم يكن ذلك سوى دعوة جدّه صلى الله عليه وآله حينما فعلت به قريش الأفاعيل من الأذى، والأقاويل من التّهم، والأباطيل من الأفعال، فكان يرجع إليهم الإساءة بالإحسان، ويقابل السوء بالعفو، ويهادن الشرّ بتدبير العقل حتّى يفيء المسيء إلى أمر الله، فكان موسى الإمام عليه السلام يقتفي آثار جدّه، ويستنّ بسنّة آبائه حينما أرتهم قريش ما لا يحتمله من الأذى أحد، ومن السوء ما لا يصفه الواصفون، فكان همّهم هداية الناس، ومبتغاهم إنقاذهم من الضلال، فيكظمون ما أصابهم، ويحلمون عمّن أساء إليهم.

وإذا كان الحلم صفة الربّ المتعالي عن كلّ نقص يتعرّضه الجاهلون، والمنزّه عن كلّ عيب يجترأه المبطلون، فإنّ لله شأن في إظهار صفة الحلم، وإبداء مظهر الصبر، وقد أودعها في أصفيائه وسفرائه، الذين هم مظهر أسمائه وبيان صفاته، وإلّا من أين يعرف الخلق صفات الربّ، ما لم يجسّدها في مظاهر صفاته، فيعرفها الناس ويجلّلها على الهداة الميامين؛ لينشروا من عبق الرسالة ما يفوح شذاها أبد الآبدين.

(١) اعلام الورى، للطبرسي: ٣٠٦.

كان صبر موسى عليه السلام يقارع فيه الطغاة، ويهشّم أُسطورة الرعب التي استعانوا بها على فرض سطوتهم، وأخافوا العامّة ليستحصلوا من خلال ذلك القدرة في الفوضى؛ ليستنقذوا بها مشروعيتهم التي أثبتوها بالتحايل على ثابت الأُمّة ونواميس مقدّساتها، فهم إذن أي الطغاة لا يملكون إلّا «شرعية» القوّة، وسطوة الإرهاب؛ ليتحكّموا على مقادير الأُمّة، ويتملّكوا حقوقها، فيحيلوها إلى تابع لا تجد من أمرها حولاً ولا قوّة، وكيفما تكون المعارضة وأينما تكون فهي في نظر السلطة من بني العبّاس وغيرهم مهدّدة لكيانهم، منافسة لوجودهم، فكيف بمعارضة شرعية تنطلق من القرآن وتنبثق من الحديث؟ وكيف بشرعية يقودها آل النبي صلى الله عليه وآله ليكونوا امتداده الطبيعي وخلفاءه على الإطلاق؟ والقوم يفقدون مقوّمات الشرعية من نسب، وحسب، وعلم، وفقاهة وبعد ذلك لياقة السلطة وإمكانية الحكم.. ولم يكن «موسى عليه السلام» الإمام.. القائد.. الخليفة.. والمعارض سوى أُطروحة التصحيح إن لم يكن أُطروحة البديل، أي البديل عن الحاكم المدّعي فيما إذا أراد الإمام أن يهادن القوم؛ ليكون لهم ناصحاً دون أن يكون لهم معارضاً، وإذا كان الإصلاح في نظر السلطة هي المعارضة الحقيقية فما ذنب الإمام ليتحمّل من تغييب النظام في زنزاناته ما لا يحتمله أحد، وهو ينوء تحت ثقل أربعة عشر عاماً، لا يرى فيها ليله ولا نهاره؟ ولا يجتمع بأحد من عيالاته، ولا أهله من ولده وخاصّته، وما الذي فعله موسى الإمام عليه السلام وهو لا يملك سوى كلمة الحقّ؛ ليقولها فيما إذا احتاج الحاكم إلى سماعها، ولم يحتمل سماعها بعد أن تصكّ مسامعه، وتودي بقواه من أن يواصل طريقة القهر وأُسلوب الغلبة.. وأي عزاء أجمل من التسليم، وأي تسليم أعزّ من الرضا، وأي رضا أبلغ من القبول، وإرادة الربّ تجلّل ذلك القلب الحزين بل المنكسر في طاعة الله، فيكون الإمام منظّراً لما يحتمله من مصائب تزلزل الرواسي من الجبال، وتزعزع الصيد من الرجال، والإمام في كلّ هذا ينظر إلى ما ينزل فيه بعين الرضا، ويتلقّاه بقلب صبور ليقول إلى أحد أصحابه وهو سماعة: (ياسماعة أَمَّنوا على فرشهم وأخافوني، أما والله لقد كانت الدنيا وما فيها إلّا واحد يعبد الله ولو كان معه غيره لأضافه الله عزّوجلّ إليه حيث يقول: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ

أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ فصبر بذلك ما شاء الله، ثمّ إنّ الله آنسه بإسماعيل وإسحاق، فصاروا ثلاثة، أما والله إنّ المؤمن لقليل، وإنّ أهل الكفر لكثير، أتدري لِمَ ذاك؟

فقلت: لا أدري جعلت فداك، فقال: صيّروا أُنساً للمؤمنين يثّون إليهم ما في صدورهم فيستريحون إلى ذلك ويسكنون إليه)[1].

وإذا كان المرء ذا بصيرة من أمره فلا يهمّه ما نزل به، ولا يوحشه ما انفرد فيه من الامتحان، وما داهمه من البلاء، وكيف يكون ذلك وهو يرى رأي العين عاقبة ما تؤول إليه عزّة الإيمان وذلّ النفاق.. وإذا كان إبراهيم النبي واحد عصره في الإيمان فموسى عليه السلام واحد عصره في البلاء؛ ليصطفيه الله ويمتحنه ثمّ ليكون حجّة على العالمين.

العبّاسيون.. تداعيات المؤامرة ودواعي الانقلاب:

وكانت محنة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام كمحنة أبيه «جعفر» من قبل مع حكم بني العبّاس الذين استباحوا حرمات النسب مع النبي صلى الله عليه وآله كما أنّهم استباحوا كلّ قيم الدين ومسلّمات الخلافة، وقد عاثوا في مفاهيم الأُمّة، وانكفؤوا على مقدّرات السياسة يعكفون على كلمات الحسب والقرب للنبي صلى الله عليه وآله ثمّ هم أولى من غيرهم وأقرب من سواهم، ولم يكن لآل علي الأقربين كما أشاعوا ذلك شأن في خلافة النبي صلى الله عليه وآله، فهم المنتسبون إلى النبي من العم، وآل علي ينتسبون إليه من البنت، والعم أولى والبنت أبعد، وليس للبنت ما للعم من قرابة قريبة وصلة حميمة، وهكذا كانوا يعتقدون أنّ طريقة الدجل، وأُسلوب التحايل، وزبرجة الأقوال لها شأنها

(١) الكافي ٢: ٢٤٣ ح٥.

في خلافة اعتاد الناس أن يسمعوا فيها وصاية النبي في خلفائه المصطفين، أمّا ما صوّره العبّاسيون من استحقاقهم للخلافة اليوم يناقض ما عزموا عليه بالأمس من أنّ الثورة هي «الرضا من آل محمّد»، وقد اصطلحوا ذلك في كلّ من يدخل وراثة علي من صلب فاطمة، وليس لأحد شأن في زعزعة مباني الأُمّة، آل بيت النبي الحقيقيون من آل علي وفاطمة، وليس لآل العبّاس حظّ في هذا الأمر، ولا لغيره شأن في هذا المقام، لكنّها مؤامرات السياسة وطريقة الانقلاب.. وفي هذا العرض سنقف عند بني العبّاس من ملوك القهر وخلفاء الغلبة، وكيف كانت لهم علاقة التنكيل بآل علي الأئمّة، وطريقة التشريد مع أشياعهم، والتهميش لأتباعهم، حتّى لاحقوهم في كلّ بقعة، وطاردوهم تحت كلّ نبعة، وأنهكوهم قتلاً وسجناً وتشريداً، فكان عاقبة أمرهم أن فاء الناس إلى آل علي بعد جهد جهيد بذله بنو العبّاس في تحريفهم للحقائق والمبادئ، وقد ذهبت جهودهم سدى وأفعالهم فرطاً.

أبو جعفر المنصور خطيئة المكر وسياسة التحايل:

وكان الإمام موسى عليه السلام في بداية خلافته قد واجه بني العبّاس بأبي جعفر، ذلك الدوانيقي الذي عُرف عنه في دولته بالمنصور، فهو لقب الدولة وشارة الملك.. وكيف لا يتسمّى بما يعجبه من الألقاب وما يراه من الرموز، فهو المنصور حينما يخاطبه خاصّته ووزراؤه، وهو الدوانيقي حينما يستذكره الناس وقد اقتطع لنفسه من عطايا الجند دانقاً أي فلساً ليجمع به ثروة الانتزاء على حقوق الناس، كما انتزى من قبل على حقوق الأُمّة بإبعاد الخلافة عن أهلها –آل علي– الذين كانوا هم «الرضا من آل محمّد» حينما استجلب العبّاسيون عواطف الناس؛ ليتسلّقوا على شعار المظلومية لآل البيت فيعملون لهم ومن أجلهم، فلمّا وصل الأمر إليهم أو وصلوا إليه بكلّ ما يملكون كان آل علي تشرّدهم هواجس العبّاسيين الغارقين في السلطة، والعاكفين على مقاتلة من خالفهم حتّى لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله، فكانوا

يقاتلونه في ذرّيته، ويلاحقونه في أولاده، فكان موسى بن جعفر عليهما السلام ذلك الانموذج الذي تعرّض لصنوف الاضطهاد وأنواع التنكيل.

يبتدأ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام عهده في فترة المنصور العبّاسي الذي فرغ توّاً من تصفية والده «جعفر بن محمّد الصادق» وقد دسّ إليه السُّم، وأنفذ فيه حكم السلطة التي ترى في جعفر المعارض «الصامت» خطر التهديد، ونكوص التأييد، وحتمية الانهيار، وافتضاح الدعاوى، التي ما زال بنو العبّاس ينتحلونها، والزيف الذي يداهمون به عقول الناس، وهواجس العامّة، ومشاعر الجمهور، فيتحدّرون إلى حضيض السياسة في وضع المكرمات، وينحازون إلى صفاقة الإفهام في إخماد جذوة فضائل الخصوم من آل علي، وينثالون إلى بلادة العامّة في رفع شأن نسبهم الذي تحدّوا فيه معارضيهم من آل علي.. ولم يجد المنصور بُدّاً من أن ينشب مخالب الغدر في جسد زعيم الطالبيين المقدّم، ورئيس قريش الأوحد، وفقيه الأُمّة المبرّز، ذلك جعفر بن محمّد الصادق الذي وجد فيه المنصور العبّاسي ضالّته في تصفية الرافضين له، وهم كلّ الأُمّة وجلّ التابعين، ولم يغنه ذلك شيئاً وقد ظهر في سماء الإمامة نجم لم يخبُ بعد مصرع أبيه، فاستمالت إليه قلوب العامّة، وأكبرته الخاصّة، وبقي المنصور يعاني من عقدة الذنب، وجريرة الإثم، وأُعيدت عليه دائرة السوء بما جناه واقترفه.. ولم يجد المنصور بُدّاً من الانتظار في عهد إمامة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام حتّى وافى المنصور أجله ليكون بعده ولده الملقّب بالمهدي.

المهدي العبّاسي وراثة العداء والتنكيل:

ولم يرث المهدي العبّاسي من أبيه غير سياسة الإرهاب، ومغامرات التنكيل والمطاردة لآل علي، فهو يطمح لإكمال سياسة والده، ويحرص على مداهمة العلويين أينما كانوا، فقد ظنّ أنّ ذلك أتمّ لحكمه وأدوم لملكه.. ولعلّ المهدي

العبّاسي أوّل من ابتكر التنكيل الإعلامي في شأن العلويين، إذ لم يجد نفعاً في مطاردتهم وقتلهم، فلعلّ هذا يجعل شيعتهم أكثر إصراراً، وأشدّ ثباتاً، وأمكن عوداً لمواجهة تحدّيات الحاكم وسياسة التنكيل.. لكنّه أراد أن يتمّم أُطروحة التنكيل أكثر بالانتقاص بهم، وملاحقة مكرماتهم، على صعيد الأدب، كما هي على صعيد التكذيب بالوضع والتحريف.

وإذا سمح الأديب أن يجعل من نفسه أداة السلطة، فكيف يسمح لأدبياته أن تكون جزءاً من مؤامرات الحاكم تشفّياً بمعارضيه وتنكيلاً بمناوئيه، وأي أديب رضي أن يزجّ أدبه في غمار المهاترات السياسية، فهو سيدرك وضاعة شخصه وعدم احترام أدبه، وإذا كان الشاعر سفير الكلمة، وباعث هواجس الناس إلى الجمال، وأي جمال أجمل من الحقّ، وأي حقيقة أحقّ من الصدق، وأي صدق أجلى من المعروف، وأي معروف أسدى من الإحسان، والإحسان أن تسدي لصاحبك قول الحقّ وبيان الواقع، وإذا خالف الشاعر كلّ ذلك فقد خان أمانته وانتهك شرفه، فهذا هو دور الشاعر والأديب في موقفه من الأحداث أن يكون صادقاً لا عارضاً لمواهبه إزاء ثمن بخس ومتاع زهيد.. وكان بعضهم أي بعض الشعراء المتاجرين بملكاتهم وكراماتهم ينتهكون كرامة الغير، من أجل الحصول على ما يغدق عليهم المهدي العبّاسي من متاع مؤقّت وثمن قليل.. كان بشّار بن برد انموذجاً لهذه الانتكاسة الأخلاقية الأدبية، فقد تبرّع بموهبته، وضحّى بإمكانيته، ليكون ناطقاً باسم المهدي العبّاسي في إيذاء أهل البيت، والتحرّش بهم وانتقاصهم؛ ليجعل حقّ الخلافة في بني العبّاس ويبعدها عن آل علي، بقياسات باطلة، وأدلّة هزيلة، فقال من قصيدة له:

ياابن الذي ورث النبي محمّداً	دون الأقارب من ذوي الأرحام
الوحي بين بني البنات وبينكم	قطع الخصام فلات حين خصام
ما للنساء مع الرجال فريضة	نزلت بذلك سورة الأنعام

أنى يكـون وليـس ذاك بكائـن لـبـني الـبـنـات وراثـة الأعـمـام

فأجازه المهدي على ذلك بسبعين ألف درهم..[1].

وليس الأمر هكذا إذ لا تؤخذ الأشياء ببلادة الأقوال، ولا بصفاقة الأفعال، إنّما الأُمـور تؤخذ بحقائقها ومبادئها، أما أن يتعدّى على القرآن ويُعتدى على السـنّة بتقرير شعري ينطلق من نفس عارمة بالجشع، مذعنة للطمع، فإنّ ذلك خلاف ما أتت به حقائق الخلافة...

ولنا في هذه الأبيات وقفة وهي اختلاف المؤرّخين في منشـدها فهل هي لبشّار بن برد، أم لمروان بن أبي حفصة، وقد ردّ على مروان هذا جعفر بن عفّان المعاصر للإمام الصادق عليه السلام بقوله:

لِمَ لا يـكـون وإن ذاك لكـائـن لـبـني الـبـنـات وراثـة الأعـمـام
لِلبنت نصـفٌ كامـل من مالـه والـعـم مـتروك بـغـير سـهـام
مـا للطـلـيـق وللتـراث وإنّـمـا صلّى الطليق مخافة الصمصام

ولعلّ هذا الخطاب كان متداولاً في كلّ عصر عبّاسي، فلعلّ البيت لمروان بن أبي حفصة وقد استخدمه بشّار بن برد مضمّناً قصيدته...

وهذا التسابق بين شعراء العبّاسيين وشعراء العلويين يكشف عن لجاجة العبّاسيين في تشويه الحقائق، ودفعها إلى الإنكار، وتشكيل مقتنص الأفكار في أدب الناطقين باسم الدولة، ومتاجري الأوهام.. وكان لمروان بن أبي حفص موقفاً عنيفاً في إنكار الحـقّ، وإبطال الواقـع، والتمرّد على مبتنيات الأُمّة وثوابتها، فقد أنشـد قصيدته للمهدي العبّاسي التي يقول فيها معرّضاً بأهل البيت عليهم السلام:

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام الشيخ باقر شريف القرشي ١: ٤٤٥.

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفّكم أو تسترون هلالها
أو تدفعون مقالة عن ربّكم جبريل بلّغها النبي فقالها
شهدت من الأنفال آخر آية بتراثهم فأردتم إبطالها

فلمّا سمع ذلك المهدي زحف عن مصلّاه حتّى صار على البساط وهو لا يملك نفسه قائلاً له: كم بيت هي؟

فقال: مائة بيت.

فأمر له بمائة ألف درهم وقال له: إنّها لأوّل مرّة أُعطيها شاعر في خلافة بني العبّاس[1].

وإغداق الأموال على مثل هذه المماحكات الدعائية يستجلي ذعر العبّاسيين من تهديد العلويين لدولتهم، ولم يكن هذا التهديد بالسلاح والعتاد، بل هو في سلب شرعية العبّاسيين المدعاة بعد بيان شرعية آل علي المستباحة بنكران العبّاسيين حقوقهم...

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام والخارطة الفدكية:

أرعب العبّاسيين موقف الإمام موسى بن جعفر عليه السلام من تحديد فدك، فقد استغلّ الإمام عليه السلام موقف المهدي العبّاسي في تظاهره عند تصدّيه لمظالم العامّة، ليُعلن ممارساته الدعائية في بدأ مهده، متظاهراً بإرجاع الحقوق إلى أهلها، ومدّعياً بعدالته «المفقودة»، وقد أراد الإمام أن يكشف زيف ما يدّعيه، فهو إن أراد أن

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ١: ٤٤٦.

يرجع مظلمة الناس فما باله لا يرجع مظلمة رسول الله في ولده؟ وإن أراد أن ينتصف للمظلومين فما شأنه يغضّ الطرف عن حقوقهم؟ وإذا كان الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام قد أرعب المهدي في مطالبته بفدك، فقد أرعب قلوب القادمين من بني العبّاس ليبشّرهم من أنّ في أعناقهم حقّ النبي في ولده، وقد غصبوه وغمطوا حقّه، وانثالوا على مسلّمات الخلافة فتوارثوها بغير حقّ، وكأنّهم لم يسمعوا بما رواه المؤرّخون من أنّ العبّاس جدّهم حثّ علي جدّ العلويين أن يأخذ البيعة له ويعطيه التسليم ويفوّضه الانقياد، ولو كان في خلد العبّاس شيء من استحقاق الخلافة لما أقرّ بها لابن أخيه، ولما سكت عن حقّه، لكنّه علِمَ أنّ الأمر في علي لا ينازعه إلّا مفتر، ولا يواجهه إلّا مخادع، ولا يسعى إليه إلّا مكابر، فكان العبّاس أحد من سلّم الأمر لعلي يوم ذاك فما بال أبنائه يتسابقون على الإنكار ويتمادون في الغي، ويتدافعون على الوقيعة لقلب الحقائق واختزام الحقوق؟! ولعلّ رسالة الإمام كانت إنذاراً خطيراً في التعريف بحقوق أهل البيت وهم أحقّ من غيرهم بالخلافة، وأولى منهم بالرئاسة، وقد تقدّمهم العبّاسيون نهباً لحقوقهم، وسفكاً لدمائهم.. كان الإمام موسى عليه السلام يراقب الأحداث، ويرصد ما تؤول إليه الأُمور ويقرأ بعين الغيب ما يرتكبه العبّاسيون من مخالفات الدين، وادّعاء الحقوق، وكيف أنّ هؤلاء يتجرّؤون على قدس النبي، ويصادرون النسب الأطهر إلى مصالحهم الحالمة بالاستيلاء على كلّ شيء من أرض الله الواسعة حتّى يخاطب هارون سحب السماء: «أينما تمطرين ففي أرضي» وكأنّ غرور هارون يدفعه لتملّك الدنيا شرقها وغربها، لا لشيء بل للملك وحده، هذه هي جنون العظمة، وهذا خيلاء الجبابرة، يمتطون صهوة جواد جامح، يسوقون الناس من خلاله، ويقودون الأُمّة عبيداً طائعين ناكسين.. كان المهدي العبّاسي يجلس لردّ المظالم، وكان الإمام موسى عليه السلام يسعى إلى بيان الحقائق؛ لئلّا ترتطم الأُمّة بدعاوى العبّاسيين، ودجل المدعيين، ويحاول الإمام أن يسأل المهدي العبّاسي عن مظلمته لِمَ لا ترد فصاح به: (ما بال مظلمتنا لا ترد؟!

قال المهدي: وما ذاك ياأبا الحسن؟

فقال عليه السلام: فدك.

قال المهدي: حدها لي.

قال الإمام: حدّ منها جبل أُحد، وحد منها عريش مصر، وحد منها سيف البحر، وحد منها دومة الجندل.

فقال المهدي: كلّ هذه حدود فدك؟

قال الإمام: نعم.

قال المهدي: هذا كثير أنظر فيه)[1].

هذه هي حدود دولة الإمام كلّ البقعة الإسلامية يتزعّمها الإمام لوراثة جدّه، ولمؤهّلاته في قيادة الأُمّة، فكان الإمام ناجحا في إعلان هذا البيان الذي تلاه على مسامع المهدي؛ ليتناقله الزمن إلى كلّ الأسماع، وليعرّف الجميع أنّ الإمام كان يجاهد من أجل تخليص الأُمّة من براثن الظالمين، ومطامع الغاصبين.

ولم أجد في هذا المقام من تعبير يليق بهذا الموقف غير القول بشجاعة الإمام ورباطة الجأش، وعلو الهمّة التي كان يمتلكها على امتداد فترة حياته المجاهدة، وكان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام معروفاً بعزمة الحقّ، ونكران الباطل، والتصدّي لشبهات السلطة التي ما برحت مدعياتها تأخذ طريقاً في أذهان السذّج ونفوس البسطاء، ولم يزل موقف الإمام من حدود فدك يتداوله التاريخ فيقرّض صاحبه كأحسن ما يكون المقاتل في خضمّ الدفاع عن مبادئه ومناهضة غاصبيها.. وهكذا

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن عمدة الأخيار في مدينة المختار: ٣١٦.

هي كلمات الإمام عليه السلام أشــدّ وقعاً من مجالدة الســيوف، ومقارعة الحتوف عند أُولئك العبّاســيين، الذين ما فتؤوا يؤسّســون لدولتهم على مخالفة ثوابت الخلافة، ومباني الإمامة، فكانت ثورة الإمام موســى بن جعفر عليهما السلام في ترسيخ هذه الخارطة الفدكية هي من أهمّ ما أنجزه في مرحلة العبّاسيين الصاخبة بالتحدّي لأهل البيت، والمناهضة لحقوقهم.

الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ونظرية العمران

احتاج العبّاســيون إلى أئمّة أهل البيت كما احتاج أســلافهم من قبل، فالخليفة لا يعــدو منفّذاً لآراء الأئمّة، والحاكم لا يحيد عن فرصة التحدّي التي تثقل كاهله لتكوي كبريائه الممتهن تحت زحمة الحاجة إلى ســؤال الإمام عن كلّ معضلة ألمّت به، والسلطة لا تقوى بنفسها على مجابهة أخطار التحدّي الذي يداهمها في السؤال عن قضية، أو الإفتاء في مســألة، أو البتّ في حكم، دونما إرجاع الأمر إلى الإمام الحاضر الذي يقود ســفينة النجاة بالأُمّة إلى مرابع الأمان، ويســتنقذها من طيش عاديات الأزمان، والإمام أي إمام لا يســعه إلّا أن يســدّد ذلك الخليفة، أو هذا الســلطان، لا لشــيء سوى أنّه يرى من نفســه القائد الحقّ للأُمّة، وولي ولايتها، والقائم بأمرها، ولا يدع السلطان يتخبّط في القرار دونما ينفذ رأيه إليه، وهو الممتن عليــه، بل على الأُمّة جمعــاء ليحفظ بذلك دين الله، وليفي بعهده عند رســول الله، فهو وصيّه والقائم بأمره.. وكم كانت مقولة عمر المحرج من تداعيات المســألة ومخــاض المعضلات، حتّى يعلن رافعاً عقيرة الاعجاب «لا أبقاني الله لمعضلة ليس فيها أبو حســن»، وكان أبو حسن حقّاً وفياً لرسالة ربّه، لا تخالطه عزماته أضغان الحاقدين، ومعاندة الغاصبين، حتّى لا يدّخر نصيحة ما لم يســخّرها لهذا الموقف، أو لذلــك الحدث الذي يهدّد الدولة، ويزعزع الأُمّة، وهكذا أولاد علي من الأئمّة الهداة يســتحثّون الخطى علــى منهاج علي الإمام، يــوم كان لا يجد مندوحة في

السكوت عند تهديد الأُمّة أخطار التحدّي، وكان موسى بن جعفر عليه السلام يأخذ دور جدّه علي بن أبي طالب في النصيحة وكان المهدي العبّاسي بل كان العبّاسيون يأخذ دور أسلافهم في الحاجة إلى الإمام.

كان المهدي العبّاسي محرجاً في أمر المسجد الحرام إبّان توسعته، فهو محكوم باسترضاء العامّة من أهل البيوت المحيطة بالمسجد الحرام، ولم يجسر على مصادرتها خوف الانقضاض عليه، ولم يعمد إلى خرابها خوف الوقيعة فيه، وهو يتظاهر بالحرص على إرجاع المظالم إلى أصحابها، فكيف يعمل والأمر لا يحتمل إنهاك الحقوق أكثر ممّا هو عليه.. ولا يصبر حتّى يضيف إلى سمعته إنجازاً جديداً من توسعة المسجد أو غير ذلك، عندها استغاث بالإمام موسى بن جعفر عليه السلام في حلّ معضلة امتناع الناس من السماح بأمر التوسعة، والتخلّي عن بيوتهم، وحكم الفقهاء بعدم جواز التعصّب، ولم يكن لدى فقهاء البلاط غير هذا، فاستنجد بالإمام الكاظم عليه السلام فأجابه الإمام: «إن كانت الكعبة هي النازلة بالناس، فالناس أولى ببنائها، وإن كان الناس هم النازلون بفناء الكعبة، فالكعبة أولى بفنائها»، وبهذا استطاع المهدي حلّ هذه المعضلة.. وقد أُشكل على المهدي أمر الخمر وأدلّة حرمتها، وهذا لعمري أعجب ما عرفته عن عجز هؤلاء المتصدّين للخلافة، إذ لا ينبغي لخليفة النبي أن يغفل عن مقصود النبي صلى الله عليه وآله وإرادته فسأل المهدي هذا السؤال:

هل الخمر محرّمة في كتاب الله؟ فإنّ الناس إنّما يعرفونها ولا يعرفون التحريم.

قال الإمام: بل هي محرّمة في كتاب الله.

قال المهدي: في أي موضع هي محرّمة؟

قال الإمام: قول الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ

وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ ثمّ قال:

أمّا قوله: «ما ظهر منها» يعني الزنا المعلن، ونصب الرايات التي كان ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهلية، وأمّا قوله: «وما بطن» يعني ما نكح الآباء، لأنّ الناس قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وآله إذا كان للرجل زوجة ومات عنها زوجها تزوّجها من بعده ابنه إذا لم تكن أُمّه فحرّم الله ذلك وأمّا «الاثم» فإنّها الخمرة والميسر بعينها وقد قال الله تبارك وتعالى في موضع آخر: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ فأمّا الإثم في كتاب الله فهو الخمر والميسر وإثمهما كبير».

الهادي العبّاسي عهد جديد من التنكيل:

ولم يكن الهادي العبّاسي بأفضل من سابقيه، فقد ورث كلّ ما خلّفه له أسلافه من العداوة لآل البيت، بل الاستخفاف بحقوقهم، ولم يقتصر الهادي على ما ورثه عن جدّه وأبيه، بل زاد في أن يجتهد ليبالغ في الاعتداء على حقوق آل البيت، وما يتعلّق بشأن الأُمّة، وما تفرضه عليه قيم الدين، وما تؤول إليه أخلاق المسلمين، بل هو تجاوز حدود الإسراف في كلّ شيء، حتّى سنّ للآتين ما لا يتظاهر به أسلافه السابقين، فلعلّ كان العبّاسيون يتظاهرون بشيء من الدين وأن لا يعلنوا ما يرتكبوه في الخلوة، وما لا يتجرّؤوا عليه عند العامّة، فكانت مجالس أُنسهم من وراء حجاب، وكان تعاطي خمرهم في مقصورات السلطان التي تبتعد عن الأنظار، وكانوا يظهرون الزهد، ويتظاهرون بالصلاح، ويتداولون الإصلاح إلى غير ذلك من مظاهر الدين ليكون في بادئ عهدهم وقاية لهم من نقد الخاصّة، وافتضاح أمرهم عند العامّة، وكانوا ينافقون لئلّا يظهروا ما يخالف الحرمات، ولم يجد الهادي العبّاسي بُدّاً في انفراط هذا الالتزام، ولم يجد حيلة في خلاف ما هو عليه من المجون والعبث،

وإظهار الرغبة في إعلان شهوته أمام العامّة، وممارسة نزواته مع الخاصّة، حتّى بات لم يراع ما عليه آباؤه من إظهار النسك، والتعلّق بالزهد، والرغبة عن الشهوات، مع ما هم عليه من واقع العبث، والاشتهار بالقصف واللهو، وركوب كلّ المحرّمات، وممارسة المشتهيات إلى غير ذلك ممّا عرفه الناس، واشتهر بين العام والخاصّ.

فكان من الغرور والطيش والنزق ما بدا للعامّة من تماديه «ومن مظاهر ذلك أنّه كان إذا مشى مشت الشرطة بين يديه بالسيوف المشهور والأعمدة والقسي الموتورة، ليظهر بذلك أُبّهة الملك والسلطان، والعلو على الناس»[1].

ولم يجد مع الطيش غير الخلاعة والمجون، فكان «قد أقبل على الدعارة واللهو، فبذل الأموال الضخمة بسخاء على شهواته وطربه، فقد أعطى إبراهيم الموصلي خمسين ألف دينار؛ لأنّه غنّاه بثلاثة أبيات أطربته، وغنّاه بصوت فأطربه، فوهب إليه ثلاثين ألف دينار، وقد كلّف بالغناء كلفاً شديداً فصرف الكثير من خزينة الدولة على المغنّين، وقال إسحاق الموصلي: لو عاش لنا الهادي لبنينا حيطان دورنا بالذهب، وتهالك على شرب الخمر، فكان أوّل خليفة عبّاسي أُغري بالخمر، وتبعه على ذلك الرشيد، وسائر ملوك بني العبّاس بعده»[2].

عداوته للعلويين:

وقد أضاف الهادي العبّاسي إلى عبثه في الحرمات عبثه في الأنفس والأرواح، وقد راح يبحث عن كلّ ما يلبّي شهوة المجون، كما راح يبحث عن كلّ ما يلبّي شهوة الانتقام، فقد كان ماجناً فحّاشاً عابثاً، ثمّ هو حاقداً فاتكاً منتقماً من أعدائه،

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام للشيخ باقر شريف القرشي.

(٢) م.ن.

وكانت له غلظة وشـــدّة وفتك، اســـتخدمها في مجابهة أعدائـــه، وترويع معارضيه، وتنكيـــل مناوئيه، غير آبهٍ بدين، وغـــير عابئ برحم، حتّى عرف ما فعله بآل علي من التنكيل، وما شـــهده أتباعهم من الترويع، وكانت (فخ) شـــاهدة على كلّ ما جرى لهؤلاء النفر من العلويين، حينما وضع فيهم السيف، بعد ما وضعوا عنه كلّ إلٍّ وذمّـــة؛ ليخرجوا عليه متعاهدين على إيقاف ما فعله بهم من الجهر بعقوبتهم، والإعلان في توبيخهم، والمكايدة لهم في كلّ الأحوال، «وقطع ما أجراه لهم المهدي مـــن الأرزاق والأعطية وكتب إلى جميع الآفاق في طلبهم وحملهم إلى بغداد»[1] ولم يكن من شيء حفظه لنا تاريخ الهادي الإرهابي بأشدّ ممّا حفظه من وقعة فخ تلك المجزرة الرهيبة التي لم يشـــهد مثلها بعد واقعة الطف كما نسب ذلك للإمام محمّد بن علي الجواد عليه السلام فقد أظهر الحسين بن علي قتيل فخ كلّ شجاعة مع تحرّجه في الدين، وأظهر الهادي العبّاسي كلّ حقد وعداء مع هتكه للدين والحرمات، حيث «دارت معركة رهيبة عند فخ قاتل فيها الحســـين بن علي حتّى استشـــهد، ثمّ احتزّ العبّاســـيون رأس الحسين ورؤوس أصحابه، وبلغ عدد الرؤوس أكثر من مائة رأس، وقدموا بها إلى قوّاد الجيش العبّاسي، وكان عندهم جماعة من ولد الحسن والحسين، وسأل العبّاسيون موسى بن جعفر عليهما السلام أن يشير إلى رأس الحسين فأشار إلى رأسه وقـــال: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، مضى والله مســـلماً صالحـــاً، صوّاماً قوّاماً، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، ما كان في أهل بيته مثله...»[2].

ولم يكن موسى بن جعفر عليهما السلام ترهبه سياسة القتل التي انتهجها الهادي العبّاسي في قولة الحقّ، وشـــهادة الصلاح في قتيل فخ؛ ليتحدّى في ذلك سياســـة الهادي الذي طالما عبث في مقدّسات الأُمّة، ومسلّمات الدين.

ولم يعد الهادي العبّاسي سوى خائفاً مرهوباً بعد واقعة فخ، تؤنّبه أفعاله، وتوخزه

(١) المصدر السابق.

(٢) جهاد الشيعة: ٢٦٨.

شقوته التي أرهقت دولة بني العبّاس، حتّى راحت تدفع ثمن خطيئتها، وسوءة عملها، ولم يستطع هؤلاء إلّا أن يستسلموا لتأريخ لم يذكرهم إلّا بالجريمة والجرأة على الحرمات، ويصفهم بالتعدّي والطغيان، ولم يكونوا سوى محترفي إرهاب، يتعاطون القتل ويتداولون الانتقام.

دعاء الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لدفع غائلة الهادي العبّاسي:

ولم يجد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام غير التوسّل بالله تعالى أن ينجيه من كيد هذا الطاغي، الذي فرغ توّاً من مجزرة فخ؛ ليستأصل آل علي بما فيهم الإمام، وكان متّهماً للإمام بأنّه المحرّض للثائر العلوي، وهو الذي دفعه للخروج حيث قال: «والله ما خرج حسين إلّا عن أمره، ولا اتّبع إلّا حجّته؛ لأنّه صاحب الوصية في أهل هذا البيت، قتلني الله إن أبقيت عليه»[1].

ولم يُرهب تهديد الهادي الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، بل تلقّاه بكلّ اطمئنان وهو يردّد:

زعمت سخينة أن ستغلب ربّها ... وليغلبنّ مغالب الغلّاب

ثمّ يستشهد بهذا القول:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً ... أبشر بطول سلامة يا مربع

وقد عنى الإمام عليه السلام عدم اكتراثه لتهديد الهادي العبّاسي والتقليل من أهمّيته.

ولم تنته الأُمور إلى هذا الحدّ، بل عزّز الإمام صموده وثباته أمام هذه التحدّيات

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر: ٤٧٢.

الخطيرة بأن توجّه إلى الله تعالى ليعينه على ما هو فيه، وأنّ الاعتماد عليه سبحانه لا يبقي للطغاة وعنفهم سوى إذلالهم وضعفهم، ولابدّ أن يكون الارتباط بالله في كلّ مهمّة من مهام الحياة، أو شأن من شؤونه، أو حركة من حركاتها، وقد أراد الإمام أن يثبت ارتباطه بالله حينما يتوجّه إليه مكروباً، ويسأله مغموماً، ويستعين به وحيداً، ويستنصره ضعيفاً، ويرجوه محتاجاً، ثمّ هو يتوجّه له بالدعاء ويطلبه بالمسألة، ويستصرخه بالانكسار، فيقول متضرّعاً خاشعاً خائفاً مرهوباً من جلاله وقدسه: «إلهي: كم من عدو انتضى عليّ سيف عداوته، وشحذ لي ظبة مديته، وأرهف لي شبا حدّه، وداف لي قواتل سمومه، وسدّد نحوي صوائب سهامه، ولم تنم عنّي عين حراسته، وأضمر أن يسومني المكروه، ويجرّعني ذعاف مرارته، فنظرت إلى ضعفي عن احتمال الفوادح، وعجزي عن الانتصار ممّن قصدني بمحاربته، ووحدتي في كثير من ناواني، وإرصادهم لي فيما لم أعمل فيه فكري في الإرصاد لهم بمثله، فأيّدتني بقوّتك، وشددت أزري بنصرك، وفلّلت لي شبا حدّه، وخذلته بعد جمع عديده وحشده، وأعليت كعبي عليه، ووجّهت ما سدّد إليّ من مكائده إليه، ورددته، ولم يشف غليله، ولم تبرد حرارات غيظه، وقد عضّ عليّ أنامله، وأدبر مولّياً قد أخفقت سراياه، فلك الحمد يا ربّ من مقتدر لا يغلب، وذي أناة لا يعجّل، صلّ على محمّد وآل محمّد، واجعلني لأنعمك من الشاكرين، ولآلائك من الذاكرين.

إلهي: وكم باغ بغاني بمكائده، ونصب لي أشراك مصائده، ووكل بي تفقّد وعايته، وأظبأ إليّ إضباء السبع لطريدته انتظاراً لانتهاز فرصته، وهو يظهر لي بشاشة الملقا، ويبسط لي وجهاً غير طلق، فلمّا رأيت دغل سريرته، وقبح ما انطوى عليه بشريكه في صلبه، وأصبح مجلباً إليّ في بغيه، أركسته لأُمّ رأسه، وأثنيت بنيانه من أساسه فصرعته في زبيته، وأرديته في مهوى حفرته، ورميته بحجره، وخنقته بوتره، وذكيته بمشاقصته، وكبيته بخنجره، ورددت كيده في نحره، وربقته بندامته، وفتنته بحسرته، فاستخدم واستخذأ، وتضاءل بعد نخوته، وانقمع بعد استطالته ذليلاً مأسوراً في

ربــق حبائله، الــتي كان يؤمل أن يراني فيها يوم ســطوته، وقد كدت لولا رحمتك تحلّ بي ما حلّ بســاحته، فلك الحمد يا ربّ مــن مقتدر لا يغلب، وذي أناة لا يعجل، صلّ على محمّد وآل محمّد واجعلني لأنعمك من الشــاكرين، ولآلائك من الذاكرين[1]... إلى آخر الدعاء ويعرف هذا الدعاء بـ(دعاء الجوشــن الصغير) رواه أكثر من واحد من علمائنا رضوان الله عليهم.

انّ اســتعراض هذا الدعاء يقدّم لنا نموذجاً من بلاغة الإمام موســى بن جعفر عليهما السلام، ومعارفــه وتكامله في الارتباط بالله، واســتعداده لقبول فيوضاته ســبحانه، فالمعرفة التي يحملها الإمام تشير إلى نبوغه في خطابه لله تعالى، ومعرفته في التعاطي مــع الأحداث، وكيف يوكلهــا لله تعالى ويثبت أنّ الأمر لله مــن قبل ومن بعد، والدعاء وسيلة الرضا، وطريق الوصول إلى قبوله سبحانه، فهو محتاج إليه، ضعيف لديه، يرجوه خائفاً، ويسأله مسكيناً، ويناجيه مكروباً.

وهكذا ينتهي الأمر بالهادي العبّاسي ليكون هلاكه بعد إخبار الإمام موسى بن جعفــر عليه السلام أصحابه بقوله «ليفرّج روعكم، فإنّه لا يأتي أوّل كتاب من العراق إلّا بموت موسى الهادي».

فقالوا: وما ذاك أصلحك الله؟

قال عليه السلام: وحرمة صاحب هذا القبر وأشــار إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله قد مات موســى الهادي من يومه هذا، والله إنّه لحقّ مثل ما أنّكم تنطقون[2].

ولم تكن ســاعة إلّا والقوم يتباشرون بموت الطاغية، وهلاكه حتّى أيقنوا أنّ الأمر لا يتعدّى عن استجابة دعاء الإمام عليه السلام في الهادي العبّاسي.

---

(١) مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي: ١٠٠.

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: ٤٨٢.

وراثة طغيان:

ولم ينفكّ العبّاسيون من طغيان إلى طغيان يسلّطوه على رقاب الناس، ومقدّرات الأُمّــة، وحرمات الدين حتّى يربض على صدور النــاس هارون، ذلك الذي جمع طغيان الأوّلين والآخرين من بني العبّاس؛ ليذيق الناس مرارة الظلم، وفداحة الجور، ومقولة الباطل حينما كان ينسب نفسه إلى الرشد فتلقّب بالرشيد.

ولم يكن الإمام موســى بن جعفر عليه السلام بمنأى عن طائلة طيش هارون، وســطوة غروره، ولم يشــأ هارون أن يخفي خوفه وهلعه من وجود الإمام موســى عليه السلام، وقد هفــت له قلوب الناس وعظّمته الأُمّة، واســتطالت إليه الأعنــاق وهو يُلقي من أحاديث جدّه ما يلقيه، وينشــر من علوم آبائه ما أبهر الأسماع، ويرشــد الناس ما أخفقت القلوب بحبّه، وأكبرته النفوس إعظاماً وخشــوعاً، ولم يزل هارون يخشــاه حتّى قيل: إنّه لقّبه الرشــيد عند الكعبة، فلم يقم له حتّى وقف الرشــيد على رأسه فقال: أنت الذي يبايعه الناس؟

قال: نعم، أنا إمام القلوب، وأنت إمام الجسوم[1].

والإمام موسى بن جعفر عليه السلام يجابه هارون حينما يبدي قلقه من تزايد محبّة الناس للإمــام، وقد جرّد هارون من محبّة الناس وارتباطهم به على أســاس العلاقة المجرّدة بينه وبين رعاياه، الذين لم ينظروا إليه بعين الرضا، ولا يتعاملون معه بالقبول؛ لفقده أهلية الخلافة، وشرعية الإمارة.

ومهما يكن من شــيء فإنّ هارون لم يخش إعراض العامّــة عنه، ومقتهم إيّاه، بقدر ما يخشى تعاظم محبّتهم لموسى بن جعفر عليه السلام، وتسليمهم له، واعتقادهم به.

(١) مستدركات عوالم العلوم: ٢٤٢.

القلق المتزايد:

لم يكد هارون العبّاسي يخفي قلقه المتزايد بتصاعد الثورات العلوية، وبالأحرى الرفض الشعبي المتزايد من قبل الأُمّة، فهارون يقرأ رغبة الناس بآل علي رفضاً له، ولمشروعه الدموي الذي أطاح برموز المعارضة العلوية، حيث نهاية العديد من العلويين على يد ولاته، خصوصاً بكّار الزبيري الذي نفّذ حقده بالعلويين في سياسة التصفية التي أرادها هارون، وقد وصفه الطبري بشديد البغض لآل أبي طالب، حيث قال: «وكان بكّار شديد البغض لآل أبي طالب، وكان يبلّغ هارون عنها ويسعى بأخبارهم، وكان الرشيد ولّاه بعض المدينة وأمره بالتضييق عليهم»[١].

قام بكّار الزبيري بتنفيذ سياسة التصفيات للعلويين على يديه بمباركة هارون، وكان الأخير يجد في بكّار الزبيري أداةً مهمّةً في تنفيذ هذه السياسة الدموية من البطش بالبيت الهاشمي حيث «بدأ بكّار الزبيري سياسة اضطهاد العلويين في المدينة، فقبض على محمّد بن يحيى بن عبد الله في شهر رمضان، وكبّله بالأغلال، وسجنه وظلّ مسجوناً حتّى مات في سجنه، كما قبض بكّار أيضاً على الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وضربه ضرباً مبرحاً حتّى لقي حتفه»[٢].

ولم يكتف هارون بأداة القمع -والي المدينة بكّار الزبيري- حتّى نفّذ هو بيده بعض تصفيات العلويين حيث «كانت نهاية حياة العبّاس بن محمّد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب على يد الخليفة هارون الرشيد، فقد استدعاه الخليفة إلى بغداد وأخذ يحاوره ويناظره، وثار غضب الرشيد عليه، فصاح فيه، يا ابن الفاعلة، فعيّره العبّاس بأُمّه لخيزران، وقد كانت جارية قد تزوّجها المهدي، فقال العبّاس: تلك أُمّك التي تواردها النخّاسون، فأمر الرشيد بضرب

(١) تأريخ الأمم والملوك ٦: ٤٥٢.

(٢) جهاد الشيعة: ٢٩٨.

العبّاس بعمود من حديد حتّى هلك»[١].

وإذا كان الأمر كذلك فما بالك بشيخ الهاشميين وعميدهم موسى بن جعفر عليهما السلام الذي تقول أكثر الأُمّة بإمامته، ولم يكن ذلك مريحاً لهارون وهو يرى من ينافسه على طاعة الناس له، والبخوع بإمامته، والركون إلى خلافته، والقول بأحقّيته، وسيدعو ذلك هارون إلى البحث عن أقرب فرصة مؤاتية للقضاء عليه، أو تحديد تحرّكه؛ ليتسنّى له القضاء على هيبته، أو الحدّ من محبّة الناس له، فكان يسعى في قتله بأي طريقة يختارها لمعارضيه، ويوجّههم ليموتوا على طريقة هارونية معروفة، أو محصورة بين السيف وبين السم.

لكن هذه المرّة لم يقف أحد على طريقة التصفيات المبتكرة التي ابتكرها هارون لخصومه، ولعلّ كان جهده في «معالجة» أمر الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام يكشف عن قَلَقين، أحدهما أشدّ من الآخر، وهما قلق حياته وبقائه طليقاً تهفو إليه قلوب الجميع، وقلق موته لتحزن عليه نفوس الجميع، ولم يكد هارون أن يبقى متحيّراً بين محذورين بقاء الإمام أو قتله، فاختار أيسرها وأضمنها بقاءً لملكه كما تصوّره، فاختار تصفية موسى عليه السلام في السجن بعد أن وجد أنّ حقده يتزايد بين لحظة وأُخرى؛ ليدفعه إلى ارتكاب المحذور دون أن يكتفي بزجّ الإمام في سجونه المظلمة، ومطاميره الغائرة في أعماق الأرض.

وصف الأصفهاني نهاية موسى عليه السلام في سجن السندي سنة ١٨٣ فروى: (أنّ السندي لفّه ببساط، وأمر بعض خدمه أن يقعدوا على وجهه حتّى مات)، وروى صاحب الفخري: إنّ الرشيد أمر بقتله على هذا النحو، حتّى لا يتّهمه الناس بقتله فقال: وكان الرشيد بالرقّة، فأمر بقتله، فقتل قتلاً خفياً، ثمّ أُدخل عليه جماعة من العدول بالكرخ ليشاهدوه وإظهار أنّه مات حتف أنفه»[٢].

(١) ن. م: ٢٩٩.

(٢) جهاد الشيعة: ٣٠٢.

هذا هو هارون في حقيقته، وهكذا كان يحكم متسلّطاً على أُمور المسلمين، ونحن لم نتعرّض إلى مصير الإمام موسى بن جعفر عليه السلام على يد هارون إلّا على أساس الاشارة والتلميح ونترك التفصيل إلى محلّه، لكن الذي يهمّنا أن نقف عند نزعة المؤرّخين الذين أرّخوا لهذه الحقبة المؤلمة دون أن يقفوا موقف المسؤول في البحث الجادّ عن تداعيات سياسة هارون حيال الآخرين ممّن لم يوافقه على طريقته، ولم نعبّر عنهم بالمعارضين لنجد أنّ موقف هؤلاء المؤرّخين يتّسم بالتحيّز وعدم الموضوعية، ذلك أنّ ثقافتهم بُنيت على الاعجاب بشخصية الخليفة، أو فقل: إنّهم يحاولون تنزيه هؤلاء رغم ما تشهد به سيرتهم من الانحلال والعبث، وما عرفوا به من المجون والانحراف، ولعلّ في سيرة هارون العبّاسي ما يغني عن مظنّة البحث في هذا المجال.

هارون العبّاسي.. وانبهار المؤرّخين:

لم أجد في حدود بحثي خليفة من خلفاء الأمويين والعبّاسيين كما وجدت في هارون العبّاسي من هيمنته على بعض المؤرخين المسلمين وانبهاره به كأفضل خليفة إسلامي علماً، وورعاً، وثقافة، وتنظيماً، وقل ما شئت من أسباب الحياة العمرانية التي كان يتمتّع بها هارون على أساس المخيّلة التاريخية، وما نسجه المؤرّخون له من ثوب التقوى، وما صوّروه من سمت الورع، وما سطّروه من حكايات الإبداع في العلم، والتضلّع في الفقه، والتفقّه في الدين، وهم مع هذا يروون عنه مغامرات المجون، ودواعي العبث، ومنتديات الغناء التي كان يعرف بها، بل كانت تعرف بها بغداد لشدّة ما تأثّرت بخليفتها الذي يتظاهر بالدين ويرتكب محاذيره، ولعلّك لا تجد مؤرّخاً من هؤلاء إلّا وأضاف ما فات قبله، حتّى أنّ اللاحق يضيف ما أغفله السابق، وأنّ السابق يؤسّس ما يخلفه للاحق، وهكذا تدور سيرة هارون بين انبهار السابقين من المؤرّخين، وبين نهم اللاحقين منهم في إضافة سمة الحكمة والورع

لخليفةٍ ماجنٍ وحاكمٍ عابثٍ، ورجلٍ مهووسٍ بالطرب والشراب والخلاعة، ولم يكن تقييمنا هذا مسرفاً في التوصيف، ولا موغلاً في التقريع، ولا بعيداً عن واقع عرف به هارون، وشهدت له سيرته ومغامراته.

ولابدّ لنا أن نقف عند دراسات هؤلاء -المجبولين- على تحريف الواقعة التاريخية بانغمارها في مخيّلة مسرفة بالاعجاب، ومولغة في الإصرار على تنزيه هارون، وإغداق الصفات الخيرة عليه، وستجد تناقضات المؤرّخين في قراءتهم لسيرة هارون.

ابن عساكر في تاريخ دمشق:

قال في تاريخه لهارون العبّاسي:

مرّ الرشيد بدير مروان فاستحسنه، وهو على تل تحته رياض زعفران وبساتين، فنزله، وأمر أن يؤتى بطعام خفيف، فأُتي به، فأكل، وأُتي بالشراب، ودعا بالندماء والمغنّين، فخرج الدير، وهو شيخ كبير هرم، فسأله واستأذنه في أن يأتيه بشيء من طعام الديارات، فأذن له، فإذا أطعمة نظاف[1]، وأدام في نهاية الحسن، فأكل منها أكثر أكله، وأمره بالجلوس فجلس يحدّثه وهو يشرب، إلى أن جرى ذكر بني أُميّة، فقال له الرشيد: هل نزل منهم أحد؟ قال: نعم نزل بي الوليد بن يزيد وأخوه الغمر، فجلسا في هذا الموضع فأكلا وشربا وغنّيا، فلمّا دبّ فيهما السكر وثب الوليد إلى ذلك الجرن فملأه وشرب به، وملأه وسقى به أخاه الغمر، فما زالا يتعاطيانه حتّى سكر، وملأه لي دراهم، فنظر إليه الرشيد فإذا هو عظيم لا يقدر على أن يشرب ملأه، فقال: أبى بنو أُميّة إلّا أن يسبقونا إلى اللذّات سبقاً، لا يجاريهم أحد فيه،

(١) أطعمة في غاية الجودة والعناية والاتقان ووصفت نظاف لعدم شائبة النقص فيها.

ثمّ أمر بدفع النبيذ من بين يديه وركب من وقته[١].

هذه هي سيرة هارون في العبث والشراب والغناء، ثمّ يتبعها ابن عساكر بجملة أُخرى تحكي عن زهد هارون وورعه هكذا:

وحكى بعض أصحابه أنّه كان يصلّي في كلّ يوم مئة ركعة إلى أن فارق الدنيا إلّا أن تعرض له علّة، وكان يتصدّق في كلّ يوم من صلب ماله بألف درهم، وكان إذا حجّ، حجّ معه مئة من الفقهاء وأبنائهم[٢].

ولم يكتف ابن عساكر حتّى جعله ثالث ثلاثة في الزهد والخشوع حيث قال: قال منصور بن عمّار: ما رأيت أغزر دمعاً عند الذكر من ثلاثة: فضيل بن عياض، وأبو عبد الرحمن الزاهد[٣] وهارون الرشيد[٤].

ولم نسترسل مع ابن عساكر في انبهاراته بهارون حتّى نقف عند مؤرّخ آخر.

السيوطي في تاريخ الخلفاء:

ومن الغريب أن يذكر السيوطي شخصية هارون فيصفها بالزهد، والورع، والتقوى، ومن ناحية يورد بعض ما أحدثه في هتك حرمات الله تعالى.

فقد ذكر عن سيرته: وكان يصلّي في خلافته في كلّ يوم مائة ركعة إلى أن مات،

(١) تاريخ دمشق ٣٤: ١٣.

(٢) ن. م.

(٣) وهو عبد الله بن المبارك المعروف.

(٤) ن. م.

لا يتركها إلّا لعلّة، ويتصدّق من صلب ما له كلّ يوم بألف درهم[١].

وفي موضع آخر يؤرّخ للرشيد فيذكر عبثه ولهوه وإسرافه في المحرّمات فيقول: عن ابن المبارك قال: لمّا أفضت الخلافة إلى الرشيد وقعت في نفسه جارية من جواري المهدي، فراودها عن نفسها فقالت: لا أصلح لك، إنّ أباك قد طاف بي، فشغف بها، فأرسل إلى أبي يوسف فسأله: أعندك في هذا شيء؟ فقال: يا أمير المؤمنين أو كلّما ادّعت أَمَة شيئاً ينبغي أن تصدّق، لا تصدّقها فإنّها ليست بمأمونة، قال ابن المبارك: فلم أدر ممّن أعجب: من هذا الذي قد وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يتحرّج عن حرمة أبيه، أو من هذه الأمة التي رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين، أو من هذا فقيه الأرض وقاضيها قال: اهتك حرمة أبيك واقض شهوتك، وصيّره في رقبتي[٢].

لكن عجبنا لا ينقضي حتّى من السيوطي الذي جمع أخبار زهد هارون وتقواه، وأخبار إسرافه في هتك الحرمات، وهذا من عجيب أمرهم حقّاً.

الذهبي في تاريخ الإسلام:

قال الذهبي في تاريخ الإسلام: وبلغني أنّه كان يصلّي في خلافته في اليوم مائة ركعة إلى أن مات، ويتصدّق كلّ يوم من صلب ماله بألف درهم.. ويعظّم حرمات الإسلام[٣].

ثمّ هو في موضع آخر يقول: وأخبار الرشيد يطول شرحها، ومحاسناً جمّة، وله

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٦٤.

(٢) نفس المصدر.

(٣) ن. م.

أخبـــار في اللهو واللذّات المحظورة والغناء، والله يســـامحه. قال أبو محمّد بن حزم: أراه كان لا يشـــرب النبيذ المختلف فيه إلّا الخمر المتّفق على تحريمها، ثمّ جاهر بها جهاراً قبيحاً[١].

هذا هو التاريخ الذي تقرأه بيد هؤلاء «الاعتذاريين» الذين يعترفون بقبيح أعمال هؤلاء ثمّ هم يعتذرون عنهم ويجعلونهم أهل الطاعة والانقياد ليوصلوا الناس إلى رضا الله تعالى، فهل رأيت أعجب ممّا ترى؟!

موسوعة الحضارة العربية: العصر العبّاسي لقصي الحسين:

قدّمت هذه الموســـوعة استطلاعاً عن حياة هارون العبّاسي ووصفاً لبلاطه، وما ضمّه من الترف والعبث فقالت:

كان البلاط مؤول الشـــعراء والنبهاء، وأرباب الموســـيقى والغناء، وســـواهم من الســـمار والندماء، وأصحاب اللهو ومربّي الكلاب، والديكة وغيرهم، حتّى أصبح القصـــر مركزاً لمختلف الثقافات وضـــروب اللهو، وكان في مقدّمة المطربين والمغنّين إبراهيم الموصلي وسياط وابن جامع[٢].

ثمّ يصف حال الرشيد في التقوى والعبادة بقوله: كان الرشيد من أفاضل الخلفاء، وفصحائهم، وعلمائهم، وكرمائهم، كان يحجّ ســـنة، ويغزو ســـنة مدّة خلافته إلّا ســـنين قليلة، وكان يصلّي كلّ يوم مائة ركعة، وحجّ ماشـــياً، ولم يحجّ خليفة ماشياً غيره[٣].

(١) تاريخ الإسلام لشمس الدين محمّد بن أحمد الذهبي ٥: ٣١٤.

(٢) موسوعة الحضارة العربية العصر العبّاسي ٤: ٤٢.

(٣) ن. م.

ومن جهة أُخرى يقول: كان الشاعر الماجن أبو نؤاس أحد أصفياء هارون الرشيد ونديمه المرح.. وقد وصف أبو نؤاس بطريقة واضحة كلّ الوضوح في «ديوانه» الشعري الحياة الخرافية والجميلة لهذا البلاط الذي كان يجمع بين اللذّة والمجد، وهاهو ذا أبو نؤاس يروي قصّة احتفال مشهود قاد في أثنائه الأمين نفسه طيلة ليلة كاملة رقصاً تمثيلياً منقطع النظير، شارك فيه عدد لا يحصى من القيان الجميلات، وغنّين فيه حتّى الفجر على لحن فرقة موسيقية، على حين كان المتفرّجون يشاركونهم في فرحتهم[١].

وعن الغناء والمغنّين يصف الرشيد بأنّه: فاق هارون الرشيد خلفاء العبّاسيين في ولوعه بالغناء والموسيقى، وإجزاله العطاء للمغنّين والموسيقيين، وقد جعل للمغنّين مراتب وطبقات على نحو ما وضعهم أردشير بن بابك وأنوشروان[٢].

عبدالجبّار الجومرد في كتابه: هارون الرشيد حقائق عن عهده وخلافته:

أوغل الكاتب في الدفاع عن «خليفته» هارون، وأسرف في اعتذاراته عنه، وجمع النصوص عن سيرته، فكان تناقضاً يحرجه حتّى يغضّ النظر عن الاعتذار، وهو كعادة المؤرّخين الآخرين يصفه بالورع والتقوى، ويغدق عليه صفات الخاشع الذاكر، لكنّه يصطدم بنصوص العبث والمجون، والإسراف في اللهو، التي لم يستطع أن يحجبها عن بحوثه فمثلاً حينما يذكر الرشيد في خشوعه يقول: وكان من أرقّ الخلفاء وجهاً، وأكثرهم حياءً، وأخشعهم قلباً، وأغزرهم دمعاً عند الموعظة الحسنة[٣].

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) هارون الرشيد حقائق عن عهده وخلافته: ١٨٦.

ثمّ إذا ذكر مجالس غنائه يعجز عن وصف ما كان يصفه من ولعه بالغناء، وإغرامه باللهو، ثمّ هو يتعمّد الكذب على الدين من أجل الدفاع عن خليفته، فيقول: كان [أي الرشـــيد] يعلم أنّ سماع الغناء مباح في الشرع الإسلامي، فترك لنفسه أقصى حرّيتها للتمتّع فيه، وعبّ من هذا الغذاء الروحي بقدر ما استطاع[١].

وعلم الله أنّه يعلم هذا الكاتب أنّ الغناء حرام في الشـــرع الإسلامي، لكن دافع عن خليفته حتّى أوغل، فراح يكذب على الإسلام، ويدّعي ما لم يكن في شريعته، وهذه مشـــكلة المؤرّخين الذين أولعوا بالأشخاص على حساب الحقيقة، بل حتّى على حســـاب دين الله. ثمّ يواصل هذا الكاتب قوله: ولشدّة رغبته في سماء الغناء اجتمع في قصره عـــدد كبير من الجواري المغنّيات، والعازفات على مختلف الآلات الموسيقية...[٢].

الغناء في الشرع الإسلامي:

عنونا هذا البحث بعنوان (الغناء في الشـــريعة الإســـلامية) تمشّـــياً مع ما عنونه الكاتب عبدالجبّار الجومرد وادّعى إباحة الغناء في الشـــرع الإسلامي ليعذر خليفته هارون في الاستماع إليه.

ولابدّ من تســـليط الضوء على آراء الفقهاء في الغناء، وهل هو مباح كما ادّعاه الجومرد، أو أنّه محض ادّعاء ألجأه دفاعه عن هارون؛ ليدّعي على الله ورسوله وعلى فقهاء المسلمين؟

---

(١) المصدر السابق.

(٢)

فقه البلاط:

قبل البحث لابدّ من الاشـــارة إلى أنّ هناك فقـــه البلاط، وفقهاء البلاط الذين روّجوا لفقه يجعلونه على مقاســـات الخليفة، وما يناســـب أذواقه ومشتهياته، فهم بارعون في قتل الأبرياء على أساس الفتاوى الجاهزة التي يسترخصها هؤلاء الفقهاء، وهم قادرون على أن يكون البريء متّهماً، والمتّهم بريئاً حســـبما يشـــتهيه الخليفة، فهم حاضرون في مجلس الخليفة ليخرجوا من أكمامهم أيّة فتوى، تناســـب سياسة الخليفة وذوقه.

والحادثة التي يحدّثنا بها المؤرّخون تشير إلى انتهاكات متكرّرة أحدثها فقه البلاط في إراقة دماء المسلمين، كما استطاع أبو البختري أحد فقهاء البلاط أن يفتي بقتل يحيى بن عبد الله بن الحسن العلوي في مجلس الرشيد، فعن أبي الخطّاب قال: «إنّ جعفر بن خالد حدّثه ليلة وهو في سمره قال: دعا الرشـــيد اليوم يحيى بن عبد الله بن حســـن وقد حضره أبو البختري القاضي ومحمّد بن الحسن الفقيه صاحب أبي يوســـف، وأحضر الأمان الذي كان أعطاه يحيى، فقال لمحمّد بن الحسن: ما تقول في هـــذا الأمان أصحيح هو؟ قال: هو صحيح، فحاجّه في ذلك الرشـــيد، فقال له محمّد بن الحســـن: ما تصنع بالأمان لو كان محارباً ثمّ ولّى كان آمناً، فاحتملها الرشـــيد على محمّد بن الحســـن، ثمّ ســـأل أبا البختري أن ينظر في الأمان، فقال أبو البختري: هذا الأمان منتقض من وجه كذا وكذا، فقال الرشـــيد: أنت قاضي القضاة وأنت أعلم بذلك، ومزّق الأمان وتفل فيه أبو البختري[1].

ولا نريد أن نعلّق على المشـــهد، إلّا أنّنا نتمسك بحقّنا في القول إنّ فقه السلطة غدا فقه البلاط ليتبادل الفقيه السياسي والحاكم السياسي الأدوار في تاسيس دولة الإرهاب والتعسّف.

---

(١) المصدر السابق.

ولابــدّ أن يفتون بما لا ينغّص ملذّات الخليفة، ويتماشــى مــع رغباته في اللهو والعبث، فهم يحرّفون الكلم عن مواضعه، ويضعون ما يناسب توجّهاته العبثية؛ لذا فهم يرابطون دائماً في بلاط الخلفاء؛ ليكونوا طوارئ فتيا يفتون ما يريده الخليفة وما يســتذوقه، ولعلّ ذلك يظهر جلياً إذا وقفنا على تحريم الغناء لدى جميع المسلمين، اعتمــاداً على الروايات الواردة عن النبي ﷺ في تحــريم الغناء، لكن فقهاء البلاط يفتون على خلاف ذلك ترضّياً للخليفة، وتمشّياً مع رغباته، ولم يشاؤوا أن يخالفوه، وإن خالفوا بذلك سنّة النبي ﷺ ونواهيه.

إباحة الغناء لدى فقهاء البلاط

ولعلّ ذلك يدفعنا إلى البحث عن فقه السلطة بفتاوى فقهاء البلاط، فقد حاول هؤلاء الفقهاء أن يتماشــوا مع رغبات الخلفاء في العبث والمجون، بالرغم من تحريم الخمر أو الغناء أو غير ذلك، فإنّ خلفاء البلاط أسرفوا في التمادي بحلّية المحرّمات التي نهى عنها القرآن الكريم وشدّدت عليها السنّة، ولعلّ بعض العناوين التي حلّلها أُولئك الفقهاء يوقفنا على هذا الخرق الفتوائي لدى فقهاء البلاط.

حلّية الخمر بحسب فتوى فقهاء البلاط

انّ النهــي عن الخمر يتعارض مع رغبات الخلفاء، ولم يكد الخليفة العبّاســي أن يلهو إلّا بشــرعنة لهوه هذا، وعبثيته «المشــروعة» التي ســيعالجها فقهاء السلطة، حيــث تكمن في البحث عن بدائل تبيح للخلفــاء أن يرتكبوها كمحرّمات لكن عُدّلــت إلى لهو محلّل يحقّ للخليفة أن يتعاطاه، «حتّى أصبح الادمان عليها الخمر

ظاهــرة عامّة، على الرغم من نهي القرآن الكريم عنهــا، وحضّه على اجتنابها، إذ يقول عزّ شأنه: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾. وكان من أسباب انتشارها وإقبال الناس عليها أن أدّى اجتهاد بعض فقهاء العراق إلى تحليل بعض الأنبذة، كنبيذ التمر والزبيب المطبوخ أدنى طبخ ونبيذ العســل والبُر والتين، فشــرب الخلفاء هذه الأنبذة وشــربها الناس، وتهالك بعض الناس إمعاناً في المجون على أنوعها المحرّمة بإجماع الفقهاء».

هذه هــي فتاوى البلاط لتضفي علــى عبث الخلفاء مشــروعية المعاطاة معها وارتكابها، لكي لا يبقى لأحد متّســع من الاعتراض، فالمنكر تحت طائلة الشرعنة لخلفاء الفقهاء، وممارســة البلاط، فأي حقّ يبقى لأحد في الاعتراض على هكذا منكر وأمر قبيح؟!

فقــد روي أنّ قاضي القضاة أبا يوســف التقى المغــنّي ابن جامع في مجلس من مجالس الرشيد العامّة وهو لا يعرفه، فأعجبه مظهره وظنّه أحد الفقهاء، فسأله عن بلده، فقال من الحجاز، فراح يســأله عن أخبــار فقهاء الحجاز وابن جامع يجيبه أجوبة العالم المطّلع على أخبارهم وبعض الخلاف الفقهي الذي كان بينهم، وطال الحديث بين الرجلين فقيل لأبي يوسف: إنّ الرجل الذي أطلت الحديث معه أمام رجال الدولة هو أحد المغنّين.. وفي اجتماع آخر عقده الرشــيد تقرّب ابن جامع من أبي يوســف القاضي، فابتعد هذا عنه ولم يشــأ أن يكلّمه، فأدرك ابن جامع السرّ في ذلك، وقصد أبا يوسف متعمّداً وقال له: أجبني عن سؤالي يا أبا يوسف، قال: قل، قال: هل الغناء حرام في الإسلام قال: لا، قال: هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يسمع الشعر؟ قال: نعم، قال: فلو جاء شاعر وأنشده:

يــادارميــة بالعليــاء فالسنــد أقوت وطال عليها سالف الأمد

أكان يسمعه أم ينفر عنه؟

قال: بل كان يسمعه، قال ابن جامع، فلو غنّيت لك هذا البيت هكذا -غنّى البيت بصوت عذب- هل زدتُ فيه شيئاً أم سهلت لآذانك سماعه؟

قال أبو يوسف: اعفني من هذا يرحمك الله، وابتعد عنه[١].

والعجيب أنّ أبا يوسف القاضي نزّه نفسه عن الغناء وادّعى أنّ النبي ﷺ كان يسمعه، فما معنى تحرّج أبو يوسف عن سماعه للغناء مع ادّعائه لسماع النبي ﷺ له، فالأمر أغرب من أن نقف عنده ونحلّل أبعاده، لكنّه في كلّ أحواله لا يتعدّى عن نفاق فقهاء البلاط ومماشاتهم مع ذوق الخليفة وتوجّهاته.

حرمة الغناء عند علماء أهل السنّة:

على الرغم ممّا ادّعاه أبو يوسف من سماع النبي ﷺ للغناء فإنّ الأحاديث الشريفة الواردة عن النبي ﷺ في حرمة السماع كانت هي المشهورة في مروياتهم.

روى أحمد في مسنده: حدّثنا عبد الله حدّثنا أبي حدّثنا الوليد بن مسلم حدّثنا سعيد بن عبدالعزيز ومخلد بن يزيد أخبرنا سعيد المعنى عن سليمان بن موسى عن نافع مولى ابن عمر سمع ابن عمر صوت زمّارة راع فوضع إصبعيه في أُذنيه وعدل راحلته عن الطريق وهو يقول: يا نافع أتسمع؟ فأقول نعم، قال فيمضي حتّى قلت لا، فوضع يديه وأعاد الراحلة إلى الطريق وقال: رأيت رسول الله ﷺ وسمع صوت زمّارة راع فصنع مثل هذا[٢].

(١) هارون الرشيد لعبدالجبّار الجومرد: ٢٥٥.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ج٢ ص٣٨.

ومعلوم أنّ بالأولوية القطعية يحرم الغناء، فإذا كان النبي صلى الله عليه وآله تحرّز من سماع زمّارة الراعي فالأولى عدم سماعه لآلات اللهو، بل للغناء أولى.

ومثله في النهي ما أورده أحمد في مسنده.. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ فصل ما بين الحلال والحرام الصوت يعني الضرب بالدف[١].

والفصل ما يميز بين الأشياء، فما يميز بين الحلال والحرام هو الغناء.

والظاهر أنّ تفسير الراوي للصوت بالضرب بالدف في غير محلّه، إذ الصوت ما تعارف عند أهل الصنعة بالغناء، وقد تعارف عندهم أن يوردوا شعراً ويقولوا هذا صوت فلان أي غنّاه فلان.

من هنا حرّم الفقهاء الغناء، وإن علّقه بعضهم على التشبيب وذكر المحرّمات الأُخرى، إلّا أنّ العرف لا يفكّك في الغناء الذي يصاحبه المجون والعبث وبين الغناء المجرّد عن ذلك، فالغناء المجرّد عن هذا الضرب من العبث لا يُعدّ غناءً عند أهل العرف، وقد «ذهب الفقهاء إلى حرمة الغناء إذا كان بشعر يشبّب فيه بذكر النساء ووصف محاسنهنّ وذكر الخمور والمحرّمات لأنّه اللهو والغناء المذموم بالاتّفاق»[٢].

وأمّا المعازف وآلات الغناء فقد «ذهب جمهور الفقهاء إلى أنّ الضرب بآلات اللهو ذوات الأوتار كالربابة والعود والقانون وسماعه حرام[٣].

قال ابن حجر الهيثمي: الأوتار والمعازف كالطنبور والعود والصنج أي ذي الأوتار والرباب والجنك والكمنجة والسنطير والدربج وغير ذلك من الآلات المشهورة عند

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ج٤ ص٢٥٩.
(٢) تفسير القرطبي ١٤: ٥٤.
(٣) فتح القدير ٦: ٣٦.

أهل اللهو والسفاهة والفسوق هذه كلّها محرّمة بلا خلاف[١].

وقال القرطبي: أمّا المزامير والأوتار والكوية فلا يختلف في تحريم استماعها، ولم أسمع عن أحد ممّن يعتبر قوله من السلف وأئمّة الخلق من يبيح ذلك، وكيف لا يحرم وهو شعار أهل الخمور والفسوق ومهيّج الشهوات والفساد والمجون، وما كان كذلك لم يشكّ في تحريمه ولا في تفسيق فاعله وتأثيمه[٢].

هذا هو رأي علماء أهل السنّة في الغناء، ولا أجد في خلافه إلّا خلافاً لما عليه السنّة وأهل السلف منهم.

أمّا حرمته عند علماء الإمامية:

فقد تواترت أحاديث أئمّة أهل البيت عليهم السلام على تحريمه ولم يكن أحد منهم قد خالف مشهورهم في تحريمه، بل تغليظ النهي عنه.

فقد روى في معاني الأخبار بسنده عن عبد الأعلى قال: سألت جعفر بن محمّد عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ قال: الرجس من الأوثان الشطرنج، وقول الزور: الغناء، قلت: قول الله عزّوجلّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ قال: منه الغناء.

وروى في المقنع مرسلاً قال: قال الصادق عليه السلام: شَرُّ الأصوات: الغناء.

وفي كتاب الخصال بسنده المعتبر عن الحسن بن هارون قال: سمعت أبا عبد الله

(١) الموسوعة الفقهية ٣٥: ٣٣٨.

(٢) ن. م.

عليه السلام يقول: الغناء يورث النفاق ويعقب الفقر.

وعن عنبسة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: استماع الغناء واللهو ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع.

قال العلّامة البحراني في الحدائق الناضرة: ونقل في المسالك عن جماعة من الأصحاب منهم العلّامة في التذكرة تحريم الغناء مطلقاً، ونقله في المختلف عن أبي الصلاح، وهو المنقول عن ابن إدريس أيضاً استناداً إلى الأخبار المطلقة في تحريمه[1].

من هنا نجد اتّفاق علماء المسلمين جميعاً على حرمة الغناء وعدم التسامح في النهي عنه والتشديد عليه.

لماذا الاعتذار إذن؟

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا هذا التكلّف في الاعتذار عمّا يعمله هارون من خرق لإجماع المسلمين في حرمة الغناء؟ ولماذا هذا الهروب عن الواقع التاريخي لحفظ هيبة الخلفاء الذين لم يحفظوا هيبتهم بأنفسهم؟ فسمحوا لها ما تشاء أن ترتكبه من الأهواء دون تحرّج في الدين، أو مراعاة للعرف، فما الداعي بعد ذلك أن ننهك القارئ في قبول الأعذار والتلطّف بحيل الأقوال لدفع غائلة النقد عن هؤلاء الخلفاء، وليبق هارون وأمثاله في حظيرة القداسة دون أن تمسّهم آراء الناقدين، ولعلّ ما فعله عبدالجبّار الجومرد هو انموذج الدفاعات رهينة التعصّب بل قل رهينة الانقياد إلى المقدّس الموروث، وأقصد من المقدّس الموروث الذي يتلقّاه الكاتب بشكله التعبّدي ليفرض هيمنته على ثقافته فينسلخ عن واقعها ويرتمي في أوساط

(١) الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة للشيخ يوسف البحراني ١٨: ١١٥.

نظرة تقليدية تفرض عليه المقدّس وتصوّر له ذلك.

هذه هي مشـــكلة الكتابات التاريخية، وإذا كان القارئ يعاني من عقدة الاعتذار التاريخـــي الذي ابتليت بها كتاباتنا التاريخية فإنّ ثمّة توجيه لمشـــكلة الكاتب الذي كان يرزح تحت طائلة الســـلطة والرقيـــب الحاكم حيث المطاردات والتنكيل تأخذ بالكاتب إلى مراعاة الســـلطة.. هذا أحســـن الأعذار في أن نحسّـــن ظنّ القارئ بهؤلاء الذين تورّطوا في «برمجـــة» الخروقات التي ارتكبها الخلفاء إلى «حقل تجريبي اعتذاري» يلمّع صورة الخليفة، ويبقي على قداســـته الافتراضية التي تلازمه حتّى في منعتـــه العبثية ومجالس المجون الـــتي يحتفي بها البلاط ترويحاً عن الخليفة في نهاية يوم «مكتظ بالعبادة» «وردّ المظالم» «ونشر العدل» وما إلى ذلك من عناوين مظلومية الخليفة الذي يســـتردّ أنفاســـه في حفلة صاخبة تحييها غواني البلاط ومهرة العبث والمجون المسخّرون لخدمة الخلافة الإسلامية».

هارون العبّاسي.. انتهاكات الدولة وخروقات الدين:

هذا العنوان يدفعنا كثيراً بالتفكير في أُســـس الدولة العبّاسية، فهل أُسّست هذه الدولة على أســـاس ديني صرف أم على أســـاس ديمقراطي يضمن على أقلّ تقدير حقوق الأُمّة بكلّ فئاتها.

ولســـنا هنا في مقام الرصـــد التاريخي لما تميّز به المجتمع العبّاســـي من انتهاكات في حقوق الإنســـان على كلّ المستويات ولعلّنا نســـلّط الضوء على نماذج تاريخية تقدّم لنا بســـخاء قراءة وافية لمجتمع منهك من حياة البلاط العبّاســـي وما عكسته هذه الحياة على الملايين من المعوزين، وكان البذخ الســـمة الفارقة لهذا المجتمع حتّى تصاعـــدت وتائر هذا البذخ المضني للطبقات المحرومة «ولا ريب في أنّ هذا البذخ

إنّما كان يتمتّع به الخلفاء وحواشيهم من البيت العبّاسي ومن الوزراء والقوّاد وكبار رجال الدولة ومن اتّصل بهم من الفنّانين شعراء ومغنّين ومن العلماء والمثقّفين، وكأنّما كتب على الشعب أن يكدح ليملأ حياة هؤلاء جميعاً بأساليب النعيم، أمّا هو فعليه أن يتجرّع غصص البؤس والشقاء، وأن يتحمّل من أعباء الحياة ما يطاق وما لا يطاق. ومردّ ذلك إلى طغيان الخلفاء العبّاسيين الذين حرموا الشعب حقوقه وطوّقوه بالاستعباد والاستبداد والعنف الشديد، وقد مضوا هم وبطاناتهم يحتكرون لأنفسهم أمواله وموارده الضخمة، بحيث كانت هناك طبقة تنعم بالحياة إلى غير حدّ، وطبقات قُتّر عليها في الرزق، فهي تشقى إلى غير حد، واضطرب أوساط الناس من التجّار وغيرهم بين الشقاء والنعيم(١).

هذه هي الصورة الواضحة لحكم عبّاسي مستبد، ومنه تعرف من أين تقرأ هذه الحياة العبّاسية وكيف تعرف نظامها الاستبدادي الذي أُسّس على الانتهاكات السافرة لحقوق الإنسان، وإذا أخذنا أحد خلفاء العبّاسيين انموذجاص عرفنا بتمعّن الحياة العامّة لهكذا مجتمع، ولعلّ هارون أحد أُولئك الذين تستخدمهم دراستنا كعينة لقراءة المجتمع العبّاسي أوّلاً، ولخروقات هارون العبّاسي ثانياً.

الترف العبّاسي في عصر هارون:

انّ المتابع للوضع الاقتصادي في مجتمع عبّاسي أنهكته حياة البلاط وترف الخليفة وحاشيته يقف متحيّراً عن «العصر الذهبي» الذي عاشته بغداد كما يحلو للبعض أن يصفه، فالحرمان والفقر يدفعان بهكذا مجتمع إلى تجاوز وضعه الديني إلى وضع لا يحسد عليه من محاكاة البلاط في ترفه وانتشار الحالة العبثية بين المجتمع ودواعي المجون بين أفراده.

(١) العصر العبّاسي الأوّل. الدكتور شوقي ضيف: ٤٥.

انّ انتشار حياة الترف كان سببه انبثاث الجواري والقيان داخل المجتمع الإسلامي، حيث عمدت هذه الجواري إلى نشـــر روح العبث والمجون في أوساط المجتمع «وقد أشاع هؤلاء الجواري والقيان في المجتمع كثيراً من ضروب الرقة والظرف فقد جعلت كثرة معاشـــرتهنّ الرجال لهنّ يتعوّدون كيف يتلطّفون لقلوبهنّ، وكيف يســـتنزلونهنّ بالكلام الرقيق إلى ودّهم، وكيف يحيطونهنّ بأشراك الحديث الساحر الذي يشغف قلوبهنّ ويملؤها بالعطف والحنان...»[١] وإذا ما عرفنا أنّ ذلك بسبب ما انشغل به الخلفاء العبّاسيون، تأكّد لنا أنّ هارون كان أحد روّاد خلفاء اللهو العبثي العبّاسي الذي عرفت به بغداد يومذاك «وقد فاق هارون الرشيد الخلفاء العبّاسيين في ولوعه بالغناء والموسيقى واجزاله العطاء للمغنّين والموسيقيين»[٢].

وبهذا سنجد كيف بذل هارون وسعه في إفشاء العبث والترف والمجون في الوسط الإســـلامي وقلّـــده العامّة، وتبعه مثلهـــم من أهل الأهواء والمـــرح، فصار المجتمع الإســـلامي يرزح تحت طائلة رغبات الخليفة العابثة، والأُمّة تئنُّ من الحرمان وحبس الحقوق وإشاعة الظلم.

فمثلاً كان الإسراف شائعاً بين أوساط خاصّة البلاط، والحرمان شائعاً بين عامّة الناس، ولعلّ بعض أمثلة الإسراف تحكي هذا الإسفاف في موارد الدولة والتحكّم في خيراتهـــا، لتنفيذ رغبات البلاط الجامحة باللهو والعبث، فعلى ســـبيل الإيضاح لصورة هذا الإســـراف فقد «رســـم المهدي لمروان بن أبي حفصة مائة الف درهم على مدحته، وكان يصنع الصنيع نفسه مع المغنّين، حتّى يطرب لبعض أصواتهم.. وكان الرشـــيد بحراً فيّاضاً ينهل على العلماء والفقهاء من أمثال قاضيه أبي يوسف والأصمعي والكسائي، والأطباء من مثل جبرئيل بن بختيشوع، ويقال إنّه صار إليه في عهـــد ما يزيد على أربعة ملايين من الدراهم، وكان يجزل للشـــعراء والمغنّين من

(١) العصر العبّاسي الأوّل لشوقي ضيف: ٦٣.

(٢) موسوعة الحضارة العربية العصر العبّاسي / قصي الحسين: ٧٢٠.

نواله، ويكفي أن تعرف أنّه وصل سلماً الخاسر وحده لمدائحه فيه بعشرين الف دينار، أمّا مغنّيه الأثير عنده وهو إبراهيم الموصلي فيقال إنّ صلاته له تجاوزت مائتي الف دينار[1].

ولعلّ قائمة واحدة لمدخول طبيب هارون العبّاسي تعطينا كشفاً واضحاً لما كان يرتكبه هارون من خروقات دينية، وتجاوزات قانونية، أباح لنفسه أن يرتكبها وحده، دون مبرّر شرعي يبيح له ذلك، أو قانون يسمح له التفرّد في خيرات الدولة ومواردها.

فقد عثر على قائمة حساب بخط كاتب جبرئيل بن بختيشوع، وهو ابن طبيب هارون الرشيد وليس طبيبه الخاصّ الذي هو والده بختيشوع النصراني، الذي لم نعلم من ثرواته إلّا بالوقوف على ما يحصل عليه ولده «جبرئيل بن بختيشوع»، وقائمة الحساب ستوقفنا على الحياة المترفة التي تمتّع بها أصحاب الرشيد دون حدود يقف عندها الباحث:

- ١ -

دراهم	جهات القبض
١٢٠/٠٠٠	راتب نقدي /من بيت مال العامّة.
٦٠/٠٠٠	المنزل / من بيت مال العامّة.
٥٠/٠٠٠	راتب نقدي
٥٠/٠٠٠	قيمة ثياب

(١) تاريخ الأدب العربي العصر العبّاسي الأوّل لشوقي ضيف: ٤٦.

٥٠/٠٠٠	هدية على عيد صوم النصارى
١٠/٠٠٠	قيمة ثياب هدية على عيد الشعانين «وهو عيد للنصارى»
٥٠/٠٠٠	عيد يوم الفطر نقداً
١٠/٠٠٠	قيمة ثياب ليوم عيد الفطر
١٠/٠٠٠	لقصد الرشيد دفعتان في السنة
١٠٠/٠٠٠	لشرب الدواء
٦٠٠/٠٠٠	المجموع المقبوض من جانب الخليفة

- ٢ -

دراهم	جهات القبض
٥٠/٠٠٠	من عيسى بن جعفر
٥٠/٠٠٠	من زبيدة بنت جعفر
٥٠/٠٠٠	من العبّاسة
٣٠/٠٠٠	من إبراهيم بن عثمان
٥٠/٠٠٠	من الفضل بن الربيع

٧٠/٠٠٠	من فاطمة أُمّ محمّد
١٠٠/٠٠٠	كسوة وطيب ودواب
٤٠٠/٠٠٠	المقبوض من خاصّة الرشيد

- ٣ -

دراهم	جهات القبض
١/٢٠٠/٠٠٠	من جعفر بن يحيى
١/٢٠٠/٠٠٠	من الفضل بن يحيى
٨٠٠/٠٠٠	غلّة من ضياعه
٧٠٠/٠٠٠	من فضل مقاطعاته
٣/٩٠٠/٠٠٠	مجموع ما يقبضه من البرامكة وواردات أملاكه
٤٠٠/٠٠٠	المقبوض من خاصّة الرشيد
٦٠٠/٠٠٠	المقبوض من الرشيد

٤/٩٠٠/٠٠٠ الجملة: أربعة ملايين وتسعمائة الف درهم في السنة عد الهدايا والمنح الأُخرى[1].

(١) طبقات الأطباء ١: ١٣٦.

والقائمة التي بين أيدينا تكشف بوضوح عن مدى تسيّب اقتصاد الدولة، وسطوة الحاكم على مواردها العامّة؛ ليكون بيد ابن أحد أطباء الرشـيد هذه الثروة الطائلة دون مبرّر، وجياع الشعب تغفو على حلم رغيف لم يأتها إلّا بعد جهد جهيد.

وإذا كان الأمر كذلك فإنّ الانفلات الديني والأخلاقي سـيكون إحدى النتائج الحتمية لهكذا حياة مترفة يمارسها الخليفة وحاشيته دون رادع.

الزواج الأُسطورة:

ولم يقتصر البذخ على ما كانت تسـجّله المدوّنات التاريخية من مصاريف البلاط وتكاليف الإنفاق، بل يسـتعرض المؤرّخون حفل زواج هارون ما ينبهر منه المؤرّخ حينما يريد أن يؤرّخه فيقتصره بقوله: (يقال: إنّه لم يكن في الإسلام وليمة مثلها» وهذا أقصى ما اسـتطاع ابن طيفور أن يصفه فقد قال في ذكر زواج هارون: قال أحمـد بن أبي طاهر صاحب تاريخ بغـداد: لمّا زوّجها «يقصد زبيدة» المهدي من ابنه هارون، استعدّ لها ما لم يستعد لأحد قبلها من الآلات والآنية، والفرش والمتاع، والثيـاب والطيب والجواهر، والخدم والوصائف، وعمل لها درع در يتجاوز الصفقة لم يقـف المقوّمون على قيمة، ويقال: إنّه الدرع الذي كان لعبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية امرأة هشـام بن عبد الملك، ودخل بها في المحرّم سنة خمس وستّين ومائة في قصر الخلد، وحشـر الناس من الآفاق، وفرّق في ذلك العرس من المال ما لم يتوهّم أنّ بيوت الأموال تحويه، وكانت أواني الذهب تملأ بدراهم الفضّة، وأواني الفضّـة تملأ بدنانير الذهب، ويدفع ذلك لوجوه الناس إلى ما يتبع ذلك من نوافج المسك وقطع العنبر، وتخلع عليهم خلع الوشي[1].

(١) كتاب بغداد لابن طيفور: ٢٧٤.

ولا يخفى أنّ هذا البذخ وإلى جانبه عوز عام، والتخمة وإلى جانبها بطون غرثى تستغيث، ولم يكن من شيء عند السلطة سوى إسعاد الخليفة وحاشيته، والآخرون فليذهبوا إلى حيث شاؤوا، فإنّ الخليفة همّه بطنه وفرجه، وكذلك المحيطين به، وجموع الناس تستغيث لما بها من الفاقة، وما فيها من البلاء، فإنّ خزائن الدولة وبيت المال ملك الخليفة، ولا أحد ينافسه في ملكه، أو ينازعه في سلطانه.

الانحلال الأخلاقي.. النتيجة الحتمية:

ولا نبالغ أن نستخلص نتائج هذا الترف الذي بثّه هارون في مجتمع حرم من أبسط حقوقه، فبقدر ما أشاع هارون الترف في مجتمعه، أُشيعت حالات الانحلال الأخلاقي والتحلّل الديني، حتّى صار الكثير من المحظورات متعارفاً في المجتمع البغدادي الذي يكون قريباً من بلاط الخلافة، وغدت هذه المنكرات إحدى حالات الظواهر المتعارفة التي يتعاطاها العامّة، وإذا ما تابعنا بعض تلك الحالات سنجد أنّ الغناء والرقص هو الشائع في مجتمع إسلامي يتحرّج من هكذا أمر، إلّا أنّه صار جزءً من الحياة اليومية العامّة للناس، وأضحى متعارفاً يتداولونه في يومياتهم.

هارون الرشيد انتهاكات أخلاقية وشرعية:

ولم يقف هارون عند حدّ تعاطي السكر واستماع الغناء، بل ارتكب انتهاكات أخلاقية انعكست على أهل بيته من أخواته ومحيطيه فمثلاً:

١. ما رواه الأصفهاني في أغانيه قال: «زار الرشيد عُلية فقال لها: بالله يا أُختي غنّيني، فأطرب الرشيد وشرب عليه بقيّة يومه..[١].

٢. وفي الأغاني، روى أحدهم: كنت يوماً بين يدي الرشيد وعنده أخوه منصور وهما يشربان، فدخلت إليه خلوب جارية لعُلية ومعها كأسان فغنّتهما قائمة فشربا..[٢].

٣. وفي الأغاني «كان أوّل صوت غنّاه إبراهيم [وهو أخوه أبو إبراهيم بن المهدي] هذا الصوت.. فأصاب وأحسن كلّ الإحسان وشرب عليه الرشيد واستعاده حتّى سكر، وأمر لإبراهيم بعشرة آلاف درهم، وعشرة خواتيم، وعشر خلع[٣].

٤. روى ابن قتيبة أنّ الرشيد «استأذنته أُخته فاختة بنت المهدي وشقيقته في اتحاف جعفر ومهاداته فأذن لها، وكانت قد استعدّت له بالجواري الرائعات والقينات الفاتنات، فتهدي له كلّ جمعة بكراً يفتضّها، إلى ما تصنع له من ألوان الطعام والشراب والفاكهة، وأنواع الكسوة والطيب، كلّ ذلك بمعرفة أمير المؤمنين ورأيه.

فاستمرّت بذلك زماناً، ومضت به أعواماً، فلمّا كانت جمعة من الجمع دخل جعفر القصر الذي استعدّت به، ولم يُرع جعفر إلّا بفاختة ابنة المهدي في القصر كأنّها جارية من الجواري اللاتي كنّ يهدين له، فأصاب منها لذّته وقضى منها حاجته ولا علم له بذلك، فلمّا كان المساء وهمّ بالإنصراف، أعلمته بنفسها وعرّفته بأمرها، وأطلعته على شديد هواها وإفراط محبّتها له»[٤].

(١) ١٠: ١٩٠.

(٢) ١٠: ١٨٠.

(٣) ٦: ١٩٩.

(٤) الإمامة والسياسة ٢: ٦٧٢.

ولا يفوتنا أن نتذكّر علاقة العبّاسة بجعفر وكيف تزوّجها، والأمر عجيب حيث جمع جعفر بين أُختي الرشيد واحدة زواجاً وأُخرى سفاحاً.

هذه هي أخلاق هارون وأهله وحاشيته حيث الاستخفاف بالحرمات وهتكها ما لم يحص، والعجيب أنّ هؤلاء المؤرّخين ينقلون هذه الخروقات تحت عنوان: أمير المؤمنين هارون الرشيد، وهذا من أغرب ما وجدت. حتّى أنّ السيوطي ينقل عن الذهبي قوله: أخبار الرشيد يطول شرحها، ومحاسنه جمّة، وله أخبار في اللهو واللذّات المحظورة والغناء سامحه الله[1].

وهذا التقديس لديهم أوصلهم إلى هذه المتناقضات التي لا يمكن حلّها وتفسيرها سوى العناد والمكابرة.

حتّى دعا ببعض المحقّقين أن يصوّر حياة البغداديين المترفين بأنّها لا تخلو عن حالة العبث واللهو التي يقصدها الأشراف، فقال في معرض حديثه: «ويخيّل إلى الإنسان أنّه لم يبق في بغداد، ولا في الكوفة، ولا في البصرة سريٌّ، إلّا عمل على أن يقتني قينة أو قياناً يُشعن المرح في داره، وكان من لا يستطيع اقتناء قينة يمكنه أن يستأجر من المقينين إحدى قيانهم لتغنّيه ليلة أو ليالي متّصلة، فالرواة يذكرون أنّه كان لأبي النضير عمر بن عبدالملك جوار يغنّين ويخرجن إلى أهل البصرة، وكانت قيان بربر في الكوفة ما يزلن يختلفن إلى مطيع بن إياس ورفقته، وبالمثل كانت قيان بغداد يكثرن من الاختلاف إلى دور الشعراء، وكان الشعراء وغيرهم من فتيان بغداد يزورونهنّ في دور أصحابهنّ من المقينين، وكانت أشبه بنوادٍ كبيرة للغناء والموسيقى، فالناس يذهبون إليها شعراء وغير شعراء للمتعة بالسماع ورؤية الجمال من كلّ شكل وكلّ لون، وكثيراً ما كان يقع الشعراء في حبّ بعض الجواري المكتملات الخلق، الجميلات الجسد، فيستأثرن بكلّ ما فيهم من عاطفة وهوى على نحو استئثار ريم بقلب مطيع بن أياس، وعبادة بن عبد الله بن محمّد البوّاب،

(١) تاريخ الخلفاء: ٢٦٦.

وعنـــان بقلب أبي التنضير وسلســـل بقلب أبان بن عبدالحميـــد، وكن يتبارين في جذب الشـــعراء بما يشـــعن في أحاديثهنّ من عذوبة حلوة، وبما يحسن من صنوف الغزل، والعبث بقلوب الرجال[١].

هذه هي الحالة العامّة التي يعيشها المجتمع الإسلامي في العصر العبّاسي خصوصاً في عهد الرشيد، بل إنّ الانحرافات التي شاعت في عصور متأخّرة على عصره كانت بفعل مخلّفات ممارســـات الرشيد وتأثّر المجتمع الإسلامي بها، بل يستطيع الباحث أن يجد عصر هارون عصراً تأسيسياً للانحراف الاجتماعي العام الذي تعاطى معه الكثير، وترسّخت آثاره فيما بعد.

الخليفة العبّاسي وشرب المسكر:

ولم يتردّد هارون في الإدمان على شرب الخمر فإنّ ذلك من متممات لهوه وعبثه الذي عقد له مجالس الشرب والغناء، وقد رصد المؤرّخون كثيراً من مجالس الشرب، وأنت عليم أنّ الشـــرب ينصرف إلى الخمـــر، وإن حاول بعضهم التقليل من أهميّة ذلـــك، حيث ادّعـــو أنّ هارون كان يفتي له فقهاء العراق مـــن أهل البلاط بحلّية النبيذ، لكن الواقع أنّ هارون أســـرف في شـــرب الخمر بحســـب ما نقله المؤرّخون وإليك بعض مروياتهم:

١. قـــال الأصفهاني في الأغاني وهو يتحدّث عن صوت أطرب هارون فقال: .. فأصاب وأحســـن كلّ الإحسان، وشـــرب عليه الرشيد واستعاده حتّى سكر، وأمر لإبراهيم بعشرة آلاف، درهم وعشرة خواتيم، وعشر خلع..»[٢].

(١) تاريخ الأدب العربي العصر العبّاسي الأوّل: ٦٢.

(٢) ٦: ١٩٩.

٢. وفي حديثه عن البرامكة روى الطبري قال: حدّثني أحمد بن زهير أحسبه عن عمّه زاهر بن حرب أنّ سبب هلاك جعفر والبرامكة أنّ الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أُخته عبّاسة بنت المهدي، وكان يحضرهما إذا جلس للشرب، وذلك بعد أن أعلم جعفراً قلّة صبره عنه وعنها، وقال لجعفر أُزوّجكها ليحلّ لك النظر إليها إذا أحضرتها مجلسي، وتقدّم إليه أن لا يمسّها، ولا يكون منه شيء ممّا يكون للرجال إلى زوجته، فزوّجها منه على ذلك، فكان يحضرهما مجلسه إذا جلس للشرب ثمّ يقوم عن مجلسه فيخلّيهما فيثملان من الشراب وهما شابان فيقوم إليها جعفر فيجامعها فحملت منه.. إلى آخر القصّة..»[١].

٣. وقال في الأغاني: أنّ مخارق غنّاه [أي الرشيد] فطرب وشرب رطلاً، ثمّ استعاده وشرب رطلاً، ثمّ استعاده فطرب وشرب رطلاً وأعطاه ضيعة[٢].

٤. وروى ابن طيفور رواية طويلة ثمّ قال: .. وأمر [أي الرشيد] إبراهيم فغنّى وضرب عليه فزلزلا الدنيا، وشرب الرشيد على ذلك رطلاً..[٣].

وهذه نماذج لمرويات المؤرّخين تشير إلى شدّة ولع هارون بالخمر، وتعلّقه بالغناء واللهو، وهذا غيض من فيض، ذكرناه لنشير إلى تسيّب القيم والمبادئ الإسلامية أيّام هارون.

هارون وسياسته مع العلويين:

إنّنا أمام عنوان خطير يؤرّخ لعصر هارون، فالترف والانحراف العام الذي أشاعه عصره هو الطابع العام للخلافة العبّاسية، إلّا أنّ الذي يمكن أن يتميّز به هارون في عصره هو سياسته مع العلويين التي أرهقت الدولة العبّاسية بمسؤولية بالغة، ألقت

(١) تاريخ الطبري ٦: ٤٨٩.

(٢) ١٨: ٣٥٠.

(٣) كتاب بغداد: ٢٨٦.

ظلالها على النظام السياسي بصورة عامّة، وعلى الوضع الاجتماعي بصورة خاصّة.

فالعلويون هم أصحاب الشأن في الثورة التي حدثت وألغت النظام الأموي كما هو معروف، فالدعوة العبّاسية ترجع إلى مؤسّسها العلوي أبي هاشم بن محمّد بن الحنفية، واغتياله على يد سليمان بن عبد الملك يثير أكثر من تساؤل، خصوصاً في ظلّ تطلّعات محمّد بن علي بن عبد الله بن العبّاس، ذلك الرجل الذي اختطف الدعوة بطريقة ماكرة، إذ الشكوك لا زالت تثار لدينا في براءة محمّد بن علي بن عبد الله بن العبّاس في تدبير الوقيعة لأبي هاشم في فخّ الأمويين، وخروجه هو منها سالماً معافى، دون أن تناله ملاحقات الأمويين وتمسّه مطارداتهم، ولنا أن نتّهم محمّد بن علي العبّاسي هذا بعد أن وجدنا تحويل الدعوة العلوية هذه إلى دعوة عبّاسية صرفة، وإلغاء العلويين والتنكّر لهم، وتحويل هذه الدعوة من علوية إلى عبّاسية بامتياز، ويبقى التساؤل قائماً عن إمكانيات العبّاسي هذا في تحويل الدعوة إليه، دون أن يلحقه خطر الأمويين ومطارداتهم، وهو يعمل بشكل واسع من أجل نشر دعوته وإبعادها عن العلويين بكلّ تفاصيلها.

هذه هي العقدة التي بقيت تلاحق العبّاسيين، وتتضخّم في عصر الرشيد تحت ظلّ شرعية المعارضة العلوية التي يستسيغها المجتمع الإسلامي، وينظر إليها بكلّ تبجيل، ويرى فيها الأهلية لقيادة الأُمّة، وكونه صاحب الحقّ الشرعي في الخلافة، وكلّ هذه الحيثيات تزداد يوماً بعد آخر في نفوس الأُمّة؛ لترجعها إلى ذاكرة عتيدة من الجهاد العلوي الذي عُرف به أهل البيت، فضلاً عن الحقوق المغتصبة التي تختزنها ذاكرة الأُمّة.

انّ حالة الترف والرخاء في المجتمع العبّاسي الذي تميّز به عصر الرشيد وأنعم به مقرّبوه كان على حساب الطبقات العظمى من الأُمّة، فالحرمان وإلغاء الحقوق ونشوء أوساط مترفة على حساب الطبقات المحرومة أجّج الكثير من دواعي الثورة في صدور الأُمّة، وعزّز لديها ضرورة التغيير لكلّ ما هو سبب في مأساتها،

ودعت الكثير من حالات إلغاء الحقوق إلى استعباد الناس، وتهالك المترفين على احتقارهم واستضعافهم «ولعلّ هذا البذخ وما صحبه من اعتصار الشعب هو السبب الحقيقي في كثرة الثورات على العبّاسيين وخاصّة في ايران.. وأيضاً لعلّه السبب الحقيقي في تعلّق الناس بالمهدي المنتظر من أبناء علي الذي ينشر العدل الاجتماعي في الأرض، ممّا هيّأ لكثرة الجمعيات السرّية، واعتناق الناس لعقيدة التشيّع على اختلاف فرقها[1].

ولا تفوتنا هذه الرواية التي تعطي لنا انطباعاً مهمّاً في قسوة هارون عند بطشه بالعلويين، وسياسة التصفية التي كان ينتهجها، فقد روى عبيد الله البزاز النيسابوري أنّه: «كان بيني وبين حميد بن قحطبة الطائي الطوسي معاملة، فرحلت إليه في بعض الأيّام، فبلغه خبر قدومي فاستحضرني للوقت، وعليّ ثياب السفر لم أُغيّرها، وذلك في شهر رمضان وقت صلاة الظهر.

فلمّا دخلت إليه رأيته في بيت يجري فيه الماء، فسلّمت عليه وجلست، فأُتي بطست وإبريق فغسل يديه، ثمّ أمرني فغسلت يدي وأُحضرت المائدة وذهب عنّي أنّي صائم وأنّي في شهر رمضان، ثمّ ذكرت فأمسكت يدي.

فقال لي حميد: ما لك لا تأكل؟

فقلت: أيّها الأمير هذا شهر رمضان، ولست بمريض ولا بي علّة توجب الإفطار، ولعلّ الأمير له عذر في ذلك، أو علّة توجب الافطار، فقال: ما بي علّة توجب الإفطار، وإنّي لصحيح البدن.

ثمّ دمعت عيناه وبكى.

(١) تاريخ الأدب العربي في العصر العبّاسي الأُولى: ٥١.

فقلت له بعد ما فرغ من طعامه: ما يبكيك أيّها الأمير؟

فقال: أنفذ إليّ هارون الرشيد وقت كونه بطوس في بعض الليل أن أجب، فلمّا دخلت عليه رأيت بين يديه شمعة تتّقد وسيفاً أخضر مسلولاً، وبين يديه خادم واقف، فلمّا قمت بين يديه رفع رأسه إليّ فقال:

كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟

فقلت: بالنفس والمال.

فأطرق ثمّ أذن لي بالانصراف.

فلم ألبث في منزلي حتّى عاد الرسول إليّ وقال:

أجب أمير المؤمنين.

فقلت في نفسي، إنّا لله أخاف أن يكون قد عزم على قتلي وإنّه لمّا رآني استحيا منّي.

قعدت إلى بين يديه فرفع رأسه إليّ وقال:

كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟

فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد.

فتبسّم ضاحكاً، ثمّ أذن لي في الانصراف.

فلمّا دخلت منزلي، لم ألبث أن عاد الرسول إليّ فقال:

أجب أمير المؤمنين.

فحضرت بين يديه وهو على حاله فرفع رأسه إليّ فقال:

كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟

فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد والدين.

فضحك ثمّ قال لي: خذ هذا السيف وامتثل ما يأمرك به هذا الخادم.

فتناول الخادم السيف وناولنيه وجاء بي إلى بيت بابه مغلق ففتحه فإذا فيه بئر في وسطه، وثلاثة بيوت مغلقة ففتح باب بيت منها فإذا فيه عشرون نفساً عليهم الشعور والذوائب، شيوخ وكهول وشبّان مقيّدون، فقال لي: إنّ أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء، وكانوا كلّهم علوية من ولد علي وفاطمة، فجعل يُخرج إليّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه، حتّى أتيت على آخرهم، ثمّ رمى بأجسادهم ورؤوسهم في تلك البئر، ثمّ فتح باب بيت آخر فإذا فيه أيضاً عشرون نفساً من العلوية من ولد علي وفاطمة مقيّدون. فقال لي: انّ أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء. فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه ويرمي به في تلك البئر حتّى أتيت على آخرهم.

ثمّ فتح باب البيت الثالث فإذا فيهم مثلهم عشرون نفساً من ولد علي وفاطمة مقيّدون عليهم الشعور والذوائب فقال لي: إنّ أمير المؤمنين يأمرك أن تقتل هؤلاء أيضاً. فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه فيرمي به في تلك البئر حتّى أتيت على تسعة عشر نفراً منهم وبقي شيخ منهم فقال لي: تبّاً لك يامشؤوم أي عذر لك يوم القيامة إذا قدمت على جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قتلت من أولاده ستين نفساً قد ولدهم علي وفاطمة؟!.

فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي فنظر إليّ الخادم مغضباً وزبرني. فأتيت على ذلك الشيخ أيضاً فقتلته ورمى به تلك البئر.

فإذا كان فعلي هذا وقد قتلت ستّين نفساً من ولد رسول الله ﷺ فما ينفعني صومي وصلاتي وأنا لا أشكّ أنّي مخلّد في النار[1].

الحركات الثورية في عصر هارون:

ولابدّ لنا أن نقف عند هذه الحركات الثورية التي أنتجتها سياسة التعسّف والبطش في عهد هارون، فضلاً عن حالة الحرمان التي أطبقت على الأُمّة بكلّ مفاصلها عدا المقرّبين من البلاط، أي ستكون هذه الحركات الثورية استجابة طبيعية لطموحات الكثير من الطبقات المحرومة من أجل الحصول على أدنى حقوقها، لكن سنجد كيف تعامل هارون مع هذه الحركات الرافضة لسياسة القمع والتعسّف، حيث جابهها بسياسة القمع والتعسّف وبشكلها الأعنف، والجدير بالذكر أنّ هذه الثورات تصدّى لها المحرومون وقادها آل علي الذين هم الأجدر في الوصول إلى التغيير الحقيقي الذي يحسنه هؤلاء العلويون، فضلاً عمّا كان يتّخذه الرشيد من أعمال «وقائية» في حقّ آل علي تحسّباً لأي انتفاضة أُخرى تقوم بها الأُمّة ويلجؤون بها إلى آل علي؛ لأنّهم الأجدر للقيادة، بل الأجدر على حسن التدبير، ومن ثمّ حسن التغيير.

إلّا أنّنا لا ننسى أنّ الثورة الشعبية الهائجة لم تقتصر على العلويين فحسب، بل صاحبت حركات العلويين ثورات شعبية عدّة، رافضة لسياسة الرشيد، ومطالبة بالحقوق المسلوبة بسبب الممارسات الضاغطة باتّجاه الاستعباد والتهميش من

(١) الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام وليد الأبواء وشهيد بغداد: عبد الرحمن العلوي: ٥٠

قبل هارون وحاشيته، ففي سنة ١٨٧هـ خرج الوليد بن طريف الشاري الشيباني وهو أحد الخوارج الذي استغلّ تذمّر الناس من سياسة الرشيد، ووجد أنّ الظرف مناسبٌ لإعلان ثورته ليؤازره الكثير حتّى انتصر على جيوش هارون «فقتل والي نصيبين ثمّ مضى إلى أرمينية وآذربيجان وعاث فيهما فساداً ثمّ عاد إلى الجزيرة سنة ١٧٩هـ وعبر نهر دجلة حتّى وصل إلى حلوان، واشتدّت شوكته وكثر أتباعه..»[١] ولابدّ من التساؤل عن أسباب هذا النصر لرجلٍ لم يكن مقبولاً على المستوى العقيدي، فالخوارج غير مرغوب فيهم في أوساط الأُمّة، وهم شذّاذ المجتمع، وغوغاء العامّة، في حين تجد أنّ حركة الوليد هذا قد أخذت مدياتها الشعبية، وانتصاراتها سجّلت على المستوى العسكري بما أقلق الرشيد ووجده تهديداً حقيقياً لدولته.

انّ رجز الوليد عند ملاقاته لجيش هارون في إحدى وقعاته وهي الوقعة الأخيرة بينه وبين يزيد بن مزيد الشيباني أحد عمال العباسيين تفلسف هذا الخروج، فهو يوعزه إلى الظلم والجور الذي صار السمة الرئيسة لحكومة الرشيد، ويبدو أنّ الأبيات ستقدّم عرضاً وافياً لفلسفة حركته هذه، حيث يقول:

أنا الوليد بن طريف الشادي قسورة لا يصطلى بناري

جوركم أخرجني من داري[٢]

فالجور العبّاسي الذي عزّزته سياسة هارون دعت هذا المقاتل أن يستقطب المحرومين والجياع، فكانت ثورته منطلقة من التمرّد على الواقع الظالم.

ولا ننسى قبائل البربر التي أُبيدت على يد العبّاسيين، فانتفضت في سنة ١٧٨هـ، حتّى سنة ١٨١هـ، وأشغلت الرشيد كثيراً حتّى بعث إليهم بهرثمة بن أعين «على

(١) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي د. حسن إبراهيم ٢: ٥١.
(٢) المصدر السابق.

رأس جيش كثيف استطاع أن يقضي عليهم، ويطفئ جذوة ثورتهم»[١]

ولم تخلو بلاد الشام عن المنازعات، فالفتنة الحادثة بين اليمانيين والعدنانيين أحدثتها الصراعات الاجتماعية، التي تشـــحنها سياسة الرشيد في اذكاء روح التنافس، ولعلّ هذا الاتّهام الذي توجّهه إلى هارون ولم تشر إليه النصوص التاريخية، بل استطعنا أن نســـتخلص من تلميحات المؤرّخين ما يشير إلى ذلك، حيث ذكر حسن إبراهيم في تاريخ الإســـلام بعد ذكره لنزاع اليمانية والعدنانية بقوله: «ولكن هذه الحالة لم تكن ممّا يهتمّ لها الخليفة أي هارون الرشـــيد، بل كان يرى على العكس من ذلك قد أفاد منها؛ لأنّها أضعفت قوّة أهالي هذه البلاد الذين ثبت عنده عدم إخلاصهم وولائهم للعبّاســـيين..»[٢] وهذا القول يجعلنا متسائلين عن إمكانية خلق الفتنة بين طائفتين والتحرّش بينهما؛ لتســـتفيد السلطة من هذا النزاع في إضعاف قوّة الجانبين لتفريقها وإنهاكها؛ لئلّا تستغلّ في غير صالح الدولة، وهي متعارفة في الصراعات الجانبية التي تحدثها أيّة دولة لإسقاط خصومها في معركة جانبية تتجنّب الدولة تداعياتها.

كما أنّ انشـــطار دولة الرشيد إلى دويلات معارضة يشير إلى الإخفاقات المتزايدة بسبب سياسة البطش والظلم الذي استساغها الرشيد وأتباعه، فدولة الأدارسة بقيادة إدريس بن عبد الله في بلاد المغرب الأقصى من أهمّ ملامح فترة الرشـــيد، فضلاً عن دولة الأغالبة التي أسّســـها إبراهيم بن الأغلب التميمي، إلى غيرها من الانتفاضات والثورات التي أطاحت بهيبة الرشيد ودولته.

إلى هنا وقفنا على بعض الحركات العامّة للمجتمع الإسلامي، وهذا يعطينا انطباعاً عن الرفض العام الذي يســـود الشعوب الإسلامية لسياسة الرشيد خاصّة، والتسلّط العبّاســـي بصورة عامّة، فلم يتوقّف الأمر على الحراك العلوي الثوري الذي سيكون نتيجة طبيعية لهذا العنف والاضطهاد.

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

ولنا أن نستشهد بقول من أرّخ لحقبة الرشيد على عدائه لآل أبي طالب، وسنكون مستعرضين لأقوالهم ليتسنّى لنا أمر العداء واضحاً، بل متواتراً عند الجميع، نعم هناك من حمّل المسؤولية على العلويين أنفسهم، وبرّر أفعال الرشيد، وأنّ الأمر لا يعدو عن تمرّد على حاكم يريد أن يفرض سيطرته وهيبته، وهو حقّه الطبيعي، وبين من قدّم رؤية واضحة تنسجم مع الحدث دون انحياز، وعدّ أفعال الرشيد جزءً من إرهاب الدولة وسطوتها التعسّفية، وسنذكر ثلاثة نماذج تاريخية تؤكّد هذا العداء:

أوّلاً: ما ذكره الطبري في تضييق الرشيد على العلويين وتعيينه ولاة يبغضون العلويين؛ لينفّذوا سياسة البطش بهم، حتّى أنّ الطبري اعترف بتضييق الرشيد على العلويين بقوله: وكان بكّار شديد البغض لآل أبي طالب، وكان يبلّغ هارون عنهم ويشي بأخبارهم، وكان الرشيد ولّاه المدينة وأمره بالتضييق عليهم..»[١].

ثانياً: ابن مسكويه في تجارب الأُمم نفس اللفظ الذي ذكره الطبري فقال: وكان بكّار هذا وهو بكّار بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير شديد البغض لآل أبي طالب، وكان يبلغ هارون عنهم ويشي بهم، وكان الرشيد ولّاه المدينة وأمره بالتضييق عليهم..»[٢].

ثالثاً: السيوطي في تاريخ الخلفاء: نقل ما صرّح به الرشيد عن خلافه مع العلويين وتبريره لكن غير المبرّر في هذا الأمر فقال:

أخرج الصولي عن إسحاق الهاشمي قال: كنّا عند الرشيد فقال: بلغني أنّ العامّة يظنّون فيّ بغض علي بن أبي طالب، ووالله ما أُحبّ أحدّاً حبّي له، ولكن هؤلاء أشدّ الناس بغضاً لنا، وطعناً علينا، وسعياً في فساد ملكنا بعد أخذنا بثأرهم، ومساهمتنا إيّاهم ما حويناه، حتّى أنّهم لأميل إلى بني أُميّة منهم إلينا..[٣].

---

(١) تاريخ الطبري ٦: ٤٥٢.

(٢) تجارب الأُمم لأبي علي مسكويه الرازي ٣: ٥٠٩.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٧٢.

هذه هي آراء المؤرّخين في إرهاب الدولة لآل علي، وسيمتدّ هذا الإرهاب الجسدي إلى الإرهاب الفكري الذي يأخذ ببعض المؤرّخين إلى أبعاد أُخرى من تصوير العلاقة الطيّبة بين هارون وبين العلويين، ليوعز تنغيص العلاقة إلى بعض الوشاة، وبراءة هارون من أعمال العنف الذي تعرّض له العلويون إبّان حكمه، أي سيعطي فيما بعد تبريراً لدواعي القتل والمطاردة التي طالت العلويين من قبل هارون بشرعية الخليفة الذي يريد الحفاظ على ملكه الشرعي، بل على وحدة المسلمين، ولنستعرض ما اعتذر به أحمد فريد رفاعي في كتابه عصر المأمون حيث قال: «أنت جدّ عالم بما كان من تطلّع الطالبيين للخلافة، وقد مرّ بك القول في تحفّزاتهم وخروجهم وحروبهم للخليفة العبّاسي الجالس على العرش كلّما واتتهم الفرص وأمكنتهم الأحوال.

وأنت جدّ عالم أنّ الخلفاء ما كانوا يركنون إلى جانبهم نفاساً وتباغضاً، واصطداماً للمصلحة الخاصّة وتعارضاً، بيد أنّ الرشيد وهو الرؤوم بسجيته، المجبول على الخير بنزعته، رأى في أوّل عهده أن يحدب عليهم ويستلّ سخيمة العداوة من قلوبهم، فرفع الحجر عمّن كان منهم ببغداد، وسيّرهم إلى المدينة، ما عدا العبّاس بن الحسن بن عبد الله، وكان أبوه مع ذلك فيمن أُشخص إلى المدينة لم يشجّع الطالبيون الرشيد على الاستمرار على خطّته تلك، بل كان من بعضهم ما دفعه إلى تغيير خطّته السديدة..»[1].

وستجد صورة طيّبة لسياسة هارون حيال العلويين قدّمتها الكاتبة في جهاد الشيعة بقولها: «ومهما كان الرأي، فقد كان هارون الرشيد أخف وطأة على العلويين من أسلافه الخلفاء العبّاسيين، وقد انفرد من بينهم بالإحسان إلى بعض الزعماء العلويين وإغداق الأموال والصلات عليهم، وكان الرشيد ينهى الشعراء إذا ذمّوا العلويين حتّى يتقرّبوا إليه. فروى الأصفهاني أنّ الرشيد لام الشاعر منصور النمري على هجائه للعلويين وقال له: يا ابن اللخناء أتظنّ أنّك تتقرّب إليّ بهجاء

(١) عصر المأمون للدكتور أحمد فريد رفاعي ١: ١٢٢.

قوم أبوهم أبي ونسبهم نسبي، وفرعهم وأصلهم فرعي وأصلي[١].

وهذا الرأي سيعطي لنا انطباعاً واضحاً عن مدى تأثّر البعض تحت هيمنة التقليدية التقديسية للخلفاء العبّاسيين، وانسياقهم وراء التحويل الإعلامي الذي تبنّاه البعض في الحفاظ على قداستهم وعدم الماس بأشخاصهم.

ويوغل بعضهم في الدفاع عن سياسة هارون اتّجاه العلويين بالغاء مسؤولية محاربتهم، وقتلهم إلى حقّه الطبيعي في الحفاظ على عرشه، وكأنّ شرعية هارون فوق شرعية الآخرين دون أن يحاول بعضهم في الدفاع عن هذه الشرعية التي ورثها عن أسلافه، ويعتبر الحكم حقّ مقدّس لا يمكن أن يتطاول إليه أحد، وأنّ المساس بهذا الحقّ يجيز لهارون سفك الدماء، ومصادرة الحقوق، والزجّ في السجون، وسنرى كيف يبرّر هذا الكاتب ما أقدم عليه هارون في سياسة مطاردة العلويين وزجّهم في السجون، قال: «قد يتبادر إلى الذهن بعد كلّ هذه الأحداث أنّ هارون الرشيد كان رجلاً سفّاحاً، محبّاً للقتل والدماء، أو أنّ كلّ ما جرى للعلويين في عهده كان من صنع يده لكن الحقيقة غير ذلك، فقد يكون الرجل خائفاً من انتفاضات العلويين على عرشه فيسجن من يرتاب به منهم أو ينفيه، كما يحدث عادةً في كلّ صراع سياسي بين حاكم ومحكوم، وليس من الأمانة العلمية أن نلقي على عاتقه وحده مسؤولية دماء الذين توفّوا في سجونه من الخصوم، سواء أكانوا من العلويين أم من غيرهم، كما أنّنا لا نستطيع أن نبرّئ ساحته من كلّ ما حدث في عهده[٢].

هذه هي مشكلة المؤرّخ يعيش تحت سطوة التراث الذي ورثه عن أسلافه وتأخذه نزعة الانتساب الفكري المسيّس ليكون منهمكاً في محاولاته من أجل الوصول إلى قناعات السلطة يوم كانت تؤسّس للخبر المضادّ وللواقعة حسبما تتناسب ومذاقاتها وتوجّهاتها.

---

(١) ٣٠٥.

(٢) هارون الرشيد حقائق عن عهده وخلافته: ١٤٤.

وإذا كان المؤرّخ معذوراً لطول الشقّة بينه وبين الحقائق، والفترة بينه وبين الأحداث، فحال القضاة الذين انساقوا تحت وطأة السلطة طمعاً لما في يديها، وإذا كان المؤرّخ قادراً على أخذ قياد الحادثة التاريخية ليصرفها عن حقيقتها، فإنّ للقاضي القدرة على انحراف مسيرة الفتوى من أجل إشباع رغبة الحاكم في التعاطي مع ما يرتضيه ويسعى إليه.

فتاوى قضاة الدولة:

لم يسلم هؤلاء القضاة الذين لهثوا خلف رغبات الخليفة، ورابطوا في بلاطه ليكونوا رهن أهوائه ورغباته متى ما شاء، فالقاضي الآن يعيش أُبّهة الملك ويحظى بنعيم السلطان، فهو مأخوذٌ بأهوائه الآن، وفتاواه جاهزة متى ما رغب البلاط، وأحكامه يسوقها وفقاً لحاجاته، كما أنّ قضاة البلاط أحسنوا صناعة الأحكام بما تنسجم وتوجّهات الخليفة، ولعلّ نماذج لذلك تعطينا انطباعاً عن الفترة العبّاسية التي عاشها الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وشيعته.

فتوى أبي البختري:

روى الطبري في تاريخه أنّه روى أبو الخطّاب أنّ جعفر بن يحيى بن خالد حدّثه ليلة وهو في سمره قال دعا الرشيد اليوم بيحيى بن عبد الله بن حسن وأحضر الأمان الذي كان أعطاه يحيى، فقال لمحمّد بن الحسن: ما تقول في هذا الأمان أصحيح هو، قال: هو صحيح، فحاجّه في ذلك الرشيد، فقال له محمّد بن الحسن ما تصنع بالأمان لو كان محارباً ثمّ ولّى كان آمناً، فاحتملها الرشيد على محمّد بن الحسن ثمّ

سـأل أبا البختري أن يسـعى ينظر في الأمان فقال أبو البختري: هذا منتقض من وجه كذا وكذا، فقال الرشيد: أنت قاضي القضاة وأنت أعلم بذلك، فمزّق الأمان وتفل فيه أبو البختري..[١].

وأنـت جدّ عليم بانعكاسـات هذه الفتـاوى وإمكانيـات القضاة في تحريف الحكم لوجهة الدولة، ورغبات الخليفة؛ ليتبيّن لنا مدى الحيف الذي تعيشـه الأُمّة بقطاعاتها المختلفة، في هضم الحقوق، وتعطيل الحدود، لينتج من جرّاء ذلك وضعاً اجتماعيـاً يتقبّل ما تبديه السـلطات من رغباتها في إباحة الحرمات تحت شـعار الدين، وسـتكون خروقات الفقهاء انعكاساً لذهنية المجتمع الذي يسعى لكسب بعض مصالحه، حتّى لو كان ذلك على حساب الدين والضمير.

فتوى أبي يوسف:

ولم يطلعنـا المؤرّخون علـى ماهية الفتوى التي أفتاها أبو يوسـف لزوجة هارون فأغدقت عليه من العطاء ما يصفه المسـعودي بأُمور عجيبة. قال المسعودي: وقد كانت أُمّ جعفر كتبت مسألة إلى أبي يوسف تستفتيه فيها، فأفتاها بما وافق مرادها على حسـب ما أوجبته الشـريعة عنده، وأدّاه اجتهاده إليه، فبعثت إليه بحُق فضّة فيـه حقّان من فضّـة، في كلّ حقّ لون من الطيب، وجام ذهب فيه دراهم، وجام فضّة فيه دنانير، وغلمان وتخوت من ثياب، وحمار، وبغل..[٢].

والخبر الذي أورده المسعودي يثير الكثير من التساؤلات:

(١) تاريخ الطبري ٦: ٤٥٤.

(٢) مروج الذهب ٣: ٣٧٢.

أوّلاً: لماذا لم يحفظ المؤرّخون هذه الفتوى وحفظوا كلّ تفاصيل الخبر حتّى الحديث الذي دار بين أبي يوسف وبين جلسائه ولم تورد ذلك خوفاً من الإطالة، فما الذي دعا المؤرّخون إلى أن يتغافلوا عن هذه الفتوى وماهيتها؟!

ثانياً: إنّ تعليق المسعودي في أثناء نقله الخبر بأنّ اجابة أبي يوسف موافقة للشريعة بقوله: «فأفتاها بما وافق مرادها على حسب ما أوجبته الشريعة عنده وأدّاه اجتهاده إليه» فهل كانت بعض الفتاوى خلاف ذلك أي خلاف ما أوجبته الشريعة؟! وإلّا ما الداعي إلى ذكر هذا التعليق لولا ما يستشعره المسعودي من مخالفة الشريعة لفتوى أبي يوسف.

ثالثاً: هل كان القضاة ينتظرون من فتاواهم هدايا المستفتين، سواء كان من العامّة أم من السلطان، وهل القضاء إلّا حُسبة، وعلى فرض اعتقاد القضاة بذلك ما الذي دعا زبيدة إلى أن تبعث كلّ ذلك إلى أبي يوسف؟!

تساؤلات محيّرة في تصرّف زبيدة وإغداقها على أبي يوسف مقابل فتوى، ممّا يشير إلى أنّ مخالفة الفتوى للشريعة كان هو الحاضر في فتاوى القضاة بما يوافق الخلفاء، وهذه الفتوى هي أحدها.

هذه هي فتاوى القضاة وهناك الكثير من النماذج التي لا نريد سردها، لكن ما هو موقف الناس من ذلك؟ هل اعترضوا على مثل تلك الفتاوى؟ أو وافقوا فقهاءهم على هذا الإسفاف؟ أم ما هو الموقف؟!

إنّ ما يعكسه هذا الخبر على آراء العامّة يشير إلى حالة الاستنكار العام لفقهاء الدولة، وفقدان الثقة بهذا الجهاز الديني الذي ما فتئ يحافظ على علاقته مع السلطة، مهما كانت توجّهاتها وتعاملاتها مع الآخرين، فالمهم عندهم هو الحفاظ على التواصل بين هذا الجهاز الديني وبين الجهاز السياسي كجدلية للعلاقة بين

الطرفين، تنبئ عـــن تواطئهما في الحفاظ على مصالحهما، أمّا مصلحة الإســـلام ومصير الأُمّة فهذا لا يهم رجال البلاط وفقهائه، كما تشهد سيرة هؤلاء.

روى المســـعودي أنّه: «حكي أنّ محمّد بن ســـليمان ركب يوماً بالبصرة وسوّار القاضي يســـايره في جنازة ابن عمّ له، فاعترضه مجنـــون كان بالبصرة يعرف برأس النعجة، فقال له: يامحمّد، أمن العدل أن تكون نحلتك في كلّ يوم مائة ألف درهم، وأنـــا أطلب نصف درهم فلا أقدر عليه؟ ثمّ التفت إلى ســـوار فقال: إن كان هذا عدلاً فأنا أكفر به..[1].

ولعـــلّ الخبر الذي يرويه المســـعودي أيضاً يقدّم لنا انطباعـــاً واضحاً عن علاقة الفقهاء بالدولة، تلك العلاقة المتبادلة التي تتقدّمها مصالح الطرفين، فالدولة بحاجة إلى شرعية مفقودة تتعاطى مع المعارضة على ضوء ذلك، والفقهاء يتقلّبون في ترف وثير لم تعتاده الحواضر الإسلامية من قبل، لكنّها بغداد التي عجّت بمظاهر العبث واللهو لينساق فقهاء البلاط خلفها ويلهثون وراءها.

وأنت جـــدٌّ عليم بأنّ هؤلاء القضاة يرابطون في بلاط الخليفة، ويحضرون مجالس لهوه، ويواصلون الليل بالنهار في خدمته، فأي استقلال سيكون لدى القاضي وهو صنيعة السلطان، وأي فتوى يخالف بها السلطان في أهوائه وعبثه، ثمّ هو يكون أداة طيعة بيده يوجّهها كيفما شاء وحيثما شاء.

والذي نريد قوله إذا كانت الفتوى والقضاء يعيشان تحت وطأة السلطة والحاكم، فمتى يســـود عدل، وينهى عن باطل ارتكبوه؟! وهكذا كانت البلدان الإســـلامية تعيش مشكلة الفتوى المسيّسة، والقضاء المأخوذ في قبضة السلطان.

---

(١) المصدر السابق ٣: ٣٧٠.

الإعلام المضاد:

ولا يفوتنا أن نسـلّط الضوء على التحدّيات التي واجهها أهل البيت وشـيعتهم إبّان النظام العبّاسـي ليمثّل هارون جزءً من أزمة العصر التي كان يعيشها المثقّفون والأُدباء، فالإعلام السـلطوي يشتدّ باتّجاه الغاء الحقائق، وطمس القيم التي كانت متداولة لدى الشـعوب الإسـلامية، ومكانة أهل البيت لا يمكن المساومة عليها، لكن إذا كانت المسـألة تصل إلى مساومات سياسية فإنّ الأُمور ستختلف تماماً، وهـذا ما يحدّثنا به المقطع الأدبي من الحياة العبّاسـية الأُولى، إذ هناك نزعة مبكّرة للخوض في جدلية الخلافة وهي مع مَن، حيث إن بروز تيارات سياسـية متناقضة فتح قريحة الشعراء إلى منازعات أدبية ومباراة شعرية، تتراوح بين المديح والهجاء.

ومعلـوم أنّ التيارات المتنازعة لا تتعدّى عن أربع، اثنين انتهيا بانتهاء فترة معيّنة، وآخـران بقيا ينافحان عن عقيدتهما ومبادئهما، أمّا التيار الأوّل فكان هو الحكم وهو التيار الأموي، وانتهى بانتهاء حكومة آل أبي سـفيان، وأمّا الثاني فهو التيار الخارجي حيث اضمحلّ إلى الحدّ الذي لا يذكر له وجود، بعد دخوله في صراعات مسـتمرّة على مرّ التاريخ، وكان لكلّ من هذين التياران حضورهما الأدبي يثبت فيه أحقّيتـه دون غيره، وكلا التيارين لم يبق منهما إلّا تاريخ مسـطور في ثنايا الأدب ومطاوي السـيرة، أمّا التياران الآخران فهما التيار العبّاسي الذي ظهر مؤخّراً على خلفية تداعيات الحكم الأموي وقام على أنقاضه، حيث بدأ بدعوته السرّية وانتهى بحكومته العبّاسـية، والتيار الآخر فهو التيار الشـيعي إذ يمثّل تطلّعات أُمّة تاريخية سـبقت كلّ هذه التيارات أي منذ حيـاة النبي ﷺ وحتّى يوم الناس هذا، ومعلوم أنّ هذا التيار يشـكّل أهمّ تحدّيات التيارات الثلاث الأموي والعبّاسي والخارجي، فقد واجه منهم أصناف التحدّي والتشـريد، ولابدّ لهذا التيار أن ينتهي في خضمّ مطـاردات السـلطات، لكن الذي حدث خلاف ما هـو متوقّع، فقد بقي هذا التيار الشـيعي هو المعارضة لكلّ نظـام، ولابدّ أن تكلّفه هـذه المعارضة الكثير

مــن التضحيــات، إلّا أنّ الأمر اختلف تماماً حين فرض نفســه على التحدّيات السلطوية، وأسّس كيانه الفكري والاجتماعي في خضم ذلك.

وإذا كان الأمر يتعلّق بإثبات شرعية كلّ طرف أمام خصمه، فإنّ الجهد الإعلامي سيتضاعف كذلك، والمقصود من الجهد الإعلامي هو جهد الأُدباء لإثبات أحقّية كلّ طرف على حســاب الآخر، لذا فقد جنّدت الأنظمة السياســية إمكانياتها لمضاعفة هذه الجهود الأدبية، في حين تعدّ جهود الأدب الشيعي والأدب الخارجي جهداً تبرّعياً يقوم على قناعات الشــاعر، ومدى ما يرى من ضرورة مناصرة تياره المنتمي إليه، لعدم ارتباطه بالسلطة، والطمع لما في يديها؛ لذا سيكون هذا الأدب أدباً عقائدياً نابعاً من قناعة الشاعر في ضرورة نصرة حلفائه.

وهكذا فإنّنا نجد أنّ النظام العبّاســي قد ســخّر كلّ قواه من أجل إثبات حقّه المدّعى، في مقابل شرعية المعارضة المتمثّلة بالتيار الشيعي المعارض.

أدب الارتزاق:

فمثــلاً نجــد أنّ «أدب الارتزاق» برز بُعيد الدولة العبّاســية، وتصاعدت وتائره مستقبلاً، وأقصد بأدب الارتزاق هو الأدب المبني على المصالح والمنافع، التي يرجوها الشــاعر من مدحه وهجائه للمعارضين الشــيعة، حيث إنّك تجد أنّ هذا الأدب لم ينبع من قناعات الشــاعر بما يلتزمه من أُطروحاته الشعرية، بل هو أحد عملاء الوضــع الحاكم، ينتظــر الخروج ما في أيديهم من عطاء، فهذا أبو نخيلة الشــاعر المخضرم لعصرين أموي وعبّاسي صال في خضم أحقّية الخلافة ولمن تكون، موجّهاً خطابه بشكل خفي إلى العلويين قال:

حتّى إذا مــا الأوصيــاء عسكــروا وقــام مــن تــبر الــنــبي الجـوهـر

أقبل الناس الهوى المشهر وصاح في الليل نهارٌ أنور

وهنا واضح أنّ الشاعر يوجّه كلامه إلى العلويين الذين يزعمون الخلافة حسب قوله بل إنّ العبّاسيين هم الأولى والأحق في ذلك.

ولعلّ الغلو كان حاضراً في الجهد الأدبي الارتزاقي، فالخليفة في نظر الشاعر ممّن يستحقّ العبادة والتديّن به، حيث هذا التقديس لم ينبع عن قناعات الشاعر بقدر ما هي محاولة للحصول على أسخى الهبات والعطايا، التي كان يعطيها الخليفة إلى هؤلاء الشعراء، فالحسين بن مطير مولى بني أسد يمدح المهدي العبّاسي بقوله:

لو يُعبد الناس يامهدي أفضلهم ما كان في الناس إلّا أنت معبودُ
أضحت يمينك من جود مصوّرة لا بل يمينك منها صُوَّر الجود
لو أنّ من نوره مثقال خردلةٍ في السود طرّاً إذن لابيضّت السود

وإذا كان هذا القول في شخص الخليفة، فما بالك في الوقوف ضدّ معارضيهم، وإثبات بطلان دعوى معارضيهم، فيقول ابن المولى:

وإنّ أمير المؤمنين ورهطه لأهل المعالي من لوي بن غالب
أُولئك أوتاد البلاد ووارثو النبـ ـي بأمر الحقّ غير التكاذب

ولعلّ أكثر من أوغل في التنديد بالمعارضة العلوية على حساب إرضاء رغبات العبّاسيين هو مروان بن أبي حفصة، فمن بعض شعره في خلافة العبّاسيين وهجاء معارضيهم العلويين قوله:

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفّكم أم تسترون هلالها
أو تجحدون مقالةً عن ربّكم جبريل بلّغها النبي فقالها
شهدت من «الأنفال» آخر آيةٍ بتراثهم فأردتم إبطالها

وله في هذا الشأن الأبيات المشهورة:

يـا ابـن الذي ورث النبي محمّداً دون الأقـارب من ذوي الأرحـام
الوحي بين بيـن البنـات وبينـكم قطع الخصام فلات حين خصام
مـا للنسـاء مـع الرجـال فريضة نـزلـت بـذلـك سـورة الأنـعـام
أنّى يكـون وليـس ذاك بكـائن لـبـني الـبـنـات وراثـة الأعـمـام

علـى أنّ مـروان هذا تقلّـب في أحضان المعارضة لآل علـي، فجدّه من يهود خراسـان وكان مولى لمروان بن الحكم وهبه له عثمـان بن عفّان، ودافع عنه أثناء حصـار الدار فأعتقه مروان جزاءً لبلائه، فلمّا ولي المدينة ولّاه على خراج اليمامة، ومهما يكن من شيء فإنّ ابن أبي حفصة هذا صنيعة عهود متلاحقة في معارضتها لآل علي، ومن الطبيعي أن يكون كذلك.

ولا نريد الاسترسـال في الجهد الأدبي الارتزاقي الذي عنى به العبّاسـيون كثيراً، ولا يهمّنـا متابعة هذه الجهود بقدر مـا يهمّنا التنويه عن الصراع المحتدم بين طرفي الأحداث التي نؤرّخها، فالعبّاسـيون بذلوا من خزائن الدولة ما لا يصدقه أحد من أجل تحريك قرائح المدّاحين، وشـعراء العلويين تحمّلوا السيف من أجل إثبات حقّ اعتقدوه ودافعوا من أجله، فالتضحية أزاءه أمر مطلوب، وترك ما في أيدي الحكّام من أجل نصرة العقيدة شـيء لا يمكن مقارنته بجهاد، فجهاد الكلمة أخذ أبعاده آنـذاك، والإبداعات الأدبية توظّف من أجل إعلاء شـأن الحقوق المهضومة لآل علي، وتسـكّع الشـعراء على أبواب الخلفاء أمر متعارف في تلك الحقبة حتّى أنّ سـقوط الكلمة في منحدرات السياسة لم يشهدها الأدب العربي كما شهدها في العصر العبّاسـي، وأنت عليم بأنّ الشـعر مرآة المجتمع العاكسة لحياته الاقتصادية المتدنّية التي ما فتئ الشاعر أن يسعى من أجل الحصول على لقمة عيشه، والمساومة على الحقّ أمر متعارف لدى شـعراء الحقبة العبّاسـية، وإذا كان الأمر كذلك فإنّ انطباعاً غير مشجّع على تعاطي الأُمّة مع الحقوق المشروعة لأهل البيت، والسلطة

توجّه إمكانياتها من أجل قلب الحقائق، وانتهاك الحرمات، فمتى سيكون بعد كلّ هذا ردع للحاكم عند تجاوزاته على حقوق الرعية، ومتى سيكون وقفاً للمجازر التي يرتكبها المنصور، أو المهدي، أو الهادي أو الرشيد في حقّ الأبرياء، بل متى سيكون استنكاراً أو مجابهة من أجل إيقاف حركة التنكيل والقتل التي تطال أهل البيت وشيعتهم، وفي خضم هذا نجد أنّ الرشيد رائد المشروع التصفوي العبّاسي بكلّ طاقاته الانتقامية، يستمرّ في تنفيذ سجن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، ومن ثمّ تصفيته، وتصفية الكثير من شيعته.

على أنّ هذا الأدب الارتزاقي الذي تميّز به بعض شعراء العبّاسيين قد كلّف الدولة مبالغ باهضة، أرهقت الخزينة العامّة لتحرّم الناس من عطائهم، وطبقات الأُمّة تأنّ من الحاجة وشدّة الفاقة.

فاجتماع الأُدباء والقضاة والفقهاء في بلاط هارون لإشباع رغباته في الفتوى، وبلوغ غايته في الشعر، وتحقيق أمانيه في القضاء، فإنّ الأمر لا يستقيم لأحد دون أن يعلن ولاءه للخليفة، أو يواجه عقوبة الاقصاء، أو حالة الإلغاء التي تعني فيما بعد إلى عقوبة القتل، وهو الأمر الطبيعي إلذي يصل إليه الخليفة، ولابدّ أن تكون للإمام موسى بن جعفر عليهما السلام سياسة تمييزه، عن الآخرين، وهي طريقة الإنكار على الخليفة أو على أقلّ تقدير الابتعاد عن أجواء البلاط، والترفّع عن مجالسة أهله، ولابدّ أن تكون لهذه السياسة المتميّزة تضحياتها المتميّزة كذلك، ولابدّ أن يحدّد الإمام لأصحابه سياسة التعاطي مع الخليفة، ويرسم لهم خارطة الطريق التي على ضوئها سيتمّ رسم سياسة شيعته في التعامل مع النظام، وبذلك كانت تحركات الشيعة على وفق منهج الإمام وعدم الحياد عنه، إلّا أنّ ذلك سيكلّف كثيراً من الدماء النازفة على طول الطريق.

الإمام موسى الكاظم عليه السلام وتحدّيات النظام العبّاسي:

لم يزل هارون يعيش ريبة السلطان وهواجس الحاكم الذي لم يأمن من معارضيه أن ينقضوا عليه في حركة مسلّحة، أو تمرّد شعبي، أو ثورة عارمة تهزّ كيانه وتسقط هيبته، وكان يشعر باستنكار الأُمّة لتصرّفاته كحاكم، لكنّه غير قادر على تشخيص مواقع المعارضة، ولابدّ أن يصل إلى حالة من الحذر التامّ لكنّه بشكله السلبي، أي الحذر المبني على الشكّ والريبة، ومعلوم أنّ هذا الشعور سيخلق لديه رغبة الانتقام العشوائي، الذي لا يرسي على قاعدة معيّنة، بل سيكون تنفيذاً لرغبة طائشة، تراود السلطان، وتدفعه للتعامل بالشكّ والريبة مع الجميع، لكن سيكون الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام هو أكثرهم اهتماماً في نظر هارون، الذي ما فتأ يعاني من عقدة نقص تؤرّقه في خلواته، وتسيطر عليه في قراراته، وذلك بعد أن يرى أهلية موسى عليه السلام في كلّ شيء، والأنظار تتّجه إليه لتنظر له نظرة إعجاب، والعلماء يتزاحمون على بابه لينهلون من نميره العذب، وزعماء الرأي يختلسون من هيبتهم ما يمكنهم من التواضع أمامه، وأهل الفرق ينتحلون حبّه لما يجدون عنده من علم جمّ، لا يحجبه عن أحد، وإن اختلف معه في الرأي، وكلّ هذا وذاك فإنّ الإمام موسى عليه السلام قد هيمن على قلوب الناس دون تمييز، وهم يدرؤون عنه كلّ ما يكون له من شأنه الإزعاج والتحرّش، ويحفظون له رعايته لجميع الأُمّة بكلّ توجّهاتها، فكان موسى عليه السلام مألف القلوب كما هو مألف الآراء المتخاصمة، ومأوى النفوس كما هو مأوى الأفكار المتعاكسة، وفي باحة موسى عليه السلام يحطّ الجميع رحالهم، وتستأنس الأفكار باختلافها، فيحكم لهم موسى عليه السلام بحكم الله ليجمعهم على الهدى والصفاء، ولم يكن أحد والحال هذه أن ينفكّ عن مجلس موسى عليه السلام أو ينقطع عن زيارته، فتزاحم الجميع على بابه يُلقي بضلاله في حاجتهم في العلم والتعلّم، وحاجة الجميع إليه دليل على أنّه إمام الجميع.

وبين هذا وذاك يعيش موسى الإمام عليه السلام محنة السلطة، كما هي تعيش عقدة

النقص، حيث لم يجد هارون من الشأن في قلوب المسلمين ما هو لموسى الإمام عليه السلام، وإذا كان هارون إمام الأبدان، فإنّ موسى عليه السلام إمام القلوب، هكذا كان الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام يخبر هارون بحقيقة الأمر، وكان هارون يرتجف جزعاً ممّا هو عليه من إعراض الناس عنه لولا سلطانه، ومن إقبال الناس على موسى عليه السلام لولا بيانه، وكان هارون يعيش هيمنة السلطة بكلّ سطواتها، وكان موسى عليه السلام يعيش القدّيس بكلّ طهارته، ولم يزل مخبوءً في موسى عليه السلام أسرار السماء، كما أنّ هارون مخبوءاً فيه وراثة الشقاء، وإذا كان هذا وكلّ ذاك، فكيف هارون يقرّ له قرار وقد وجد الناس في موسى عليه السلام ضالّتهم لأنّه هو الإمام، وكيف يكون هارون قد قنع من نفسه خليفة ليرى الناس قد أذعنوا إلى الخليفة الحقيقي، الذي أثبت زيف الحاكم ودعوى السلطان، فكان موسى عليه السلام خليفة آبائه الطاهرين.

كلّ ذلك دعا هارون أن يتعامل مع الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام على أنّه المحرّض لكراهية الناس لهارون وعدم التعامل معه على أنّه الخليفة، بل هو الحاكم صاحب السطوة، والسلطان صاحب السياسة التي تفرض على ذوي المصالح مجاراته مع معرفتهم به، ولابدّ لهارون، أن ينفّذ رغبة الانتقام ليتلافى عقدة النقص والدونية، وقد ملأ ذكر موسى عليه السلام الخافقين، وقطاعات العلماء يملؤون المكان، ويتزاحمون في ذاكرة الأُمّة؛ ليحصيهم المؤرّخون أكثر من خمسمائة شيخ، والشيخ له حلقة درس يلقي على أتباعه ما ألقاه عليه موسى بن جعفر عليهما السلام، وما سمعه منه في جميع العلوم.

وإذا أعددنا احصاءً سريعاً لتلامذة موسى بن جعفر عليهما السلام من شيوخ الحديث، وأهل الرواية، وحفظة العلم، وحملة الرأي، وأصحاب الدراية لوجدنا أنّ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام قد أقرّ بإمامته كلّ العلماء، وتبعوهم تلامذتهم، وسلموا لهذا، وأذعنوا مريدوهم، ومعنى ذلك إنّ الأُمّة كلّها قالت بإمامة موسى بن جعفر عليهما السلام وإن كان كلّ بحسبه أي إنّهُم يتعاملون مع موسى عليه السلام على أنّه الإمام دون غيره،

حسبما تقتضيه أوضاعهم، وما تأنس به آراؤهم، وما تفرضه عليهم قناعاتهم، وما توجبه لذلك أقدارهم، وعلى كلّ الأحوال فإنّ موسى بن جعفر عليهما السلام هو الإمام، والخليفة، والعالم، والراعي لكلّ الأُمّة، باختلاف ألوانها، وتعدّد آرائها، وإذا كان الأمر كذلك فما الذي يبقى لهارون، سوى خاصّته وأهل بلاطه المأخوذون برهبة السلطان.

وإذا وقفنا عند أسماء أصحاب الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام لوجدناكم هم أتباعه وشيعته ومريديه، وكيف أنّ أصحابه تعدّدوا بتعدّد الآراء، وشكّلوا كلّ قطاعات الأُمّة وتوجّهاتها.

أصحاب الإمام موسى الكاظم عليه السلام:

وهذا كشّاف لأصحاب الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام أوردناه من مصادر الرجاليين حسب الحروف الأبجدية التي من شأنها تسلسل الأسماء وتواليها؛ ليسهل على الباحث الوقوف عندها، ليتبيّن لنا مقام الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام وتأثيره في الشارع الإسلامي الذي انخرط علماؤه كلّهم ضمن جامعة الإمام، ينهلون من علمه ويستشرفون من معارفه ما يعينهم على استكشاف الواقع، وسبر غور القادم الغيبي، وإذا كان الأمر كذلك فما ظنّك بهم في الاعتقاد به والتضحية من أجله.

١. أبان بن عثمان الأحمر:

أبو عبد الله أبان بن عثمان بن يحيى بن زكريا اللؤلؤي البجلي بالولاء البصري

الكوفي المشهور بالأحمر.

روى عنه اكثر من ٥٥ راوياً منهم: معمر بن المثنّى ومحمّد بن سلام، وأحمد بن محمّد بن أبي نصر وغيرهم.

له كتاب في المغازي والوفاة والردّة والسقيفة[١].

٢. إبراهيم بن أبي البلاد:

من أصحاب الكاظم والرضا وأدرك الجواد عليهم السلام كان ثقة جليلاً والظاهر أنّه كان طبيباً كما استظهره السيّد صدر الدين كما في التنقيح[٢].

٣. إبراهيم الحضرمي:

من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام لم ترد فيه تراجم كافية للوقوف على حاله.

٤. إبراهيم بن شعيب:

عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الكاظم، واقفي.

٥. إبراهيم بن عبدالحميد:

البزاز الكوفي الأسدي، واقفي، أدرك الرضا ولم يسمع منه.

٦. إبراهيم بن عبدالحميد الصنعاني:

(١) أحسن التراجم في أصحاب الإمام الكاظم: عبدالحسين الشبستري: ٢٩.
(٢) تنقيح المقال، العلامة الشيخ عبد الله المامقاني ١: ١١.

من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام وروى عنهما، واقفي.

٧. إبراهيم بن عثمان الخزاز:

أبو أيّوب الخزاز، روى عن أبي عبد الله عليه السلام وروى عن الإمام الكاظم عليه السلام.

٨. إبراهيم بن عثمان اليماني:

روى عن الإمام الصادق عليه السلام وعدّه الشيخ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام.

٩. إبراهيم بن محمّد الجعدي:

من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ولم نعثر كثيراً على ترجمته.

١٠. إبراهيم مولى عبد الله:

من أصحاب الكاظم لم نقف على ترجمته.

١١. إبراهيم بن مهزم الأسدي:

روى عن الصادق عليه السلام وعن أبي الحسن الكاظم عليه السلام أحد المعمّرين وهو من الثقات.

١٢. إبراهيم بن نصر القعقاع:

قال النجاشي: إبراهيم بن نصر القعقاع الجعفي كوفي يروي عن أبي عبد الله عليه السلام وأبي الحسن عليه السلام الكاظم صحيح الحديث ثقة.

١٣. إبراهيم بن محمّد الأشعري القمي:

من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام.

١٤. إبراهيم بن محمّد الجعدي:

من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام.

١٥. إبراهيم بن محمّد الجعفري:

من أصحاب الإمام الكاظم، وهو أحد شهود الوصية للإمام الرضا عليه السلام.

١٦. إبراهيم بن أبي السمال:

أبو بكر إبراهيم بن أبي بكر بن الربيع بن أبي السمال الأزدي وقيل الأسدي. واقفي لكنّه ثقة.

١٧. إبراهيم بن أبي محمود الخراساني:

من ثقات أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام وأدرك الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام.

١٨. إبراهيم بن نعيم العبدي:

أبو الصباح إبراهيم بن نعيم العبدي الكوفي الكناني من ثقات الإمامية وعدّ من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام.

١٩. إبراهيم بن يوسف الطحّان:

إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم الكندي الطحّان. من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ومن الثقات.

٢٠. أحمد بن أبي بشر السرّاج:

من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ومن وكلائه كوفي ثقة.

٢١. أحمد بن أبي خلف:

مولى لأبي الحسن الكاظم ومن أصحابه.

٢٢. أحمد بن أبي قتادة:

من أصحاب الكاظم عليه السلام.

٢٣. أحمد بن الحارث الأنماطي:

من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام.

٢٤. أحمد بن الحسن بن إسماعيل التمّار:

أحمد بن الحسن بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم بن عبد الله التمّار، من أصحاب الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

٢٥. أحمد بن الفضل الخزاعي:

واقفي من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام.

٢٦. أحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطي:

مـــن أصحاب الكاظم عليه السلام وعدّوه مـــن أصحاب الرضا عليه السلام كذلك من ثقات الأصحاب.

٢٧. أحمد بن محمّد بن أبي نصر صاحب الانزال:

روى عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.

٢٨. أحمد بن زياد الخزاز:

من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام واقفي.

٢٩. أحمد بن السري:

من أصحاب الكاظم عليه السلام واقفي.

٣٠. أحمد بن سليم:

من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام.

٣١. أحمد بن سليمان:

وقيل حمّاد وحمدان، من أصحاب الكاظم عليه السلام.

٣٢. أحمد بن عمر الحلّال.

من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام.

٣٣. أحمد بن عمر بن أبي شعبة الحلبي.

روى عن الباقر وأدرك الرضا عليهما السلام، من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام.

٣٤. أحمد بن محمّد الكوفي:

من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام.

٣٥. أحمد بن محمّد النجاشي:

من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام.

٣٦. أحمد بن مخلد النخّاس:

من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام.

٣٧ أُسامة بن حفص: من أصحاب الكاظم عليه السلام وكان قيّماً في أُموره وخدماته.

٣٨ . أسباط بن سالم الكوفي بيّاع الزطي: مولى بني عدي من كندة، والزطي ثياب منسوبة إلى الزط في الهند وكان بيّاعاً لهذه الثياب. وهو من أصحاب الصادق عليه السلام ثمّ من أصحاب الكاظم عليه السلام.

٣٩ . إسحاق بن عبد الله بن سعد بن مالك الأشعري: من أصحاب الكاظم عليه السلام.

٤٠ إسحاق بن عمّار الساباطي: من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام كان فطحياً.

٤١ . إسحاق بن محمّد: عدّه الشيخ من أصحاب الكاظم عليه السلام.

٤٢ إسحاق بن جرير البجلي: هو أبو عبد الله أو بو يعقوب وقيل حريز بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي من أصحاب الصادق عليه السلام ثمّ من أصحاب الكاظم عليه السلام.

٤٣ إسحاق بن الفضل بن يعقوب بن سعد الهاشمي: وهو إسحاق بن الفضل بن يعقوب بن سعد وقيل سعيد بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب بن هاشم القرشي الهاشمي، من أصحاب الكاظم عليه السلام وروى عن الباقر والصادق عليهما السلام.

٤٤ إسحاق بن المبارك: من أصحاب الكاظم عليه السلام.

٤٥ إسحاق بن يحيى التميمي الكاهلي: كوفي قرشي ممّن روى عن أبي عبد الله عليه السلام، من أصحاب الكاظم عليه السلام.

٤٦ إسماعيل بن جابر الجعفي: وهو إسماعيل بن جابر بن يزيد الجعفي الكوفي. روى عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام وهو من أصحاب الكاظم عليه السلام.

٤٧ إسماعيل بن الحسن: من أصحاب الكاظم عليه السلام.

٤٨ إسماعيل بن الحر، ممّن روى عن الصادق عليه السلام، من أصحاب الكاظم عليه السلام.

٤٩ إسماعيل بن حميد الأزرق.

٥٠ إسماعيل بن رياح وقيل رياح السلمي الكوفي.

٥١ إسماعيل بن سعد الأحوص الأشعري القمي.

٥٢ إسماعيل بن سلام وقيل سالم.

٥٣ إسماعيل بن عبد الخالق بن عبد ربّه بن أبي ميمونة بن يسار الأسدي الكوفي.

٥٤ إسماعيل بن الفضل بن يعقوب بن الفضل الهاشمي المدني البصري.

٥٥ إسماعيل بن قتيبة.

٥٦ إسماعيل بن أبي بكر محمّد بن الربيع بن أبي سمال الأزدي: والأسدي.

٥٧ إسماعيل بن محمّد المنقري.

٥٨ السيّد الحميري أبو عامر وأبو هاشم إسماعيل بن محمّد بن يزيد المشهور بالسيّد الحميري.

٥٩ إسماعيل بن همام بن عبد الرحمن بن أبي عبد الله ميمون البصري الكندي بالولاء.

٦٠ أسيد أو أسد بن أبي العلاء.

٦١ أُميّة بن عمرو الكوفي المعروف بالشعيري.

٦٢ أيمن بن محرز.

٦٣ أيّوب بن أعين الكوفي الطريفي وقيل الظريفي وقيل الرياحي بالولاء.

٦٤ أيّوب بن الحرّ الجعفي أو النخعي الكوفي بيّاع الهروي.

٦٥ برية وقيل بريهة النصراني أسلم على يد الإمام الكاظم عليه السلام.

٦٦ بسطام بن سابور الواسطي أبو الحسن الزيّات أو ابن الزيات.

٦٧ بشر بن يسار الضبيعي العجلي الكوفي أبو عمرو أو أبو جعفر.

٦٨ أبو نصر بشر الحافي بن الحارث بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله المروزي البغدادي المعروف بالحافي تاب على يد الإمام الكاظم عليه السلام.

٦٩ أبو صدقة، بشر بن مسلمة الكوفي.

٧٠ الدهّان، أبو الخبّاز بشـير، وقيل يسير، وقيل أسير بن عمرو، وقيل جابر الدهّان الكوفي، وقيل الكندي، وقيل العبدي، وقيل المحاربي، وقيل القتباني.

٧١ بكر بن الأشعث، أبو إسماعيل بكر بن الأشعث الكوفي.

٧٢ الرازي، بكر بن صالح الرازي، الضبي بالولاء.

٧٣ بكر بن محمّد الأشعري.

٧٤ بكر بن محمّد بن جناح.

٧٥ الغامـدي، أبو محمّد بكر، وقيل بكـير بن محمّد بن عبد الرحمن بن نعيم الأزدي، الكوفي، الغامدي نسبة إلى آل نعيم الغامديين.

٧٦ أبو حمزة ثابت بن أبي صفية دينار، وقيل سعيد الأزدي، الثمالي، الكوفي.

٧٧ أبو إسحاق ثعلبة بن ميمون الأسدي بالولاء، وقيل مولى بن سلامة الكوفي.

٧٨ أبو سليمان جعفر بن إبراهيم بن محمّد بن علي بن عبد الله بن جعفر الطيّار بن أبي طالب عليه السلام القرشي، الهاشمي، الجعفري، المدني.

٧٩ جعفر بن إبراهيم بن محمّد الهمداني.

٨٠ جعفر بن أحمد المكفوف.

٨١ جعفر بن خلف الكوفي.

٨٢ جعفر بن سليمان.

٨٣ جعفر بن صالح.

٨٤ جعفر بن علي.

٨٥ جعفر بن محمّد بن حكيم الخثعمي.

٨٦ أبو عبد الله جعفر بن محمّد بن سماعة بن موسى بن زويد، وقيل رويد ابن نشيط الحضرمي بالولاء مولى عبد الجبّار بن وايل الحضرمي، حليف بني كندة.

٨٧ أبو علي، وقيل أبو محمّد جميل بن درّاج، وقيل رباح بن عبد الله النخعي بالولاء، الكوفي.

٨٨ جميل بن صالح الأسدي، الكوفي.

٨٩ جندب بن أيّوب.

٩٠ جندب بن عبد الله.

٩١ جهم، وقيل جهيم بن جعفر بن حيّان.

٩٢ جهم، وقيل جهيم بن أبي جهم، وقيل أبي جهمة، وقيل أبي جهيمة الكوفي.

٩٣ أبو علي الحارث بن المغيرة النصري نسبة إلى بني نصر بن معاوية البصري، وقيل الكوفي، المعروف ببيّاع الزطي.

٩٤ حبيب بن المعلّل، وقيل المعلّى الخثعمي بالولاء، المدايني، الكوفي.

٩٥ أبو علي حديد، وقيل جوير بن حكيم الأزدي، المدايني، أخو مرازم.

٩٦ أبو محمّد حذيفة بن منصور بن كثير بن سلمة بن عبد الرحمن الخزاعي بالولاء، الكوفي، المعروف ببيّاع السابري.

٩٧ حسّان بن مهران الجمّال، وقيل الحمّال، الكاهلي، الأسدي بالولاء، الكوفي، أخو صفوان بن مهران.

٩٨ الحسن بن أيّوب.

٩٩ الحسن بن بشر.

١٠٠ أبو محمّد الحسن التفليسي، وهناك من وحّد بينه وبين الحسن بن النضر الأرمني.

١٠١ أبو محمّد الحسن بن الجهم، بن بكير بن أعين بن سنسن الشيباني بالولاء الزراري، الكوفي.

١٠٢ أبو محمّد الحسن، وقيل الحسين الدريوري، وقيل الذريوي، وقيل الراوندي، الدينوري، الكوفي، البجلي بالولاء.

١٠٣ أبو محمّد الحسن، وقيل الحسين بن راشد العبّاسي بالولاء، الكوفي، وقيل البغدادي.

١٠٤ أبو الوليد وأبو محمّد الحسن، وقيل الحسين بن زياد الضبي بالولاء، الطائي، الصيقل، العطّار، الكوفي.

١٠٥ الحسن بن صالح.

١٠٦ الحسن بن صدقة المدايني، الأزدي، أخو مصدّق بن صدقة.

١٠٧ الحسن بن عبد الرحمن الحمّاني.

١٠٨ أبو علي الحسن بن عبد الله.

١٠٩ الحسن، وقيل الحسين بن أبي العرندس الكندي، الكوفي.

١١٠ أبو محمّد الحسن بن علي بن زياد البجلي، الخزاز، الوشاء، الكوفي، الصيرفي، المعروف بربيع وابن بنت إلياس.

١١١ أبو محمّد الحسن بن علي بن فضّال بن عمرو بن أيمن التيملي بالولاء، الكوفي، المعروف بابن فضّال.

١١٢ الحسن بن علي بن يقطين بن موسى الهاشمي وقيل الأسدي بالولاء، البغدادي.

١١٣ الحسن، وقيل الحسين بن عمر، وقيل عمرو بن سليمان، وقيل سلمان.

١١٤ الحسن بن محبوب بن وهب بن جعفر بن وهب السراد، وقيل الزراد، البجلي بالولاء، الكوفي.

١١٥ أبو علي، وقيل أبو محمّد الحسن بن محمّد بن سماعة بن موسى الكندي، الصيرفي، الكوفي.

١١٦ الحسن بن محمّد بن أبي طلحة.

١١٧ أبو محمّد الحسن بن المختار القلانسي، الكوفي.

١١٨ الحسين بن إبراهيم بن موسى بن أحنف.

١١٩ أبو عبد الله الحسين بن أحمد المنقري، التميمي.

١٢٠ الحسين، وقيل الحسن بن بشّار، وقيل يسار المدايني، وقيل الواسطي، مولى زياد.

١٢١ الحسين، وقيل الحسن بن خالد.

١٢٢ الحسين بن خالد الصيرفي.

١٢٣ الحسين بن رئاب، وقيل رباب، وقيل رياب.

١٢٤ أبو عبد الله الحسين بن زيد بن علي السجّاد بن الحسين الشهيد بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام، الهاشمي، العلوي، المدني، الكوفي، الملقّب بذي الدمعة، أو ذي العبرة، وأُمّه أُمّ ولد.

١٢٥ الحسين بن شعيب المدايني.

١٢٦ الحسين بن عثمان بن شريك بن عدي العامري، الوحيدي، الكوفي، الرواسي.

١٢٧ أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسن المثلّث بن الحسن المثنّى بن الحسن المجتبى بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام الهاشمي، العلوي، الحسني، المدني، المعروف بشهيد فخ، أُمّه زينب بنت عبد الله بن الحسن المثنّى.

١٢٨ الحسين، وقيل الحسن بن علي بن مهران.

١٢٩ الحسين بن علي بن يقطين بن موسى البغدادي.

١٣٠ الحسين بن عمر بن يزيد.

١٣١ أبو عبد الله الحسين بن أبي غندر الكوفي.

١٣٢ الحسين بن القاسم، العيّاشي، وقيل العبّاسي.

١٣٣ الحسين بن قياما الواسطي.

١٣٤ الحسين بن كيسان.

١٣٥ الحسين بن محمّد الأشعري، القمي.

١٣٦ أبو عبد الله الحسين بن المختار القلانسي، الكوفي، الأحمس بالولاء.

١٣٧ أبو عبد الله الحسين بن مهران بن محمّد بن أبي نصر السكوني.

١٣٨ الحسين بن موسى.

١٣٩ أبو عبد الله الحسين بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي السجّاد بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام الهاشمي، العلوي.

١٤٠ الحسين بن ناجية الأسدي بالولاء، الكوفي.

١٤١ الحسين بن أبي نعيم.

١٤٢ الحسين بن نعيم الصحّاف، الكوفي، الأسدي، بالولاء.

١٤٣ أبو جنادة حصين، وقيل حضين، وقيل الحسين، وقيل الحسن بن مخارق بن عبد الرحمن بن ورقاء، وقيل ورقة بن حبشي بن جنادة السلولي، الكوفي.

١٤٤ حفص بن البختري الكوفي، البغدادي، مولى.

١٤٥ حفص بن سابور الواسطي، أخو بسطام.

١٤٦ حفص بن سليمان.

١٤٧ حفص بن سوقة العمروي، وقيل العمري مولى عمر بن حريث المخزومي، الكوفي.

١٤٨ أبــو عمرو، وقيل أبو عمر حفص بن غياث بن طلق بن معاوية بن مالك بن الحارث بن ثعلبة النخعي، الكوفي.

١٤٩ أبو علي الحكم بن أيمن القرشي بالولاء، الخيّاط، وقيل الحنّاط، الكوفي.

١٥٠ حمّــاد بن عثمان بن زياد الرؤاســي، الغنوي وقيل الأزدي بالولاء الكوفي، المعروف بالناب أو بذي الناب.

١٥١ أبو محمّد حمّاد بن عيســى بن عبيدة بن الطفيل الجهني، الكوفي، البصري وقيل الواسطي، المعروف بغريق الجحفة.

١٥٢ أبو جعفر حمدان بن المعافى الصبيحي، الهاشمي بالولاء.

١٥٣ حمزة بن أحمد.

١٥٤ حمزة بن اليسع الأشعري، القمي.

١٥٥ أبــو المعزى، وقيل أبــو المغراء، وقيل أبو المعزاء، حميــد بن المثنّى العجلي بالولاء، الكوفي، الصيرفي.

١٥٦ أبو الفضل حنان بن سدير بن حكيم بن صهيب الصيرفي، الكوفي.

١٥٧ خالد، وقيل خلّاد وخالد أصح بن زياد، وقيل ماد، وقيل باد، وقيل مازن، وقيل حمّاد القلانسي، وقيل بيّاع القلانسي، الكوفي، مولى.

١٥٨ أبو سعيد خالد بن سعيد القمّاط، الكوفي.

١٥٩ أبو عبد الله خالد بن نجيح الجواز، وقيل الحوار، وقيل الجوان، وقيل الخوار، وقيل الخزاز، الكوفي.

١٦٠ خالد بن يزيد بن جبل الكوفي.

١٦١ خزيمة بن يقطين بن موسى، أخو علي بن يقطين.

١٦٢ خطاب بن سلمة البجلي، الجريري، الكوفي.

١٦٣ خلف بن حمّاد بن ياسر، وقيل ناشر بن المسيب، وقيل الليث الأسدي، الكوفي.

١٦٤ أبو سلمة خلف بن خلف اللفايفي.

١٦٥ خلف بن سلمة البصري.

١٦٦ داود بن الحصين الأسدي بالولاء، الكوفي.

١٦٧ أبو سليمان داود بن زربى، وقيل زربي، وقيل رزين الخندقي، وقيل الخندفي، البندار، الكوفي.

١٦٨ داود بن سرحان العطّار، الكوفي، مولى.

١٦٩ داود بن سليمان.

١٧٠ داود بن علي العبدي.

١٧١ أبو علي داود بن علي اليعقوبي، الهاشمي.

١٧٢ داود بن أبي يزيد فرقد الأسدي، النصري، الكوفي، مولى آل السمال، ويقال باتّحاده مع داود بن أبي يزيد العطّار.

١٧٣ أبو سليمان داود بن كثير بن أبي خلدة، وقيل أبي كلدة الرقي، الكوفي، الأسدي بالولاء.

١٧٤ داود بن النعمان الأنباري، النخعي، الهاشمي بالولاء، الأعلم، المعروف ببيّاع الأنماط.

١٧٥ درست بن أبي منصور محمّد الواسطي، وقيل في اسمه درست بن منصور.

١٧٦ أبو علي، وقيل أبو جعفر دعبل بن علي بن رزين بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، المضري، الكوفي، وقيل في اسمه عبد الرحمن أو الحسن أو محمّد، ودعبل لقب له غلب على اسمه.

١٧٧ أبو الوليد ذريح بن محمّد بن يزيد المحاربي من بني محارب بن حفصة الكوفي.

١٧٨ أبو نعيم ربعي بن عبد الله بن الجارود بن أبي سبرة العبدي، وقيل الهذلي، البصري.

١٧٩ الربيع بن مسلمة.

١٨٠ رفاعة بن موسى الأسدي، النخّاس، وقيل النحّاس، الكوفي.

١٨١ رهم الأنصاري.

١٨٢ رومي بن زرارة بن أعين بن سنسن الشيباني بالولاء، الكوفي.

١٨٣ أبو الحسن وأبو علي زرارة بن أعين بن سنسن الشيباني بالولاء، الكوفي، وقيل كان اسمه عبد ربّه وزرارة لقب غلب عليه.

١٨٤ أبو محمّد زرعة بن محمّد الحضرمي.

١٨٥ أبو جرير، وقيل أبو حرب زكريا بن إدريس بن عبد الله بن سعد الأشعري، القمي.

١٨٦ أبو يحيى زكريا الدعاء، الخيّاط، وقيل الحنّاط، وقيل الطحّان، الكوفي.

١٨٧ زكريا بن سابور الأزدي بالولاء، الواسطي، أخو بسطام بن سابور.

١٨٨ أبو جرير زكريا بن عبدالصمد القمي.

١٨٩ أبو يحيى زكريا بن عبد الله النقّاض، وقيل الفيّاض، الكوفي.

١٩٠ زكريا بن عمران القمي.

١٩١ أبو عبد الله زكريا بن محمّد الأزدي، المعروف بالمؤمن.

١٩٢ أبو يحيى زكريا الموصلي، الكوفي، المعروف بكوكب الدم.

١٩٣ زياد بن الحسن الوشاء.

١٩٤ أبو الحسن زياد بن سابور الواسطي، أخو بسطام بن سابور.

١٩٥ زياد بن أبي سلمة، وقيل ابن سلمة.

١٩٦ زياد بن سليمان البلخي.

١٩٧ أبو الفضل، وقيل أبو عبد الله بن مروان القندي، الأنباري، وقيل البغدادي، الهاشمي بالولاء.

١٩٨ زياد بن الهيثم الوشاء.

١٩٩ أبو أُسامة زيد بن محمّد بن يونس، وقيل موسى الأزدي بالولاء، الشحّام، وقيل الحجّام، الكوفي، وقيل في اسمه زيد بن يونس الشحّام.

٢٠٠ زيد بن موسى.

٢٠١ زيد بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي السجّاد بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام الهاشمي، العلوي، المعروف بزيد النار، وأُمّه أُمّ ولد.

٢٠٢ زيد النرسي، الكوفي، ونرس: اسم قرية ونهر بالكوفة.

٢٠٣ أبو خديجة، وأبو سلمة سالم بن أبي سلمة مكرم بن عبد الله الأسدي بالولاء، الكوفي، الكناسي، الجمّال، المعروف بصاحب الغنم.

٢٠٤ سعد بن خلف.

٢٠٥ سعد بن أبي خلف الزهري بالولاء، الكوفي، الزاجر، وقيل الراجز وقيل الزامر، المعروف بالزام.

٢٠٦ سعد، وقيل سعيد بن زيد.

٢٠٧ سعد بن سعيد، وقيل ابن أبي سعيد البلخي.

٢٠٨ سعد بن عمران، وقيل ابن أبي عمران الأنصاري.

٢٠٩ سعد بن عمران القمي.

٢١٠ أبو الحسن سعدان بن مسلم بن عبد الرحمن العامري وقيل الزهري بالولاء، الكوفي، وقيل اسمه عبد الرحمن وسعدان لقب له.

٢١١ أبو عبد الله سعيد بن عبد الرحمن، وقيل عبد الله التميمي، وقيل التيمي بالولاء، الأعرج، السمّان، الكوفي.

٢١٢ سعيد بن يسار الضبيعي، وقيل الضبعي بالولاء، الحنّاط، الكوفي.

٢١٣ سلمان وقيل سليمان بن ربعي بن عبد الله الهمداني.

٢١٤ سلمة بن حيان، وقيل حنان.

٢١٥ سلمة بن محمّد بن عبد الله الخزاعي، الكوفي، أخو منصور بن محمّد.

٢١٦ أبو عبد الله سليم، وقيل سليمان بن عمران الفراء، الكوفي، المعروف بالطربال، وقيل موسى طربال، وقيل اسمه سليم بن الفراء، وقيل اسمه سليمان بن مولى طربال.

٢١٧ سليم، وقيل أسلم وقيل سلم مولى علي بن يقطين.

٢١٨ أبو محمّد سليمان بن جعفر بن إبراهيم بن محمّد بن علي بن عبد الله بن جعفر الطيّار، الهاشمي، الطالبي، الجعفري.

٢١٩ سليمان بن حفص المروزي.

٢٢٠ سليمان بن خالد الخطّاب، وقيل الحطّاب.

٢٢١ سليمان بن رشيد.

٢٢٢ سليمان بن أبي زيد.

٢٢٣ سليمان بن أبي زينبة.

٢٢٤ سليمان بن سالم.

٢٢٥ سليمان بن عبد الله الهذلي.

٢٢٦ أبو أيّوب سليمان بن مقبل المدني.

٢٢٧ سليمان المؤمن.

٢٢٨ أبو محمّد، وقيل أبو ناشرة سماعة بن مهران بن عبد الرحمن الحضرمي وقيل الخولاني بالولاء، الكوفي، الكندي، المعروف ببيّاع القز.

٢٢٩ سنان بن طريف، وقيل ظريف الثوري، وقيل الزهري.

٢٣٠ سندي بن الربيع بن محمّد البغدادي، وقيل الكوفي.

٢٣١ السندي بن شاهك، مولى المنصور الدوانيقي العبّاسي، وجد كشاجم الشاعر.

٢٣٢ سهل بن اليسع بن عبد الله بن سعد الأشعري، القمي.

٢٣٣ سيابة بن ناجية المدني.

٢٣٤ سيف بن عميرة النخعي، الكوفي.

٢٣٥ شعيب بن حمّاد.

٢٣٦ أبو يعقوب شعيب بن يعقوب العقرقوفي.

٢٣٧ أبو شعيب صالح بن خالد المحاملي، الكناسي، الأسدي بالولاء.

٢٣٨ أبو سلمة صالح بن سعيد الأحول.

٢٣٩ صالح بن عبد الله الخثعمي، الكوفي.

٢٤٠ صالح بن عقبة بن قيس بن سمعان بن أبي ذبيحة، وقيل ابن أبي ربيعة الخيّاط، وقيل القمّاط، وكان جدّه سمعان من موالي رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢٤١ أبو محمّد صالح بن علي بن عطية الأضخم، وقيل الأفقم، البصري، وقيل البغدادي.

٢٤٢ أبو محمّد صفوان بن مهران بن المغيرة الجمّال، الأسدي، الكاهلي بالولاء الكوفي.

٢٤٣ أبو محمّد صفوان بن يحيى البجلي، الكوفي، بيّاع السابري.

٢٤٤ صندل.

٢٤٥ أبو مالك الضحّاك الحضرمي، الكوفي.

٢٤٦ طاهر بن حاتم بن ماهويه القزويني.

٢٤٧ عاصم بن الحسن.

٢٤٨ عاصم بن الحسين.

٢٤٩ العالي.

٢٥٠ عبّاد بن يزيد.

٢٥١ أبو الفضل العبّاس بن عامر بن رباح، وقيل رياح الثقفي، القصباني، ومن المحقّقين من فرق بين العبّاس بن عامر والعبّاس بن عامر القصباني.

٢٥٢ العبّاس بن موسى الكاظم عليه السلام بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي السجّاد بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام الهاشمي، العلوي.

٢٥٣ عبد الجبّار بن المبارك النهاوندي.

٢٥٤ عبد الحميد بن سالم العطّار، الكوفي.

٢٥٥ عبد الحميد بن سعد، وقيل سعيد البجلي بالولاء، الكوفي.

٢٥٦ عبد الحميد بن عواض، وقيل غواص الطائي، الكسائي، الكوفي.

٢٥٧ عبد الحميد بن المفضّل السمّان.

٢٥٨ أبو محمّد عبد الرحمن بن أعين بن سنسن الشيباني بالولاء، الكوفي.

٢٥٩ أبو عبد الله عبد الرحمن بن الحجّاج البجلي بالولاء، الكوفي، المعروف ببيّاع السابري.

٢٦٠ عبد الرحمن بن عمر بن أسلم.

٢٦١ عبد الرحمن بن الوضاح.

٢٦٢ عبد الرحمن، وقيل عبد الله بن يحيى العقيلي.

٢٦٣ عبد العزيز بن المهتدي بن محمّد بن عبدالعزيز الأشعري، القمي.

٢٦٤ عبد الكريم بن عتبة القرشي، الهاشمي، الكوفي، اللهبي نسبة إلى أبي لهب عمّ النبي صلى الله عليه وآله.

٢٦٥ عبد الكريم بن عمرو وقيل عمر بن صالح الخثعمي بالولاء، الكوفي، الملقّب بكرام.

٢٦٦ عبد الله، وقيل عبيدالله بن أبان الزيّات.

٢٦٧ أبو محمّد عبد الله بن إبراهيم بن محمّد بن علي بن عبد الله بن جعفر الطيّار بن أبي طالب عليه السلام الهاشمي، الجعفري.

٢٦٨ عبد الله بن إبراهيم المدايني.

٢٦٩ أبــو محمّد عبد الله بن جبلة بن حنان، وقيل حيّان بن جبلة بن حنان بن الحرّ، وقيل أبجر الكناني.

٢٧٠ عبد الله بن جندب البجلي، الأعور، الكوفي.

٢٧١ عبد الله بن الحارث المخزومي، وأُمّه من ولد جعفر بن أبي طالب عليه السلام.

٢٧٢ أبو محمّد عبد الله بن حمّاد الأنصاري.

٢٧٣ أبو خداش عبد الله بن خداش، وقيل خراش البصري، المهري.

٢٧٤ عبد الله بن ســنان بن طريف الكوفي، وقيل العبّاســي بالولاء، وقيل مولى بني أبي طالب عليه السلام، المشهور بابن سنان.

٢٧٥ عبد الله بن سنان الواسطي.

٢٧٦ عبد الله بن صالح الخثعمي.

٢٧٧ عبد الله بن عثمان الحنّاط، وقيل الخيّاط.

٢٧٨ أبو علي عبد الله بن غالب الأسدي.

٢٧٩ عبد الله بن الفضيل، وقيل ابن القصير، وقيل في اسمه عبد الله القصير.

٢٨٠ عبد الله بن القاسم الحضرمي، الكوفي، المعروف بالبطل.

٢٨١ عبد الله بن لفافة الكوفي.

٢٨٢ عبد الله بن محمّد الشعيري، اليماني.

٢٨٣ عبد الله بن المرحوم الأزدي، الكوفي.

٢٨٤ أبو محمّد عبد الله بن مسكان، وقيل في اسمه عبد الله مسكان العنزي بالولاء، الكوفي، المعروف بابن مسكان.

٢٨٥ عبد الله بن المغيرة النوفلي، الهاشمي بالولاء، الكوفي، الخزّاز.

٢٨٦ عبد الله بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي السجّاد بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام الهاشمي، العلوي.

٢٨٧ عبد الله النخّاس، وقيل النحّاس، وقيل النجاشي.

٢٨٨ أبو محمّد عبد الله بن الوضاح الكوفي.

٢٨٩ أبو محمّد عبد الله بن يحيى الكاهلي، التميمي، وقيل الأسدي.

٢٩٠ عبد الملك بن بشير.

٢٩١ عبد الملك بن حكيم الخثعمي، الكوفي.

٢٩٢ عبد الملك بن عتبة الصيرفي، النخعي، الكوفي.

٢٩٣ عبد الملك بن عتبة الهاشمي، اللهبي، الكوفي.

٢٩٤ عبد الوهاب النهاوندي، المعروف بابن قنبر، وقيل عرف بأبي قنبر، وقيل أبي قنبرة.

٢٩٥ عبيد الله بن علي.

٢٩٦ أبو عمرو عثمان بن عيسى العامري، الكلابي الرواسي بالولاء، الكوفي.

٢٩٧ عطية بن رستم.

٢٩٨ علي بن إبراهيم الهاشمي.

٢٩٩ علي بن أحمد بن أشيم، وقيل رستم.

٣٠٠ علي بن إسماعيل بن عامر، وقيل عمّار.

٣٠١ أبو الحسن علي بن جعفر الصادق ابن محمّد الباقر ابن علي السجّاد ابن الحسين الشهيد ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام القرشي، الهاشمي، العلوي، المدني، المعروف بالعريضي.

٣٠٢ علي بن حديد بن حكيم الكوفي، المدايني، الأزدي، الساباطي.

٣٠٣ أبو الحسن علي بن الحسن بن محمّد الطائي، الجرمي، الكوفي، المشهور بالطاطري.

٣٠٤ علي بن الحسين بن يحيى.

٣٠٥ أبو محمّد علي بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العبّاس بن أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب عليه السلام القرشي، الهاشمي، العلوي.

٣٠٦ علي بن الخطّاب.

٣٠٧ أبو الحسن علي بن رئاب الطحّان، السعدي وقيل الجرمي بالولاء، الكوفي.

٣٠٨ أبو الحسن علي بن أبي حمزة سالم البطائني، الأنصاري بالولاء، الكوفي، وقيل البغدادي.

٣٠٩ علي بن سعيد المكاري.

٣١٠ علي بن سويد التمّار.

٣١١ علي بن سويد السائي نسبة إلى الساية وهي من قرى المدينة المنوّرة.

٣١٢ علي بن شجرة بن ميمون بن أبي أراكة الشيباني، الكندي بالولاء، النبّال.

٣١٣ علي بن عبدالحميد الضبّي.

٣١٤ علي بن أبي عبد الله، وقيل ابن عبد الله.

٣١٥ علي بن عبد الله بن قطرب.

٣١٦ علي بن عبد الله بن مهران.

٣١٧ علي بن عبد الله الهاشمي.

٣١٨ أبو الحسن علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي السجّاد بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام القرشي، الهاشمي، العلوي، الكوفي، المعروف بالصالح والزوج الصالح.

٣١٩ علي بن عثمان الرازي.

٣٢٠ علي بن أبي عثمان عبدالواحد بن حبيب.

٣٢١ علي بن عطية السلمي بالولاء، الحنّاط، وقيل الخيّاط، الأصم، الكوفي.

٣٢٢ علي بن عيسى بن رزين.

٣٢٣ علي بن الفضل، وقيل الفضيل الواسطي.

٣٢٤ علي بن المسيّب الهمداني.

٣٢٥ أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي السجّاد بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام القرشي، الهاشمي، المدني، وألقابه الصابر، والرضي، والوفي، والرضا وهي أشهرها.

٣٢٦ علي بن المؤمل الحجازي.

٣٢٧ أبو الحسن علي بن ميمون الصايغ، الكوفي، الملقّب بأبي الأكراد.

٣٢٨ علي بن وهبان.

٣٢٩ أبو الحسين، وقيل أبو الحسن علي بن يحيى.

٣٣٠ أبو الحسن علي بن يقطين بن موسى بن عبدالرحيم الكوفي، البغدادي، الأسدي بالولاء.

٣٣١ أبو اليقظان، وقيل أبو الفضل عمّار بن موسى الساباطي، الكوفي، المدايني.

٣٣٢ عمر بن أُذينة البصري، وقيل الكوفي، القيسي بالولاء، المعروف بابن أُذينة وقيل في اسمه أحمد بن عمر بن أُذينة، وقيل اسمه محمّد بن عمر بن أُذينة، وقيل اسمه عمر بن محمّد بن عبد الرحمن بن أُذينة بن سلمة بن الحارث.

٣٣٣ عمر بن رياح، وقيل رباح الزهري، الأهوازي، القلاء، مولى.

٣٣٤ عمر بن محمّد الأسدي.

٣٣٥ أبو الأسود عمر بن محمّد بن يزيد الثقفي بالولاء، البزاز، الكوفي، المعروف ببيّاع السابري، وقيل في اسمه: عمر بن يزيد.

٣٣٦ عمران بن حمران الأذرعي، والأذرعي نسبة إلى أذرعات بلد في أطراف الشام.

٣٣٧ عمرو بن عثمان الرازي.

٣٣٨ عمرو، وقيل عمر بن المنهال بن مقلاص القيسي، الكوفي.

٣٣٩ عنبسة، وقيل عقبة بن مصعب العجلي، وقيل الشيباني، الكوفي.

٣٤٠ عيسى بن داود النجّار، الكوفي.

٣٤١ عيسى بن سليمان.

٣٤٢ أبو صالح عيسى بن أبي منصور صبيح القرشي، الكوفي، المعروف بشلقان.

٣٤٣ أبو بكر عيسى بن عبد الله سعد بن مالك الأشعري، القمي.

٣٤٤ عيسى بن عثمان.

٣٤٥ أبو موسى عيسى بن المستفاد البجلي، الضرير.

٣٤٦ عيسى بن يونس بزرج.

٣٤٧ أبو القاسم عيص بن القاسم بن ثابت بن عبيد بن مهران البجلي، الكوفي.

هذه ثلّة من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، ممّن روى عنه وحمل الحديث منه، وهم من العلم ما عرفهم الداني والقاصي، ولابدّ أن يكون لهؤلاء الأثر الكبير في تربية الأُمّة على ولائها للإمام الكاظم، واستعداد قطاعاتها للتضحية دونه، وعلوم الإمام تتعدّى الرواية، ودواعي الحديث، بل مجالسته عليه السلام تستدعي الاعتراف بأحقّيته، والإقرار بأهليته، وهذه المجاميع من علماء الحديث، وأهل الرواية، وذوي النظر، وأصحاب الرأي، وحملة الحكمة لا يتغاضون عن شخصية الإمام، ولا يبتعدون عن مظلوميته، ولا يتجاهلون أهليته، فهو وريث السلالة، وصنوان الإمامة، ومنبع الحكمة، ومفسّر الكتاب، قد ورث من آبائه ما تحتاجه الأُمّة في سالف ماضيها، وما تستقبله من عوادي حاضرها وآتيها، ولم يعرف هؤلاء سوى موسى بن جعفر عليهما السلام ذلك الإمام الممتحن، والقدّيس المضطهد، الذي أرهقته عاديات الزمن، وأنهكته السجون، وأوحشته تقلّبات المنون.

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وإعداد المجتمع التضحوي الكامل:

وتتواصل وفود العلماء على مجلس الإمام ليحمّلهم الحديث، وينقل لهم الأخبار، ويستهديهم بمعرفة الرواية، فيكونوا علماء فقهاء، ولم يقتصر الإمام على حمل الحديث والمعرفة بقدر ما يجنّد أصحابه للجهاد، ويعدّهم للقتال، ويتسامى أصحابه إلى مراقي التضحية، وكمالات العطاء، فالإعداد الروحي لحملة الحديث يستفيق على توصيات الإمام في مقارعة الظلم ومناهضة الأعداء، وتتوالى وصايا الإمام لأصحابه ليكون عندهم الجهاد داعياً من دواعي الرضا الإلهي، والقرب من مقامات القدس المعرفي، واستطاع الإمام الكاظم أن يستنهض في أصحابه روح الجهاد والقتال، أو يحمّلهم تلك الرسائل الجهادية إلى الأُمّة لتستعيد حيوية التضحية والفداء، ولعلّنا نقف عند دروس الإمام عليه السلام وهو يلقّن أصحابه دواعي التضحية ومقتضيات الجهاد.

ولم يزل الإمام الكاظم يذكّر أصحابه بضرورة التغيير، ودواعي النهي عن كلّ انحراف، ولزوم الأمر بالإصلاح والمعروف، فقد ورد عنه عليه السلام في الحثّ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعض ما أوقفنا الرواة عليه.

١. عن محمّد بن يعقوب بسنده يرفعه إلى محمّد بن عمر بن عرفة قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: لتأمرنّ بالمعروف، ولتنهنّ عن المنكر أو ليستعملنّ عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم[1].

وفي مواصفات الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر يتحدّث الإمام عليه السلام لأصحابه ليضع الشروط في ذلك.

٢. عن نوادر الراوندي بإسناده عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال

(١) مسند الإمام الكاظم عليه السلام للعطاردي باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ج٣.

رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلّا من كان فيه ثلاث خصال: رفيق بما ينهى عنه، عدل فيما يأمر به، عدل فيما ينهى عنه، عالم بما يأمر به، عالم بما ينهى عنه[١].

٣. وبنفس الإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من يشفع شفاعة حسنة، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو دلّ على خير، أو أثار به، فهو شريك، ومن أمر بسوء، أو دلّ عليه، أو أشار به، فهو شريك[٢].

وفي فضل الشهادة في سبيل الله تعالى.

٤. نوادر الراوندي باسناده عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ فوق كل برّ برّاً حتّى يقتل الرجل شهيداً في سبيل الله[٣]، وفوق كلّ عقوق عقوقاً حتّى يقتل الرجل أحد والديه[٤].

فقد حثّ الإمام الكاظم عليه السلام إلى تحمّل مسؤولية الجهاد والتضحية، وكأنّ الإمام يهيّئ أصحابه إلى ظرف سياسي يستبيح كلّ القيم، ويُلغي كلّ الحرمات، ولابدّ للمسلم حينذاك أن يقف وقفة جهاد وتضحية لما يهدّد الكيان الإسلامي، ويهيّئ نفسه للوقوف أمام الظلمة والطغاة، حتّى لو كلّف ذلك حياتهم، وأزهق أرواحهم، فإنّ فوق كلّ برّ برّ حتّى يقتل الرجل في سبيل الله.

٥. وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: حملة القرآن عرفاء أهل الجنّة، والمجاهدون في الله تعالى قوّاد أهل الجنّة، والرسل سادات أهل الجنّة[٥].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الصبح إذا أسفر في أحوال موسى بن جعفر عليهما السلام في كتاب الجهاد، سميرة الليثي.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

هذه هي درجات أهل الجنّة ومنازلهم يشير إليها الإمام الكاظم عليه السلام، ويجعل المجاهدين هم قوّاد أهل الجنّة، بمعنى المبرزون فيهم، وأهل الفضل لديهم.

وإذا استطاع أصحاب الإمام عليه السلام أن يحملوا من علوم الإمام في مجالسهم ولقائهم بالإمام، فإنّهم انفتحوا على أُسلوب معرفي آخر، وهو الجهاد، حيث حاول الطغاة إلغاءه، ومحاولة إبعاده عن أذهان الأُمّة، وقواميس المعرفة.

تعريف العامل التربوي في حركة الإمام الكاظم عليه السلام:

لم تنته مهمّة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام إلى حدّ الحديث والرواية التي يحملها أصحابه عنه، بل حرص الإمام عليه السلام أن يمتّن العلاقة بينه وبين أصحابه بما يسمو بها أصحابه إلى حالات المعرفة والتكامل، والتي من خلالها سيخلق الإمام مجتمعاً إصلاحياً قادراً على التغيير، ومؤثّراً في الآخرين، من خلال السلوك العام الذي أكّده الإمام على أصحابه، ففي حديثه عن العلاقة بين الفرد وبين الأب قدّم الإمام الكاظم عليه السلام رؤاه في هذا الشأن.

فعن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام عن آبائه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نظر الولد إلى والديه حبّاً لهما عبادة[1].

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إيّاكم ودعوة الوالد، فإنّها ترفع فوق السحاب حتّى ينظر الله تعالى إليها، فيقول الله تعالى ارفعوها إليّ حتّى أستيجب له، فإيّاكم ودعوة الوالد فإنّها أحدّ من السيف.

(١) الصبح إذا أسفر في أحوال موسى بن جعفر عليهما السلام ٣: ٤١ والأحاديث الواردة في هذا الشأن مأخوذة من المصدر نفسه.

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نظر الولد إلى والديه حبّاً لهما عبادة، وقال صلى الله عليه وآله: من أحزن والديه فقد عقّهما.

وفي معرض حديثه عن العلاقة المتبادلة بين الوالد وبين ولده، أشار الإمام عليه السلام إلى الحرص على مراعاة هذه العلاقة المتبادلة، فبقدر ما يطلب الأب برّ ولده به، فإنّ على الوالد إعانة ولده كذلك على برّه، فتبادل المحبّة وعدم تكليفه بما لا يُطاق وعدم إجباره على شيء لم يكن يرتضيه وتوفير الأجواء المناسبة لإسعاده وتوفير احتياجاته، كلّ ذلك سيعين الولد على طاعة والده وبرّه إيّاه، وخلاف ذلك سيكون الوالد مسبّباً في شقاء ولده، من خلال العلاقة السيّئة التي يسبّبها الوالد لولده، وعدم العناية به، والاهتمام بشؤونه.

فعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رحم الله من أعان ولده على برّه.

وما يتعلّق ببرّ الوالدين وصلة الرحم وآثارهما على الإنسان أكّد الإمام عليه السلام أنّ لذلك أثره الوضعي في زيادة الآجال، وقبول المغفرة من الله تعالى، وزيادة الأرزاق، إلى آخره من الآثار التي يتوخّاها الإنسان في تعاملاته وسلوكه.

فعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صنيع المعروف يدفع ميتة السوء، والصدقة في السرّ تطفئ غضب الربّ، وصلة الرحم تزيد في العمر وتنفي الفقر.

وروي أنّ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام دخل على الرشيد يوماً فقال له هارون: إنّي والله قاتلك، فقال لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإنّي سمعت أبي عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ العبد ليكون واصلاً لرحمه، وقد بقي من أجله ثلاث سنين فيجعلهما ثلاثين سنة، ويكون الرجل قاطعاً لرحمة وقد بقي من أجله ثلاثين

سنة فيجعلها الله ثلاث سنين، فقال الرشيد: الله سمعت هذا من أبيك؟ قال: نعم فأمر بمائة ألف درهم، وردّه إلى منزله.

ومن هنا نقف على كون الإمام الكاظم عليه السلام يعمد إلى الرواية عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله لمحاولة تصديق الطرف الآخر بصدق الحديث، فلو روى مباشرة عنه عليه السلام لما كان يؤخذ على مستوى الاهتمام والتصديق كما لو رواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا ما وجدناه في هارون الرشيد الذي أذعن لقول الإمام كونه سمعه عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد استحلفه في ذلك، في حيث تجد أنّ الإمام يروي الرواية مباشرة عن نفسه فيتلقّاها المستمع موضع التسليم والقبول، اعترافاً منه بإمامته عليه السلام، وهذا هو الفرق بين رواية الإمام عن نفسه وبين روايته عن النبي صلى الله عليه وآله، حيث علاقة الأمر بالمتلقّي وشأنه في قبول الرواية وتصديق الحديث، وهذا يصدق على رواية الأئمّة عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أو مباشرة عن نفسه الشريفة، حيث يتعلّق الأمر بالمتلقّي المخاطب في هذه الرواية.

أُسس التعايش السلمي عند الإمام الكاظم عليه السلام:

حرص المنهج التربوي لأهل البيت عليهم السلام على تعزيز العلاقات العامّة بين الأفراد، وتأكيد حالة الوئام والتفاهم بين الجميع، وإنّ الإمام الكاظم عليه السلام ومن قبل أئمّة أهل البيت عليهم السلام انتهجوا منهج تمتين الروابط الاجتماعية بين الجميع وتأكيدهم على أنّ المحبّة والتفاهم إذا سادت في أوساط المجتمع تركت أثرها في حالة الأمان والاستقرار الاجتماعي الذي ينشده الجميع، فأُسُس العلاقة بين أفراد المجتمع لابدّ أن تقوم على التسامح والمحبّة، وحبّ الإنسان لأخيه ما يحبّ لنفسه، وبذلك فقد أسّس أئمّة أهل البيت عليهم السلام قواعد التآخي والتفاهم التي تسود بين أفراد المجتمع الصالح، وبذلك فقد قدّم الإمام الكاظم عليه السلام أُطروحة التعايش السلمي بين جميع

الأفراد، خصوصاً الأفراد المؤمنين برسالة واحدة وهدف موحّد، وهو التعبير الذي استخدمه الإمام عليه السلام بمفردة المؤمن وعلاقته بالآخرين.

عن عبد المؤمن الأنصاري قال: دخلت على الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام وعنده محمّد بن عبد الله بن محمّد الجعفري، فتبسّمت إليه فقال: أتحبّه؟ قلت: نعم ما أحببته إلّا لكم، قال عليه السلام: هو أخوك، والمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأُمّه، ملعون ملعون من اتّهم أخاه، ملعون ملعون من غشّ أخاه، ملعون ملعون من لم ينصح أخاه، ملعون ملعون من استأثر على أخيه، ملعون ملعون من احتجب عن أخيه، ملعون ملعون من اغتاب أخاه.

فهذه المقوّمات تضمن التعايش السلمي الذي أقرّه الإمام الكاظم عليه السلام وعزّزه من خلال هذا التفاهم، فالتأكيد على عدم ارتكاب كثير من الأُمور تؤكّد ترشيد المجتمع باتّجاه السلام، وتعزيز حالة الأمن الاجتماعي، فالتهمة والغش وعدم النصيحة والاستئثار والتكبّر هي أسباب المشكلة الاجتماعية العامّة التي حدّدها الإمام عليه السلام.

وعن الإمام الكاظم عن آبائه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المؤمن مرآة لأخيه المؤمن، ينصحه إذا غاب عنه، ويميط عنه ما يكره إذا شهد، ويوسّع له في المجلس.

بل ذهبت أُطروحة الإمام عليه السلام إلى أبعد من ذلك، حيث المواساة بين الأفراد هي أهمّ دعائم العلاقة المتوخّاة.

فعن رجل من أهل الري قال: ولي علينا بعض كتّاب يحيى بن خالد، وكان عليّ بقايا يطالبني بها، وخفت من إلزامي إيّاها خروجاً عن نعمتي، وقيل لي أنّه ينتحل هذا المذهب، فخفت أن أمضي إليه وأمتُّ به إليه فلا يكون كذلك فأقع فيما لا أُحب، فاجتمع رأيي على أن هربت إلى الله تعالى وحججت ولقيت مولاي الصابر

يعني موسى بن جعفر عليهما السلام فشكوت حالي إليه، فأصحبني مكتوباً نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم اعلم أنّ الله تحت عرشه ظلالاً لا يسكنه إلّا من أسدى إلى أخيه معروفاً، أو نفّس عنه كربة، أو أدخل على قلبه سروراً، وهذا أخوك والسلام.

قال: فعدت من الحجّ إلى بلدي ومضيت إلى الرجل ليلاً واستأذنت عليه وقلت: رسول الصابر عليه السلام فخرج إليّ حافياً ماشياً ففتح لي بابه، وقبّلني وضمّني إليه، وجعل يقبّل عيني، ويكرّر ذلك كلّما سألني عن رؤيته عليه السلام وكلّما أخبرته بسلامته وصلاح أحواله استبشر وشكر الله تعالى ثمّ أدخلني داره، وصدّرني في مجلسه وجلس بين يدي فأخرجت إليه كتابه عليه السلام فقبّله قائماً وقرأه ثمّ استدعى بماله وثيابه فقاسمني ديناراً ديناراً، ودرهماً درهماً، وثوباً ثوباً، وأعطاني قيمة ما لم يمكن قسمته وفي كلّ شيء من ذلك يقول: يا أخي هل سررتك؟ فأقول إي والله وزدت على السرور. ثمّ استدعى العمل فأسقط ما كان باسمي وأعطاني براءة ممّا يوجبه عليّ عنه، وودّعته وانصرفت عنه، فقلت: لا أقدر على مكافأة إلّا بأن أحجّ في قابل، وأدعو له وألقى الصابر وأُعرّفه فعله، ففعلت ولقيت مولاي الصابر عليه السلام وجعلت أُحدّثه ووجهه يتهلّل فرحاً، فقلت: يامولاي هل سرّك ذلك؟ فقال: إي والله لقد سرّني وسرّ أمير المؤمنين عليه السلام والله لقد سرّ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله والله لقد سرّ الله تعالى.

وهذه العلاقة هي أسمى حالات التعايش الذي يرقى إليها المجتمع، ولعلّ مشكلة المجتمعات الأُخرى انعدام هذا الهاجش من المحبّة المتبادلة بين الأفراد، إذ تنمية الإيثار لدى الأفراد والتضحية التي تتحلّى بها علاقاتهم من أقدس الأُطروحات الاجتماعية التي قدّمت في هذا الشأن، وبذلك استطاعت هذه الأُطروحة الكاظمية أن تنمّي العلاقات المتكاملة فيما بين أفراد المجتمع.

العلاقات العامّة بين تعبّدية التعامل وفطرية السلوك:

لم تتعدّ أُطروحة الإمام الكاظم عليه السلام فطرة الإنسان في التعامل العام، وسلوكيته تشير إلى اكتناز الصفات الخيّرة التي لابدّ أن تحرّك المشاعر وهواجس الناس، وأن لا تكون دفينة الموروث أو حبيسة النظرة الضيّقة، بل لابدّ أن تنطلق في رحاب العلاقة بين العبد وبين ربّه لتقنّن ضمن الموروث المقدّس، ولم تزل هذه الأُطروحة تحرّك مكامن الخير التي لم تُثر بعد، فالإمام الكاظم يستدعي كلّ أسباب العلاقات الطيّبة التي من شأنها أن ترقى بالنفس إلى أقصى حالات الكمال، فترسيم المنحى الإنساني الذي تدّخره النفس الإنسانية يقبع في أعماق النفس وأصقاعها، لذا فإنّ الأُطروحة الكاظمية استغرقت كلّ أسباب التفاهم بين أفراد المجتمع، واستوعبت المسؤولية الفردية والاجتماعية لتلك العلاقات، ولابدّ أن تكون الدواعي التطبيقية لهذه الأُطروحة بين قضيتين هما التعبّد لله تعالى في تحرّي رضاه من خلال تمتين التعايش بين الأفراد، وعدم التعدّي على الآخرين، وبين فطرية التطبيق الذي من شأنه أن يعطي دفعاً باتّجاه التطبيق الإنساني لهذه الأُطروحة، ولابدّ من استعراض هذه القيم التي أكّدها الإمام الكاظم لأصحابه لبناء شخصية تكاملية تسعى للرقي الأخلاقي العام، وكذلك سعي الإمام عليه السلام لتأسيس مجتمع فعّال يعمل باتّجاه هذه الأُطروحة الكاظمية بكلّ إنسانيتها وقداستها.

ففي معرض حديثه عن بناء علاقات طيّبة أكّد الإمام الكاظم عليه السلام أنّ التودّد هو أُسّ العلاقة الناجحة بين الأفراد.

عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رأس العقل بعد الدين التودّد إلى الناس، واصطناع الخير إلى كلّ بر وفاجر.

فلم يفرّق الإمام عليه السلام بين الإنسان على أساس انتمائه، بل دعى أن يكون

اصطناع المعروف على الأســـاس الإنساني المشترك الذي يجمع بين الأفراد، ودعوة الإمام عليه السلام الشمولية هذه تستدعي أن تكون أُطروحته الأخلاقية قد استوعبت كلّ المجتمع بغضّ النظر عن انتماءاته.

وعن الاهتمام بأُمور المســـلمين أكّد الإمام عليه السلام ذلك من خلال أحاديث عدّة منها:

عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أصبح لا يهتمّ بأمر المســـلمين فليس من الإسلام في شيء، ومن شهد رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس من المسلمين.

فنفي الإسلام عمّن لا يفكّر بأُمور المسلمين وعمّن لا يجيب لهفتهم لا يعني نفي صفة الإســـلام عنه، بل يبقى على إسلامه لكنّه لم يرقَ إلى الإسلام الكامل الذي أراده الإمام الكاظم، وبهذا فقد أعطى الإمام قيمة كبرى للسلوك والتعامل في تعزيز الإســـلام الحقيقي، الذي من خلاله يمكن تصنيف المســـلم على كمال إسلامه أو نقصه.

ولابدّ أن تستوعب أُطروحة الإمام الكاظم عليه السلام كلّ ما يكتنف النفس الإنسانية من هواجس، فالتزاور والتهادي وإظهار المحبّة من أهمّ مرتكزات اللحُمة الاجتماعية الكاملة.

فعـــن الإمام لكاظم عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رســـول الله صلى الله عليه وآله: من تكرمة الرجل لأخيه المســـلم أن يقبل تحفته، أو يتحفه ممّا عنده، ولا يتكلّف شيئاً. وهذه مـــن دواعي المحبّة والتآلف بين الجميع أن يتهادى بعضهم الآخر تعبيراً عن محبّتهم وتوادّهم.

ولعلّ أهمّ ما اهتمّ به الإمام الكاظم عليه السلام في تربية أصحابه هو التأكيد على كفّ الأذى عن الناس.

عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ الغفاري: كفّ أذاك عن الناس فإنّه صدقة تصدّق بها على نفسك.

فتعميم وصيّته عليه السلام في كفّ الأذى عن الناس يكشف إنسانية هذه الأُطروحة القيّمة، والمشترك الإنساني في هذه الوصايا ومراعاتها من أهمّ ما يميّز هذه الأُطروحة الفذّة.

وعن الترفّق في الأُمور وعدم التسرّع والاستعجال والتروّي.

قال الإمام موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله الرفق يُمْنٌ والخرق شُؤْمٌ.

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من عمل أحبّ إلى الله تعالى وإلى رسوله من الإيمان بالله والرفق بعباده، وما من عمل أبغض إلى الله تعالى من الإشراك بالله تعالى والعنف على عباده.

فالعنف هو الأُسلوب المرفوض لدى الإمام الكاظم عليه السلام، ومداراة الناس والتودّد إليهم من أهمّ هذه الأُطروحة، وبذلك استطاع الإمام عليه السلام أن يخلق مجتمعاً مؤمناً بالتعايش مع الجميع، دون تصعيد لموافقة وتوجّهاته.

وقد أكّد الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام لأصحابه وهذّبهم على الوفاء بالعهد وحُسن الأمانة، حيث إنّ الانحلال الأخلاقي الذي ارتكبه النظام العبّاسي مع معارضيه وإلغاء كثير من القيم والمبادئ كالغدر، وعدم الأمانة، ونقض العهود وغير

ذلك هي من أوصاف الطغاة، وليس من أخلاق المؤمنين بل أخلاق المؤمن الوفاء بالعهد والأمانة، والنصح لمن نصحه.

عن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا دين لمن لا عهد له.

وعن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أُوفوا بعهد من عاهدتهم..

وقال عليه السلام: من استشار لم يُعدم عند الصواب مادحاً، وعند الخطأ عاذراً.

وعن آبائه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا إيمان لمن لا أمانة له.

وقد ابتلي المجتمع الإسلامي بكثير من العادات السيّئة وانتشار حالات التسيّب الأخلاقي الذي عمّ المجتمع، ومن أجل الحفاظ على الأخلاقيات الإنسانية، وتعزيز الخلق الإسلامي الأصيل أرجع الإمام عليه السلام الأُمّة إلى أُصولها في التعامل مع كبار السنّ، وتوقير ذي الشيبة، فعن الإمام موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى جواد يحبّ الجواد، ومعالي الأُمور، ويكره سفسافها، وإنّ من عظم جلال الله إكرام ثلاثة: ذي الشيبة في الإسلام، والإمام العادل، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه.

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي لأستحيي من عبدي وأمتي يشيبان في الإسلام ثمّ أُعذّبهما.

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من وقّر ذا شيبة لشيبته آمنه الله من فزع يوم القيامة.

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من عرف فضل كبير لسنّه فوقّره آمنه الله تعالى من فزع يوم القيامة.

وفي معرض حثّه على الإتيان بالأعمال الصالحة، فقد أكّد عليه السلام على أنّه أحبّ الأشياء إلى الله، وتعزيز روح المثابرة والإخلاص، وتمتين الإبداع لدى الأفراد، وهو من مقوّمات المجتمع الناجح المثابر على مواصلة فاعليته وتقدّمه.

فعن الإمام موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من شيء أحبّ إلى الله تعالى من الإيمان به والعمل الصالح، وترك ما أُمر به أن يتركه.

ولم تكن أُطروحة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام بعيدة عن التأكيد على حسن الخلق والتأكيد على الأخلاق الطيّبة حينما تسود المجتمع.

فعن موسى بن جعفر عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قالت أُمّ سلمة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وآله بأبي أنت وأُمّي: المرأة يكون لها زوجان فيموتون ويدخلون الجنّة لأيّهما تكون؟ فقال عليه السلام: يا أُمّ سلمة تخيّر أحسنهما خلقاً وخيرهما لأهله، يا أُمّ سلمة إنّ حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة.

وفي وصيّته لولده يبعث الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام روح التسامح ويمتّن الثقة التي تربط الجميع من خلال قبول الاعتذار والغضّ عن الأذى.

فقد روي أنّ موسى بن جعفر عليهما السلام أحضر ولده يوماً فقال لهم: يا بني إنّي موصيكم بوصية فمن حفظها لم يضع معها، إن أتاكم آتٍ فأسمعكم في الأُذن اليمنى مكروهاً ثمّ تحوّل إلى الأُذن اليسرى فاعتذر وقال: لم أقل شيئاً فاقبلوا عذره.

احذروا موجبات الفتن:

ولم يقتصر الإمام الكاظم عليه السلام في وصيّته لأصحابه التأكيد على التحلّي بصفات الأخلاق العالية، بل عطف عليها أن يتخلّى الإنسان عن مساوئ الأخلاق التي من شأنها أن تحط بقيم الإنسان، وتأخذه بعيداً إلى الوقوع في أسوء العواقب، لذا قدّم الإمام عليه السلام الحلول من أجل أن يترفّع أصحابه عن مساوئ الأخلاق ومرذياتها، ومن أجل سلامة المجتمع وحُسن تعاملاته وضع الإمام عليه السلام مبادئ الترفّع عن الأخلاق المذمومة والتي من شأنها أن تفتك بالمجتمع وتودي بأفراده إلى متاهات الرذيلة والسقوط.

فعن صاحب الوجهين الذي لا يستقرّ على توجّه واحد طلب الإمام عليه السلام من أتباعه أن يتأمّلوا بالطريقة المثلى وأن لا تيلوّنوا وينافقوا.

عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بئس العبد عبد له وجهان: يقبل بوجه، ويدبر بوجه، إن أُوتي أخوه المسلم خيراً حسده، وإن ابتلي خذله.

وعالج الإمام عليه السلام أهمّ داء يفتك بالمجتمع ويودي بأمنه وسلامته، حيث أشار إلى أنّ الغيبة من أهمّ أسباب التباغض والمعاداة.

عن الإمام الكاظم عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من ردّ عن عرض أخيه المسلم وجبت له الجنّة البتّة.

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربعة ليست غيبتهم غيبة: الفاسق المعلن بفسقه، والإمام الكذّاب إن أحسنت لم يشكر، وإن أسأت لم يغفر، والمتفكّهون بالأُمّهات، والخارج عن الجماعة الطاعن على أُمّتي الشاهر عليها بسيفه.

ومن أجل سلامة الحقوق وعدم التفريط بها وتأمين حقّ كلّ الناس شدّد الإمام على احترام الحقّ العام وكذلك حقّ الأفراد.

عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام أي الخلق أشح؟ قال: من أخذ المال من غير حلّه، فجعله في غير حقّه.

وعنه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الظلم ندامة.

ومن العادات الجاهلية التي لا زالت عالقة في المجتمعات الإسلامية حذر الإمام من مغبّة الإلتزام بها وممارستها، وأهمّ تلك العادات هي المفاخرة.

عن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليهم السلام: أهلك الناس اثنان: خوف الفقر، وطلب الفخر.

وعنه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله أُوصي أُمّتي بخمس بالسمع والطاعة والهجرة والجهاد والجماعة ومن دعا بدعاء الجاهلية فله حثوة من حثى جهنّم.

مسائل شتّى:

وتنفتح جامعة الإمام عليه السلام على مسائل شتّى من العلوم، ولم تقتصر على لونٍ واحد، بل تنوّع الإمام الكاظم في إلقاء علومه على أصحابه، فالقرآن الكريم أخذ مساحة واسعة من حركته العلمية، وتفسير آياته لها شأنها في هذا المهمّة القرآنية، حيث وجد أنّ التفسير القرآني ينحاز إلى المدارس السياسية والتوجّهات الشخصية، وبات التلاعب في الآيات القرآنية سبباً في انتشار الفوضى التفسيرية، ولم يزل الإمام يُلقي بتفسيره إلى أصحابه لقطع الطريق على التوجّهات الشخصية أو السياسية في تفسير القرآن.

وكان للتاريخ شـــأنه في هذا الجهد الكاظمي المتميّز حيث كشـــف الإمام عليه السلام النقاب عن الوقائع التاريخية التي لم يشـــر إليها لأســـباب سياسية، أو للتقليل من شـــأنها، فحديث الخلافة بات محظوراً في ظلّ نظام سياســـي يســـتمدّ شرعيته من التفســـيرات التاريخية، وواقعة الغدير أُسدل عليها الستار في شأن البحث والتنقيب التاريخيـــين، ووفاة النبي صلى الله عليه وآله ومـــا صاحبها من أحداث في الســـطو على الخلافة الإســـلامية لم يكد أحد التحدّث عنه أو التساؤل في شأنه، إلّا أنّ الإمام الكاظم عليه السلام تصدّى لتوضيح الحقائق وبيان الكثير من المكاشـــفات التاريخية السياسية التي من شـــأنها تضييع الحقائق أو قلبها، وأوجد الإمام عليه السلام في مروياته التاريخية ســـبباً للانفتاح على الأحداث الدامية التي أجراها «الســـقيفيون» الذين أودوا بحياة الأُمّة وخلافتهـــا، فكان حديثه عليه السلام عن أحداث الســـقيفة ســـبباً في تطلّع الأُمّة على المزيد من مســـيرتها التاريخية، ولم يكن الفقه بمنأى عن جهود الإمام الكاظم عليه السلام، فالفقه والفقهاء اتّخذوا منحى سياســـياً قلب الحقائق وتماشى مع رغبة الحاكم، كما في تحليل النبيذ وحلّية اســـتماع الغناء، وغير ذلك من أُولئك الفقهاء الذين تصدّوا لمســـايرة رغبات الخليفة العبّاسي هارون وأســـلافه، ووجد الإمام الكاظم عليه السلام أنّ هذا المنحى من الفتيا سيلغي الثوابت الفقهية، وأُصول الأحكام التي جاء بها النبي صلى الله عليه وآله، وعدم التصدّي لذلك سيزيد من الهوّة الكبيرة بين الأُمّة وبين حقائق الأحكام الذي تصدّى الإمام عليه السلام إلى ضرورة بيان الحكم الفقهي، والذي من خلاله أوجد فقهاً إمامياً متميّزاً، وأسّس لقواعده وأُصوله، وخلقت أُطروحة الفقه الكاظمي عقلاً فقهياً لا تنازعه الرغبات ولا تســـتهويه الشـــهوات، وأخرج هذا الفقه حقائق نبوية كادت أن تغيـــب لولا جهـــود الإمام وجهود آبائه من قبل، وجهود أبنائه من بعد عليهم الزاكيات الطيّبات من التحيّات والصلوات.

وفي شؤون الحياة الصحّية التي تتكفّلها وصايا طبيّة قيّمة بثّ الإمام الكاظم عليه السلام بين أصحابه هذا الشـــأن، حيث الوصايا الطبيّة لم تكـــد تقف عند حدّ بل قدّم الإمـــام جملة نصائحه في الأدوية والأطعمـــة والوصايا الطبيّة التي يفتقدها المجتمع،

وخلق عليه السلام حسّـاً صحّياً مجتمعياً يتوخّى الإرشاد الصحّي والحكمة الطبيّة النادرة. فقـد وضع الإمام عليه السلام وصاياه في الأطعمة والأشـربة في أولويـات الحياة اليومية لأصحابـه، فضلاً عن الأُطروحة الأخلاقية التي قدّمها الإمام لصناعة الإنسـان، وتفعيل أنشطة المجتمع الأخلاقي الذي حرص على الترقّي والتكامل.

المجتمع الكامل:

من هنا استطاع الإمام الكاظم عليه السلام أن يخلق مجتمعاً متكاملاً يتعامل مع الأحداث السياسـية بكلّ حكمة وحنكة، وخلق الإمـام مجتمعه هذا في ظلّ ظروف مربكة تتقاذفها الأهواء السياسـية الطائشـة، فمواجهة الأحداث في خضمّ ما يشـهده المجتمع الإسـلامي من تسابقات سياسـية يودي بكثير من القيم والمبادئ التي لا يمكـن لها أن تصمد ما لم يكن هناك تفعيل لذلـك، فالنهضة التربوية التي تبنّاها الإمام الكاظم عليه السلام تنتشـل هذه القيم من محاولات التحريف، كما أنّها تنتشـل المجتمع من حضيض الأفكار الهدّامة، التي يسـوقها النظام من خلال انفتاحه على الثقافات المستوردة، وحماية هذه القيم الإسلامية تحتاج إلى نهضة تربوية شاملة، لذا خلق الإمام الكاظم عليه السلام فاعلية ثقافية يتبنّاها المجتمع الممتاز، الذي من شـأنه أن يتصدّى لمحاولات النظام الإسـقاطية التي تنتابها تسويقات فكرية قادمة من خلف الحدود الإسلامية، فضلاً عن الثقافات المستوردة من خلال الاختلاط الاجتماعي بثقافات أُخرى، كذلك الثقافات المستوردة الحاكمة التي تصاعدت وتائرها في ظلّ الحكم العبّاسي، ونقصد بالثقافات الحاكمة، تلك الثقافات المتسلّطة على الجهاز الحكومي في أروقة البلاط، فتعدّد الثقافات غير العربية، كالرومية والفارسية والتركية وغيرها أعطت دفعاً آخر باتّجاه التأثّر بثقافات غير إسـلامية، فالقوى المتسـلّطة علـى قرارات الخليفة والـتي تأخذ بزمام المبادرة في القرار السياسـي أفرغت القيم الاجتماعية من محتواها الإسـلامية، وأبعدتها إلى مديات واسعة من التغريب، أي

غربنة الثقافة الإسلامية التي تهيمن على المجتمع وقتذاك، ولابدّ من تصدّي الإمام عليه السلام لوقف هذا الزحف الثقافي الذي يهدّد الأمّة بقيمها، لذا فقد خلق الإمام عليه السلام من جامعته هذه منطلقاً للكثير من القيم والمحافظة على مبادئها، فقد بثّ الإمام الكاظم عليه السلام علومه في كلّ المجالات لم تحجبه محاولات النظام في الردع عن ثورته الثقافية، ومناهضته للعنف السلطوي الفكري الذي استخدمه النظام، وبالفعل أثمرت جهود الإمام الكاظم عليه السلام مجتمعاً واعياً، أو وعياً اجتماعياً يقف حائلاً عن محاولات النظام في إبعاد المجتمع عن قيمه، ولئلّا تنبعث فيه روحاً ثورية تعصف بالنظام وتطيح بمحاولاته الطائشة.

الثورة المتاحة:

وإذا عرفنا ما يملكه الإمام الكاظم من قواعد شعبية تكشفها علاقته بعلماء عصره الذين أخذوا منه، ورووا عنه، وكلّ هؤلاء العلماء يمتلكون تلامذة ومريدين، وهؤلاء يرجعون إلى شيوخهم الذين اقتدوا بالإمام الكاظم عليه السلام إماماً وقائداً، يرجعون إليه في شؤونهم ويأتمرون بإرادته، وهم يشكّلون أغلبية الأُمّة وأعظمها، حتّى لم يبق لدى الرشيد إلّا الأقليّة من أهل المصالح، والنزر اليسير من أهل الأهواء والمطامع، الذين يرابطون في بلاط الخليفة، طمعاً بما في أيدي السلطان، ويحتسون كأس التملّق والنفاق ليصلوا إلى غاياتهم ومراميهم، وأنت جدُّ عليم بأنّ هارون لم تخف عليه نوازع محيطه، ودواعي أصحابه، فلم يحفظوا له عهداً، ولم يرعوا له حريجة وفاء، حيث أهواءهم مطامع السلطان التي ما فتأت تتربّص بأسباب المنفعة، ومواطن الدعة، وكلّ هذا وذاك لم يخف على هارون دخيلة أصحابه، وما انطوت عليه نفوسهم، ولم يكن بعيداً عن هذه الجموع الغفيرة التي تقف عند باب الإمام الكاظم يأخذون منه معالم الدين، وقواعد العلم، ومناهج السلوك، ولم يجدوا عند الإمام من حطام الدنيا ما يشغلهم عن مواصلة هدفهم في التعلّم ما يرفعهم إلى

مقامـــات العلماء، وبعد كلّ هذا لَم لم يجد الإمام الكاظم ضرورة الثورة، وانقلاب النظام، بما يتيح للإمام تســلّم زمامَ الأُمور، وإقصـــاء دولة بني العبّاس الماكرة التي بنيـــت على أخذ الرضا من آل محمّد، حـــتّى قلبوا لهم ظهر المجن، وأذاقوا آل علي وهم لافتة الثورة أصناف الظلم والتنكيل.

نهي الإمام عن الثورة، لماذا؟

ومـــا الذي دعا الإمـــام عليه السلام أن ينهى أصحابه عن التحرّك باتّجاه الثورة والتغيير مع ما كان عند الإمام عليه السلام من القواعد الشعبية المتربّصة بالنظام، والمتوثّبة للتغيير، والقـــادرة على أن تخضع النظـــام لإرادتها ومطالبها، إلّا أنّ الإمام عليه السلام أحجم عن أي تحرّك من شـــأنه الثورة، والتغيير للأسباب التالية التي تراها من خلال استقرائنا للأحداث:

أوّلاً: إنّ هدف الإمام عليه السلام بناء الإنسان وتكامله الروحي، وإعداده للتغيير الذاتي الـــذي ينطلق من خلال خلق المصلح الذي يتوخّـــى الإصلاح في منظومة حياته الأخلاقية، فإذا توفّر مثل هذا المصلح كان التغيير الذاتي ضامناً للتغيير السياســـي العام.

ثانياً: وجد الإمام الكاظم عليه السلام تسيّب القيم والمبادئ الإسلامية في أروقة البلاط، تعكـــس التســـيّب العام لهذه القيم ومســـخها في مفاهيم الأُمّة، وبات الإســـلام السياسي حاكماً على الإسلام الأخلاقي الذي انحسر عن ذهنية الأُمّة وتعاملاتها اليومية، ولم يزل النظام يســـعى جاهداً إلى تقديم إسلام حسب مقاييسه ودواعيه، وانخراط عدد كبير في هذه الســـلوكية الأخلاقية التي صنعها النظام لإبعاد الأُمّة عن المفاهيم الحقّة.

ثالثـــاً: انّ تحرّك الإمام عليه السلام باتّجاه الثورة سيعكســـه النظام من خلال إعلامياته، وتزويره للحقائق على أنّ هدف الإمام هو اســـتلام السلطة، وأنّ معارضته للدولة هي منافســـته من أجل الحكم وليس الإصلاح كما هو معروف في أذهان الأُمّة، وبذلك سيسوق النظام أُطروحة التغيير للإمام بمفهومها السلبي.

رابعاً: إنّ حركة الثورة ســـتفتح باب الثورات العشـــوائية والحركات العابثة التي لا ترعى المبدأ ولا تعبأ بدين، وستؤسّس للحركات المنحرفة مجالاً للتحرّك، وللمدّعيات الثورية شرعية الانقضاض على السلطة بلافتة المظلومية لآل علي، ثمّ إذا هي تمكّنت مـــن أهدافها تنكّرت لتعهّداتها، كما هو الحال لحركة العبّاســـيين التي اســـتثمرت مظلومية آل البيت والرضا من آل محمّد، وبهذا ستكون مثل هذه الحركات السياسية تنفّذ رغباتها بشرعية الأئمّة عليهم السلام.

خامســـاً: إنّ أية ثورة ســـتقدّم تبريراً جاهزاً للحركات الثورية الشرعية بأنّها تسعى للتســـلّط وليس للإصلاح كما تدّعي، وبهذا سيكون القضاء عليها شرعياً قانونياً لدى النظام.

سادساً: إنّ محاولة المأمون في إجبار الإمام الرضا على ولاية العهد سيكون لها ما يبرّرها حيث سيدّعي النظام أنّ طموح آل علي هو السلطة وليس معارضة النظام، وســـيرجع ذاكرة الأُمّة إلى الثورة التي قام بها موســـى بن جعفر عليهما السلام التي هي محاولة لاقتناص فرصة ضعف النظام وقوّة المعارضة دون أن تحقّق نتائجها.

الإمام الكاظم عليه السلام وتأثيره على الداخل العبّاسي:

أودّ في هذا العنوان أن أظهر هيمنة شخصية الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام على الداخل العبّاسي، وأقصد منه خفايا العلاقة بين الإمام الكاظم وبين خاصّة الرشيد في أروقة القصر العبّاسي، حيث كانت شخصية الإمام مهيمنة على خاصّة الخليفة مع علم الخليفة بالأمر، لكنّه غير قادر على انتزاع محبّة الإمام من قلوب خاصّته، كما أنّه غير قادر على إقحام الاعتقاد به في قلوب الناس بل حتّى مقرّبيه، وهذه معادلة خطيرة أحرجت الرشيد بشكل غير محسوب وهو يتربّص بالإمام ويعدّ عليه تحرّكاته كما يحصي له أنفاسه، فمن أين استطاع الإمام أن ينفذ في قلوب الناس، وكيف وصل الأمر أن يعتقد به حتّى أقرب المقرّبين من الخليفة؟ سؤال يطرح نفسه بإلحاح على المتابع التاريخي، ويجعله رهينة خيارات أقلّها عدم التكافؤ بين شخصيتي الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام وبين هارون الرشيد، فالإمام موسى بن جعفر عليهما السلام من قد عرفه القاصي والداني بالعلم والحكمة والفقه والتبحّر في كلّ العلوم، وهو من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، والرشيد فاقد لكلّ ذلك وما دون ذلك، ولم تقتصر هذه الرؤية على العامّة دون الخاصّة، فقد كان للهاجس الخفي الذي يراود خاصّة الرشيد أثره في تعاملهم مع الإمام الكاظم، بل اعتقادهم في أحقّيته وتفضيله على كلّ أحد، ولعلّ عيّنات تاريخية تنفعنا في هذا المقام تؤكّد وجود اعتقاد حقيقي في نفوس هؤلاء الذين لم يمنعهم قربهم بالرشيد، فإنّ العقيدة فوق النسب وقبل كلّ علاقة، كما أنّ للاعتقاد أثره الروحي في تمتين روابط روحية تعطي زخماً عظيماً من الايجابية الروحية، تعمل باتّجاه المبدأ وتضحّي من أجل المعتقد حتّى لو كانت التضحية بالروح أو ما دون ذلك، ولدينا عيّنات خطيرة في هذا الشأن:

أوّلاً: زبيدة زوجة هارون الرشيد:

هـذا الانموذج يجعلنا أمام عدّة خيارات من الطرح ولابدّ أن نحسن الاختيار بما ينسجم والعلاقة التي تربط الإمام يمثّل هذا الانموذج الخطير.

صحيح أنّ الأخبار لم تصرّح بتأثير الإمام الكاظم عليه السلام على زبيدة عقائدياً، لكنّنا نطمئنّ أنّ زبيدة لم يأتِ خيارها من فراغ، فهي في مراقبة دائمة لكلّ الخيارات العقائدية المتاحة وقتذاك، ولم تكن من النساء اللواتي تحجب عنهنّ المعرفة فهي في خضم الأحداث، وفي قلب الصراع تراقب ما يحدث لجدّها المنصور ولعمّها المهدي ولولديه الهادي والرشيد، كما أنّها تراقب عن كثب الجهة المقابلة للصراع وهما الإمامين الصادق والكاظم، وتتحرّى أسباب الصراع ودواعي التنافس ومقتضيات المطاردة التي أودت بالإمام الصادق وألقت بالإمام الكاظم في سجن العبّاسيين، ولم تجد لهذين الإمامين ذنب التنكيل، بل هما هاديان مهديان لا يصدر منهما تحريض الوقيعة بدولة أسلافها، وما يدور في أروقة القصور العبّاسية من كلام حول الإمامين، وما يعكس نقمة العبّاسيين على شخصية الإمامين يعطي انطباعاً واضحاً عن مظلومية هذين الإمامين واستبداد العبّاسيين بالأمر حتّى لم يكتفوا إلّا أن يطاردوا هذين الإمامين، وتتراكم لدى زبيدة أسباب المعرفة أكثر وأكثر كلّما اتّضح لها من مظلومية الإمام موسى عليه السلام وهو يأنّ في سجون مظلمة وطوامير مهلكة دون أي ذنب، ولا يخفى على زبيدة سلوكية الإمام الكاظم في سجون الرشيد ومن سبقه، ومن المؤكّد كما في كثير من الروايات أنّ السجّانين يتداولون يوميات موسى بن جعفر عليهما السلام في سجن هارون ومن كان قبله، فلا يجدون سوى ترانيم الدعاء تتصاعد من قعر السجون المظلمة في منتصف الليل، وصوت موسى عليه السلام لا ينقطع عن التوسّل إلى الله والثناء عليه ولم ينفتل عن صلاته، بل لم يسمعوا دعاءً على هارون الذي ظلمه في هذه المطامير دون ذنب، وتعلم زبيدة أنّ هارون كان عمله هذا نقمة من مؤهّلات الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام الذي

فقدهـــا هارون، وهـــو يعيش في تغصّة العقدة التي عاناها أســـلافه من قبل، وهي عقدة النقص التي أقضت مضاجعهم، فراحوا يتشـــبثّون بالتحرّش بالإمام الصادق وولـــده الإمام الكاظم حتّى أودوا بحياتهما دون ذنـــب، ولم يخف على زبيدة تلك المـــرأة التي عُرفت بعقلها كلّ هذه التفاصيل، فـــإنّ لها فصيلاً من الجواري وعصبة من الغلمان الذين يتناقلون أخبار الســـيّد الهاشمي موسى بن جعفر عليه السلام وما جرى بينه وبين هارون، وما ينقله السجّانون من حياة الإمام في سجن هارون، ولابدّ أن تصـــكّ هذه الأخبار المحزنة التي يتداولهـــا المحيطون بهارون أسماع زبيدة وهي تراقب عـــن كثب مجريات الأُمور، وبعد هذا فإذا كانـــت زبيدة تعيش موقف التجرّد عن أي قـــرار يتّخـــذه زوجها هارون فلماذا ترضى أن تكـــون تابعة الرأي لهارون ذلك المبتلى بهاجس المنافســـة من قبل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام كما يتصوّره هارون، ولمـــاذا لم تتّخذ زبيدة قرار الاختيار لهذه الأحـــداث التي أقضت مضاجع العامّة، فضلاً عن خاصّة الرشـــيد، وزبيدة جزء من منظومة الأحداث اليومية التي تزجّ في تدافعات تقليدية لا يمكن التخلّي عنها، إذن لابدّ لزبيدة من قرار مستقل يتناسب وشـــخصيتها المســـتقلّة التي عرفت بحبّ أبي جعفر المنصـــور، جدّها الذي لقّبها زبيدة لجمالها، والتي كان اسمها أمة العزيز ومن المؤكّد أنّ مثل هذه الحالة من التربية الخاصّة أن يكون لها خياراتها الخاصّة بها والتي تعبّر عن شـــخصيتها المســـتقلّة، ولا تجد زبيدة أخيراً غير الاعتقاد بأحقّية هذا المظلوم موســـى الإمام عليه السلام المضطهد في مطامير هارون دون ذنـــب، ولابدّ أن يكون لقرارها صدى في نفس هارون يخلّف هاجـــس الخوف والريبة ممّا هي عليه؛ ليشـــعره بضعف موقفه، إذ كيف اســـتطاع موســـى بن جعفر عليه السلام أن يقتحم عليه قصره فيؤثّر في قلوب أقرب مقرّبيه لتكون أحد القائلين بإمامته، وشهادة الشيخ الصدوق على تشيّعها خير دليل على ذلك، قال الصدوق في المجالس: إنّها [أي زبيدة] كانت من الشيعة، فلمّا عرفها أنّها منهم حلف بطلاقها[1].

(١) تنقيح المقال ٣: ٧٨.

ولابدّ أن نقف عند علاقة الرشيد بها، فقد ذكر الزبير بن بكار موقف الرشيد منها بأنّه كان يهابها، فلا يجلس على فراشها، حيث قال: وكنت أهاب الجلوس على فراشها مع جليل موقعها من قلبي إعظاماً لها[1].

ولا نملك تفسيراً حيال هذه الظاهرة، إذ لم نعهد في علاقة الرجل بامرأته هذا التحرّج وشدّة الحشمة، فالعلاقة بين الزوجين مهما كانت مكانة أحدهما لا تتعدّى عن احترام أحدهما للآخر، مع الاحتفاظ بالحقوق الزوجية وحقّ المضاجعة التي لا تقف حالة التهيّب عندها كحائل، فالعلاقة بينها تتعدّى هذه الهيبة التي يستشعرها الرشيد من زوجته، وعدم إمكانية الجلوس على فراشها تتعدّى علاقة الزوجية بل تنفي فيما بينهما من ودّ وانسجام، ولابدّ أن تكون العلاقة ما وراء ذلك حيث عدم التفاهم هو السائد بين الزوجين، ولابدّ من البحث عن أسباب ذلك، فلم نجد إلّا تحرّجه من تحوّل زبيدة إلى عقيدة تغاير عقيدته منتمية إلى معسكر خصومه، وهو أمر مقلق للرشيد حقّاً، ولابدّ أن نتحرّى عن أسباب عدم انتشار هذا الأمر في العلن، فإنّ أسبابه متوفّرة لدينا من خلال الأُمور التالية:

أوّلاً: إنّ القضية نالت من الكتمان ما لم يسع المؤرّخ إلى متابعة الحدث بشكل واضح، فإنّ التستّر على مثل هذه الأُمور الخطيرة أمر مهم يتعلّق بأمن النظام، وحرصه على عدم إظهارها وتفشّيها بين العامّة، وأنت عليم أنّ إيمان آسيا بنت مزاحم ومخالفتها لزوجها لم يكن معروفاً، حتّى أثاره القرآن الكريم ونوّه عنه، ومع هذا لم نجد لذلك ذكراً في الموسوعات التاريخية، ولم يتناقلها الرواة، ولولا ذكر القرآن لها لم تصل الحادثة إلينا ولم نكد نعلم بها، وهكذا هي قضيّة تشيّع زبيدة، فإنّ النظام حريص على إخفاء الحادثة، وعدم التعاطي معها بأي شكل من الأشكال، ومن يدري، فلعلّ تصفيات حدثت على يد النظام لمن عَلِمَ بالأمر، أو حاول أن يبوح به.

(١) الموفّقيات للزبير بن بكار: ٥١٢.

ثانياً: إنّ مثل هذه الحادثة لا يمكن للمؤرّخ أن يتعاطى معها بشكل طبيعي خوفاً من النظام أن تطاله عقوبته، إذا ما عرفنا أنّ الكتابات التاريخية انتعشت إتيان الدولة العبّاسية، والنظام العبّاسي ساهم كثيراً في أخفاء مثل هذه الحادثة.

ثالثاً: إنّ المؤرّخ لم يكد يتعامل مع الحادثة كون ذلك يرتبط بصميم عقيدته، إذا ما عرفنا أنّ المؤرّخين أغلبهم ينتهجون مذهب النظام، وليس مذهب أهل البيت عليهم السلام، عدا اليعقوبي المؤرّخ الشيعي، فهو كان يعيش في ظلّ الدولة العبّاسية فمتى يتاح له التعاطي مع هذه القضيّة وأمثالها.

رابعاً: إنّ مسألة تشيّع زبيدة لم يكد يستوعبها المؤرّخ، وهو وإن مرّت عليه قراءة هذه الحادثة أو سماعها، إلّا أنّ حياة البلاط العبّاسي لا يسعه أن تحدث لديه مثل هذه الحالة، وذلك لما عرف عن نساء البلاط من اللهو والعبث، هكذا كانت ترتكز هذه الحالة في ذهنية المؤرّخ ممّا يدفعه إلى عدم تصديق ذلك، أو أنّ النظرة العامّة لا يسعها أن تستوعب مثل ذلك، ممّا يجعل المؤرّخ حريص على تجنّب مثل هذه الإثارات التي تتّهمه بالغفلة من لدن العامّة، أو بالمخالفة المذهبية من قبل الأنظمة السياسية المتعاقبة[1].

هذه أهمّ الأُمور التي يمكن عرضها فيما يتعلّق بعدم انتشار تشيّع زبيدة، إلّا أنّ القارئ له أن يطالب بأدلّة هذا الاتّجاه الذي من خلاله نتعامل مع تشيّع زبيدة على أنّه حقيقة واقعة، وله الحقّ أن يتساءل أنّ أسباب هذا الإصرار للتأكيد على هذا التوجّه ليتسنّى للمتابع أن يسلّم لفكرة هذا الطرح، وله كذلك الاعتراض أو إبداء الرأي الآخر في هذا المضمار.

إنّ من أهمّ ما نمتلكه من مؤشّرات تؤكّد هذا الاتّجاه هو توفّر بعض ما يمكن أن تكون أدلّة تساعد في إثبات هذه الرؤية، وتعيّن الباحث للتأكيد على تشيّع زبيدة

(١) راجع في هذه النقاط الملتحقون بسفينة النجاة للمؤلّف: ٣٢.

من خلال الأُمور التالية:

أوّلاً: ما صرّح به الصدوق رحمه الله من أنّ زبيدة كانت من الشيعة يعطي دلالة واضحة على أنّ أمر تشيّعها يقرّ به شيوخ الطائفة مع عدم تصريحهم بذلك، ولعلّ عدم البحث في الأمر عند البعض هو لعدم ضرورة إثارته في بحوثهم، بل عوّلوا على رأي الصدوق في ذلك.

ثانياً: مع أنّ علماء الطائفة لم يناقشوا أمر تشيّع زبيدة إلّا أنّ أصحاب التراجم تعرّضوا لها عند ذكرهم لفصل النساء فأكّدوا بعضهم على تشيّع زبيدة، وعلاقتها بهارون الرشيد بعد علمه بذلك، ولم يتعرّضوا إلى أكثر من ذلك لعدم امتلاكهم الكثير من الوثائق التاريخية.

ثالثاً: أكّد العلّامة المامقاني تشيّع زبيدة عند ترجمتها في باب النساء وكونها من الشيعة، كما ذهب إلى ذلك الشيخ عبّاس القمي في الكنى والألقاب.

رابعاً: إنّ وقوع الفتنة في بغداد في منتصف القرن الخامس من قبل الحنابلة وإزهاقهم أرواح الشيعة تعدّى ذلك إلى إحراق ضريح الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، والتحرّي لمشاهير القبور الشيعية كقبور آل بويه ومنها قبر زبيدة زوجة هارون، وهو دليل واضح على ارتكاز تشيّع زبيدة لدى الخاصّ والعام، ممّا أدّى إلى إحراق قبرها أُسوةً بقبور أعلام الشيعة.

خامساً: تُعدّ زبيدة عند كثير من المؤرّخين بحسن سيرتها وكثرة معروفها وتديّنها، وقد شهد بذلك جملة من المؤرّخين كابن الجوزي في كتاب الألقاب واليعقوبي في تاريخه، والموصلي في الروضة الفيحاء، وابن كثير في البداية والنهاية وابن خلّكان في وفيات الأعيان، وابن الجوزي كذلك في المنتظم، والزبير بن بكار في الموفّقيات وغيرهم كثير ممّا يؤكّد أنّ زبيدة كانت لها حياتها الخاصّة من الالتزام والتديّن والابتعاد عن العبث واللهو، وهذا الاتّجاه الديني الذي تميّزت به دون غيرها من

نســـاء القصر يشـــير إلى طرف خفي من عقيدتها المتميّزة والمختلفة تماماً عن نساء القصر اللواتي عرفن باللهو وعدم الالتزام، فاختلاف ســـلوكها عن الأُخريات يؤكّد اختلاف عقيدتها التي تمنعها من الدخول في معترك اللهو والعبث.

سادساً: وروت روايات عن أصحاب الإمام المهدي (عج) من النساء، وورد اسم زبيدة في رواية الإمام الصادق عليه السلام ولم نعهد من أعلام النســـاء باسم زبيدة سوى زبيـــدة زوجة هارون، ففي رواية المفضّل بن عمـــر قال: سمعت أبا عبد الله يقول: يكن مع القائم ثلاثة عشـــر امرأة، قلت: ومـــا يصنع بهن؟ قال: يداوين الجرحى، ويقمن على المرضى، كما كان مع رســـول الله صلى الله عليه وآله قلت: فسمّهنّ لي؟ قال: القنوا ابنت رُشيد، وأُمّ أيمن، وحبّابة الوالبية، وسمية أُمّ عمّار بن ياسر، وزبيدة، وأُمّ خالد الأحمسية، وأُمّ سعيد الحنفية، وصبانة الماشطة، وأُمّ خالد الجهنية[1].

والملاحظ في الرواية أنّ النســـاء المعدودات مـــن أصحاب الإمام المهدي (عج) كلّهنّ من الأعلام اللواتي عرفن بســـيرتهنّ ولم تكن إحداهنّ مجهولة في سيرتها، عدا ما ورد من اســـم زبيدة، ولا نعهد إحداهنّ بهذه الاسم من المعروفات سوى زبيدة زوجة هارون، بدلالة سيرتها وتديّنها وتصريح بعضهم بتشيّعها.

هذه بعض الأدلّة والمؤيّدات تؤكّد تشيّع زبيدة، وإرجاع ذلك إلى تأثّرها بشخصية الإمام موسى بن جعفر عليه السلام كما قدّمنا في بداية البحث.

ثانياً: أُخت السندي بن شاهك:

يُعدّ الســـندي بن شـــاهك أسوأ عنصر في البلاط العبّاســـي من تفانيه في ظلم معارضي النظام، فقد كان يتولّى ســـجن الإمـــام الكاظم عليه السلام في أحرج الظروف التي يمرّ بها نظام الرشـــيد، حيث تردّد أكثرهم في تولّي سجن الإمام لما رأوا منه من

(١) دلائل الإمامة لأبي جعفر الطبري: ٢٥٦.

عبادة وقيام الليل ودعاء، ولم يجدوا ما يبرّر سجنه في مطامير النظام، فاعتذروا إلى الرشيد وأحسّ هارون منهم الانصياع لمقام الإمام الكاظم، فخشي من تفاقم الأزمة وهي الإذعان لأحقّية الإمام، أو القول بإمامته إذا استمرّت العلاقة بين هؤلاء وبين الإمام، لذا كلّف السندي بن شاهك تولّي حبسه، ومن ثمّ تصفيته على يده مسموماً، إلّا أنّ المثير أنّ أُخت السندي بن شاهك أذعنت لمقام الإمام الكاظم وشخصيته العبادية حتّى قالت: «خاب قوم تعرّضوا لهذا الرجل»، وهذا يدلّ على تأثير شخصية الإمام الكاظم على هذه المرأة حينما لم تجد منه إلّا الدعاء والقيام لله تعالى.

قال الخطيب البغدادي: إنّ أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام حبس عند السندي، فسألته أُخته أن تتولّى حبسه، وكانت تتديّن، ففعل، فكانت تلي خدمته، فحكي أنّها قالت: كان إذا صلّى العتمة حمد الله ومجّده ودعاه، فلم يزل كذلك حتّى يزول الليل، فإذا زال الليل قام يصلّي الصبح، ثمّ يذكر في القبلة حتّى يصلّي المغرب، ثمّ يصلّي ما بين المغرب والعتمة، فكان هذا دأبه، فكانت أُخت السندي إذا نظرت إليه قالت: خاب قوم تعرّضوا لهذا الرجل، وكان عبداً صالحاً[1].

فكانت شخصية الإمام الكاظم مؤثّرة على النفوس جاذبة لكلّ من يراه، فيذعن بمقامه، ويقول بأحقّيته.

ثالثاً: الفضل بن الربيع:

إنّ تأثير شخصية الإمام الكاظم عليه السلام بالفضل بن الربيع ذلك الوزير المقرّب لدى الرشيد يشير إلى أنّ الإمام عليه السلام اكتسح حواجز المحذور السلطوي المفروض على

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣: ٣١.

رجال النظام، وأخذت شخصية الإمام عليه السلام تهيمن على الجميع دون استثناء، فهذا سجّانه الفضل بن ربيع يروي يوميات الإمام الكاظم عليه السلام وكيفية تأثّره به، فيروي أحمد بن عبد الله القروي عن أبيه قال: دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح فقال: ما ترى في البيت؟ قلت: ثوباً مطروحاً، فقال: أُنظر حسناً، فتأمّلت ونظرت فتيقّنت فقلت: رجلاً ساجداً، فقال: بلى تعرفه؟ قلت: لا، قال: هذا مولاك، قلت: ومن مولاي؟ فقال: تتجاهل عليَّ؟ فقلت: ما أتجاهل، ولكنّي لم أعرف لي مولى، فقال: هذا أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام، إنّي أتفقّده بالليل والنهار فلا أجده في وقت من الأوقات إلّا على الحال التي أُخبرك بها، إنّه يصلّي الفجر فيعقّب ساعة في دبر الصلاة إلى أن تطلع الشمس، ثمّ يسجد سجدة فلا يزال ساجداً حتّى تزول الشمس، وقد وكّل من يترصّد له الزوال، فلست أدري متى يقول الغلام: قد زالت الشمس ثمّ يثب فيبتدئ بالصلاة من غير أن يجدّد وضوءً فأعلم أنّه لم ينم في سجوده ولا أغفى.

ولا يزال كذلك إلى أن يفرغ من صلاة العصر، فإذا صلّى العصر سجد سجدة فلا يزال ساجداً إلى أن تغيب الشمس، فإذا غابت الشمس وثب من سجدته فصلّى المغرب من غير أن يحدث حدثاً، ولا يزال في صلاته وتعقيبه إلى أن يصلّي العتمة، فإذا صلّى العتمة أفطر على شوي يؤتى به، ثمّ يجدّد الوضوء، ثمّ يسجد، ثمّ يرفع رأسه، فينام نومة خفيفة، ثمّ يقوم فيجدّد الوضوء، ثمّ يقوم فلا يزال يصلّي في جوف الليل حتّى يطلع الفجر، فلست أدري متى يقول الغلام: إنّ الفجر قد طلع إذ قد وثب هو لصلاة الفجر، فهذا دأبه منذ حوّل إليّ. فقلت: اتّق الله ولا تحدثنّ في أمره حدثاً يكون منه زوال النعمة، فقد تعلم أنّه لم يفعل أحد بأحد منهم سوء إلّا كانت نعمته زائلة، فقال: قد أرسلوا إليّ في غير مرّة يأمرونني بقتله فلم أجبهم إلى ذلك، وأُعلمهم أنّي لا أفعل ذلك، ولو قتلوني ما أجبتهم إلى ما سألوني[1].

(١) مدينة المعاجز للسيّد هاشم البحراني ٢: ٧٣.

رابعاً: جارية هارون

مـــا روي عن جارية هارون واســـتقامتها حينما رأت سمتـــه وهديه وعبادته فقد روي: أنّ هارون أنفذ إلى موســـى بن جعفر عليه السلام جارية خصيفة لها جمال ووضاءة لتخدمه في السجن فقال: قل له: بل أنتم بهديتكم تفرحون، لا حاجة لي في هذه ولا في أمثالها، قال: فاستطار هارون غضباً وقال: ارجع إليه وقل له: ليس برضاك حبسناك، ولا برضاك خدمناك واترك الجارية عنده وانصرف، قال فمضى ورجع، ثمّ قام هارون عن مجلسه وأنفذ الخادم إليه ليتفحّص عن حالها، فرآها ساجدة لربّها لا ترفع رأســـها تقول: قدّوس سبحانك سبحانك، فقال هارون: سحرها والله موسى بن جعفر عليه السلام بسحره، عليَّ بها، فأُتي بها وهي ترتعد شاخصة نحو السماء بصرها فقال: ما شأنك؟ قالت: شأني الشأن البديع إنّي كنت عنده واقفة وهو يصلّي ليله ونهاره، فلمّا انصرف من صلاته بوجهه وهو يســـبّح الله ويقدّسه، قلت: ياسيّدي هـــل لك حاجة أعطيكهـــا؟ قال: وما حاجتي إليك، قلـــت: إنّي أُدخلت عليك لحوائجـــك قال: فما بال هؤلاء؟ قالـــت: فالتفت فإذا روضة مزهرة لا أبلغ آخرها من أوّلها بنظري ولا أوّلها من آخرها فيها مجالس مفروشـــة بالوشي والديباج وعليها وصفاء ووصائف، لم أر مثل وجوههم حســـناً، ولا مثل لباســـهم لباســـاً، عليهم الحرير الأخضر، والأكاليل والدرّ والياقوت، وفي أيديهم الأباريق والمناديل ومن كلّ الطعام، فخررت ســـاجدة حتّى أقامني هذا الخادم فرأيت نفسي حيث كنت قال: فقال هارون: ياخبيثة لعلّك سجدت فنمت فرأيت هذا في منامك، قالت: لا والله ياســـيّدي إلّا قبل سجودي، رأيت فسجدت من أجل ذلك، فقال الرشيد: اقبض هذه الخبيثة إليك فلا يســـمع هذا منها أحد، فأقبلت في الصلاة، فإذا قيل لها في ذلك، قالت: هكذا رأيت العبد الصالح..[1].

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ٣٢٢.

خامساً: المسيّب بن زهير

وهو أحد الموكّلين بسجنه من قبل الرشيد وكان قريباً إلى الخليفة، إلّا أنّه كان يقول بإمامة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام وكانت آخر وصية للإمام إلى المسيّب قبل وفاته حيث كان شاهدٌ على آخر أحوال الإمام قبل الشهادة ونقل تفاصيل غسله عليه السلام وبعض خطابه الموجّه إليه حيث قال له: يامسيّب مهما شككت فيه فلا تشكّنّ فيّ، فإنّي إمامك ومولاك وحجّة الله عليك بعد أبي عليه السلام، يامسيّب مثلي مثل يوسف الصدّيق عليه السلام ومثلهم مثل إخوته حين دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون..[1].

سادساً: علي بن يقطين

أحد وزراء الرشيد ومن المقرّبين إليه، كان يقول بإمامة الإمام الكاظم عليه السلام ويتلقّى أوامره منه، وكان مقرّباً لهارون بشكل وثيق، وقد عزم أن يترك عمله هذا لما يراه من هارون وتصرّفاته المنحرفة حيال الدين والأحكام الإلهية، فضلاً عن ظلمه وبطشه، فنهاه الإمام عليه السلام عن ذلك وكتب إليه:

لا تفعل فإنّ لنا بك أُنساً، ولإخوانك بك عزّاً، وعسى أن يجبر الله بك كسيراً، ويكسر بك نائرة المخالفين عن أوليائه، ياعلي: كفّارة أعمالكم الإحسان إلى إخوانكم، اضمن لي واحدة وأضمن لك ثلاثاً، اضمن لي أن لا تلقى أحداً من أوليائنا إلّا قضيت حاجته، وأضمن لك أن لا يظلّك الله سقف سجن أبداً، ولا ينالك حدّ سيف أبداً، ولا يدخل الفقر بيتك أبداً، ياعلي من سرّ مؤمناً فبالله بدأ،

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ١: ٩٦.

وبالنبي ﷺ ثنّى، وبنا ثلّث»[١].

إلى غيرهم من عمّال هارون وخاصّته الذين أذعنوا للإمام بإمامته وأحقّيته في الأمر، لما وجدوا فيه عليه السلام من براهين الإمامة وأهلية الخلافة.

هذه بعض النماذج التي تهيّأ لها أن تلتقي بالإمام أو تطّلع على أحواله لتقف على نمط يسير من يومياته، وكيفية عبادته، وانقطاعه إلى الله تعالى، ومن المؤكّد أنّ هناك الكثير من قطاعات النظام وصلت إلى حالة الإقناع بالإمام، بمجرّد النظر إليه والوقوف على بعض حالاته.

من هنا لابدّ أن نبحث عن ردّة فعل النظام الذي لم يستوعب الواقع اليومي الذي يعيشه خاصّة النظام، بل حتّى عامّة الأُمّة ونظرة التقديس التي يحفظها الناس للإمام عليه السلام.

ردّة الفعل بين تحدّيات النظام وواقع حال الأُمّة:

وإذا كان الأمر يصل إلى هذه الحالة من التحدّيات فإنّ نظاماً دموياً يعيش هواجس عقدة النقص، فضلاً عن كون الإمام الكاظم ذلك المعارضة الصامتة الذي لم يظهر منه شيء يخالف إرادة النظام، وإنّ الأُمّة تعيش في ضميرها صحوة التحرّي لشخصية الإمام وأحقّيته في الخلافة، فإنّ صراعاً محتدماً تحت رماد القلق والفزع يعيشه النظام يدفعه باتّجاه إسكات صوت المعارضة، ومع أنّ هذه المعارضة كما عبّرنا عنها صامتة فإنّها تلاحق النظام بصمتها هذا الذي أفزع السلطة بكلّ قلق، ولابدّ من إبعاد مصدر المعارضة عن أنظار الأُمّة التي لا تزال تتابع حركة الإمام بكلّ إعجاب وتقدير، ممّا دعى قطاعاتها العريضة المثول أمام الإمام الكاظم للتزوّد

(١) البحار ٤٨: ١٣٩.

بمعارفه، أو الوقوف على كراماته، فإنّ داعي التنافس الذي يتحسّسه هارون يدفعه بإلغاء دور الإمام، وتعطيل فرص الأُمّة، وهي تستمدّ من الإمام الكاظم فاعليتها وحيويتها، وإذا استطاع هارون أن يحجب الإمام عن قواعده فإنّ قواعده هذه يتصاعد إصرارها يوماً بعد آخر في تحدّيات السلطة، وعدم التخلّي عن مبادئها، ولم يجد هارون بدّاً من تغيّب الإمام الكاظم عن الأُمّة بطرق تقليدية مارسها أسلافه مع الإمام ومع آبائه، وهي السجون الاحترازية التي عرف بها النظام.

احترازية السجون ومحاولات هارون:

إذن لم يبق لدى هارون حيلة لمنع الأُمّة وحجبها عن الإمام إلّا السجون الاحترازية، التي يتعاطى معها أي نظام دموي مع معارضيه، ولعلّ هارون لم يجد سوى السجن، الطريق الأقصر لتفريق قواعد الإمام، وتشتيت قواه، ولم يستطع الإمام الآن وهو في سجون النظام إلّا أن ينقطع عن الأُمّة، وبذلك يتخلّص هارون من مشكلة تأثّر الأُمّة بالإمام، أو حركة الأُمّة المتصاعدة باتّجاه قضيّة الإمام، فإنّ مظلومية الإمام الكاظم أصبحت الآن أكثر وضوحاً لدى الداني والقاصي، وإذا كان أحد لم يعرف الإمام ولم يطّلع على أحواله فإنّ تداول أخبار سجن الإمام أيقظ ضمير الأُمّة، ودفعها نحو صحوة التسليم والإذعان لشخصية الإمام الكاظم عليه السلام، ولم تزل أصداء تنقّلات الإمام الكاظم من سجن إلى سجن تطبق على كلّ الرقعة الإسلامية، حيث تتطاير الأخبار من هنا وهناك حول مصير الإمام المجهول، وأسباب هارون في سجن الإمام غير المبرّرة تأخذ مدياتها من النقاش والتداول، وإنّ الإمام الذي لم يصدر منه مكروه ولم يعرف عنه معارضة أعلنها بوجه النظام يعاني من تحدّيات هارون، الذي بات يتخبّط في قراراته الجائرة، وأوامره المرتجلة دون الاستناد إلى سبب قانوني شرعي يأخذ الإمام بجريرة المعارضة، إذن لم يكن سوى التنافس الذي يحمله هارون، وعقدة النقص التي تتضخّم لديه حيال الإمام موسى

بن جعفر عليه السلام، فهو يستشعر ما يستشعره الناس من لهو هارون وشربه، وبين عبادة الإمـــام الكاظم وتقواه، ومن جهل هارون في أحكام الدين، وإمكانيات الإمام في معـــارف الدين، وبين كلّ هذه المؤهّلات التي يحملها الإمام الكاظم والنقص الذي عرف به الرشيد تتّسع رقعة الخلاف، والتحدّي الذي تحمله نفس هارون من أجل إقصاء موســـى بن جعفر عليه السلام وتصفيته، والاستراحة منه وإسكات صوته القدسي الذي يخرج من حنايا الزمن المقهور.

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بين تغييبين:

ما إن تحرّكت الخلايا الســـرّية للتنظيم العبّاسي بزعامة أبي مسلم الخراساني الخفي حتّى بدت ظاهرة الشـــعارات البرّاقة ترفع بشكل يثير رغبة المحرومين في الانتماء إلى مثل هذه الحركة، التي سرعان ما أخذت في الانتشار والتوهّج، وكانت مظلومية أهل البيت عليهم السلام وحقوقهم المغدورة اللافتة العريضة، التي تعاطت معها الحركة العبّاسية، كان شـــعار الرضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله يثير فضول جميـــع الحركات المعارضة للنظام السياســـي وقتذاك، بل كان ذلك حافزاً في انتماء الكثير من الحركات الطموحة في إســـقاط النظام، بل لعلّنا لا نبالغ في القول أنّ لهذا الشـــعار أثره في انصهار أكثر الحركات المعارضة للنظام، وانضوائها تحت لواء الحركة العبّاسية التي اجتاحت غالبية البلدان الإســـلامية، إذن كان لهذا الشعار أثره في إنجاح الحركة العبّاسية، وإمكانية قيـــام دولتها التي امتدّت إلى قـــرون... وإذا كان الأمر كذلك فما هي العلاقة بين النظام العبّاســـي الرافع لشعار (الرضا من آل محمّد) وبين أهل البيت عليهم السلام، يمكن القول إنّ النظام العبّاسي قد جعل في أوّليات عمله السياسي الالتفاف على حركة أهل البيت عليهم السلام وتغييبها بشكل مثير، فآل البيت عليهم السلام لم تخدعهم شعارات (الرضا من آل محمّد) باللافتة العباســـية، وهم لم يدخلوا في أي من التحالفات السياسية القائمـــة، بل آثروا البقاء قادة يقودون الأُمّة من مواقعهم، ويهيمنون على الشـــارع

الإسلامي بكلّ اتّجاهاته، حتّى أنّ النظام يضطرّ أحياناً للخضوع لرغبة الأُمّة في الإبقاء على سلامة الإمام الصادق عليه السلام، حين يقرّر المنصور العبّاسي تصفيته، وسرعان ما يتراجع عن قراراته، ولم تنته هذه العلاقة على خير حتّى ختمت بتصفية الإمام الصادق عليه السلام على يد المنصور العبّاسي، لم يتعرّض الإمام عليه السلام إلى السجون من قبل النظام، نعم كانت أنفاس الإمام عليه السلام محسوبة، وحركاته ترصدها العيون، وأقواله تؤول في غير صالح الإمام عليه السلام للوقيعة به، على أي حال في الوقت ذاته تعرّض الإمام الصادق عليه السلام إلى الإقامة الجبرية في منزله مع تحفّظات النظام في التعامل مع الإمام وأتباعه، وينتهي الأمر بشهادة الإمام عليه السلام على يد النظام العبّاسي الاستبدادي من قبل المنصور العبّاسي.

لم تبق هذه العلاقة على حالها أيّام الإمام الكاظم عليه السلام في عهد هارون الرشيد، بل تطوّرت العلاقة إلى حالة أكثر تشنّجاً، واتّخذت الإجراءات الأمنية أيّام الإمام الكاظم عليه السلام حتّى دعت سياسة الاعتقالات التي انتهجها الرشيد العبّاسي إلى زجّ الإمام عليه السلام وأتباعه في سجون النظام دون أي مبرّر قضائي، بل لمجرّد خطوات احترازية وعمليات استباق أمني فرضها النظام على تحرّكات الإمام عليه السلام، حتّى أنّ المؤرّخين أحصوا عدد المرّات التي أُودع الإمام الكاظم عليه السلام في السجن إلى أربعة عشرة مرّة ضمن فترات متقاربة، وانتهى الأمر إلى تصفية الإمام الكاظم عليه السلام في زنزانة قاسية يديرها جلّاد نصراني يدّعي الإسلام وهو السندي بن شاهك الذي أذاق الإمام عليه السلام غصص الاعتقال والقهر، تنكيلاً بالإمام عليه السلام، وإرضاءً للرشيد، الذي أزعجه وجود الإمام عليه السلام حيّاً إلى وقت متأخّر من حكومته لذا يمكننا الآن أن نتساءل عن دوافع هذه السياسة الطائشة التي ارتكبها النظام في حقّ الإمام الكاظم عليه السلام، وأسباب الاعتقالات المتكرّرة التي تعرّض إليها الإمام عليه السلام، دون مسوّغ شرعي أو مبرّر قانوني.. وما الذي دعا الرشيد العبّاسي إلى انتهاج هذه السياسة الظالمة مع الإمام عليه السلام وما الذي دعاه بعد ذلك إلى اتّخاذ قراره الطائش في تصفية الإمام عليه السلام يمكن إجمال هذه الأسباب كالآتي:

أوّلاً: في عصر الرشيد العبّاسي لم يكن هناك توازن بين نظرة الأُمّة لآل البيت عليهم السلام وبين نظرتها للنظام الحاكم، فقد كان هناك تخلخلاً في النظرة القائمة بين العامّة وبين النظام الذي قدّم أُطروحته (النسب والخلافة الإلهية)، حيث قامت المعارضة العبّاسية كما أسلفنا إبّان العهد الأموي على أنّ العبّاسيين هم الأولى من غيرهم بالخلافة للقرب النسبي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله، ورفعت شعارات النسب هذه فكانت لها آثار ملحوظة على صعيد العلاقة بين المعارضة وبين الأُمّة التي قارنت بينها وبين بني أُميّة، فأعطت الأولوية للبيت العبّاسي القريب بنسبه لرسول الله صلى الله عليه وآله، ونجحت إلى حدّ ما أُطروحة النسب في الفترة الأُولى للحكم العبّاسي، وكان العبّاسيون قد استعملوا أُسلوب المزج بين رؤيتين للحصول على رؤية واحدة يتقدّمون فيها لإحياء مشاريعهم، سواء تلك الداعية لمعارضة الأمويين، أو الداخلة ضمن هيكلية سياستهم، فقد حاولوا المزج بينهم وبين العلويين وقربهم لرسول الله صلى الله عليه وآله، فحصلوا على دفعة من التأييد الشيعي وقوى المعارضة المسلّحة الأُخرى مهّدت لهم سبل المعارضة السياسية والفكرية ضدّ الأمويين، وأنهت الصراع بعد ذلك لصالحهم، فلما تمكّنوا من الحكم اقتضت السياسة أن تكون العلاقة المصيرية بينهم وبين العلويين علاقة رسمية سطحية، فلمّا توغّلوا في تثبيت أركان دولتهم فرضت أُطروحات جديدة على الواقع السياسي وهي تحويل هذه العلاقة الرسمية إلى علاقة معارضة فكرية بينهم وبين العلويين، وذلك بعد ما رأوا أنّ أُطروحة (النسب والخلافة الإلهية) تتّجه لصالح العلويين. وغدت الأُمّة تحدّد علاقتها بين البيتين على أساس السلوكية الحياتية والمنهجية الفكرية لقيادتيهما، وتوجّهت طموحات الأُمّة لآل البيت عليهم السلام فتعاملوا معهم إلى أنّهم أهل الوحي وحملة الكتاب، وتحدّدت العلاقة بين الأُمّة وبين العبّاسيين على أنّهم رموز لسياسة حكم قائمة ضمن الأُطروحات السياسية الأُخرى، وتفاقمت هذه الأزمة وخشيت السلطة العبّاسية من استفحال الأمر، بعد ما أحسّت بالعزلة الشعبية وعلى كلّ المستويات، فراحت تعالج الأمر بالردّ السلبي المعاكس، وانتهجت سياسة جديدة فرّطت فيما بعد بشعاراتها القائمة على استرداد حقوق آل علي المهضومة، فعكفت على سياسة

(تغييب الأشخاص) وذلك بزجّ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في السجون من قبل الرشـــيد العبّاسي، لفترات تقصر وتطول تبعاً للمنهجية التي يتّخذها النظام، أو ما يفرضه الظرف السياسي القائم.

ثانياً: كانت الإخفاقات السياســـية للنظام التي تسجّلها حالات الثورة وحركات التمرّد أو الاخفاقات المســـجّلة على المستوى الاجتماعي، كمظاهر الترف والمجون الذي شاع في المجتمع الإسلامي نتيجة للابتذال الذي يرتكبه بلاط الخلافة العبّاسية على مستوى الحفلات الماجنة، التي يقيمها البلاط وتسرّبت هذه الحياة إلى الشارع الإســـلامي العامّة على مستوى الأُمّة، فضلاً عن الاخفاقات التي مُنيَ بها النظام، لحلّ الأزمات الاقتصادية المتفاقمة، والتي تعاني منها قطاعات واسعة من الأُمّة، كلّ هذه الإخفاقات ســـجّلت هزيمة كبيرة للقيادة العبّاسية بزعامة الرشيد، ولكي يلقي النظام تبعات ذلك علـــى غيره من القوى المعارضة عمد إلى التضييق على القيادة العلوية المتمثّلة بالإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، لشعور الرشيد بخيبة أمل تكاد تقتلع نظامـــه من أُصوله، لإحســـاس النظام بالنقمة الجماهيريـــة التي تتصاعد ضدّ هذه السياسة غير المسؤولة، ولعلّ هذه النقمة تجد متنفّساً في ظلّ قيادة رشيدة، توجّهها إلى حيث الإطاحة بالنظام، لذا فهزيمة الرشـــيد ترجمتها حالات الاعتقال المتكرّر، الـــذي ارتكبه ضدّ الإمام موســـى بن جعفر عليهما السلام ليفصله عـــن قواعده العريضة، وليقطع الطريق على أيّة معارضة محتملة بقيادة الإمام عليه السلام.

ثالثـــاً: امتاز الإمام موســـى بن جعفر عليهما السلام برؤية ثوريـــة أرعبت النظام ونمط في المعارضة الرشيدة أربكت معها كلّ حساباته، وذلك حين بدا عليه السلام معارضاً حقيقياً بأُســـلوب هادئ يســـتلّ معه اعترافات النظام، ويملي عليه حقوقه المغتصبة، وهو أهمّ إنجاز يحقّقه الإمام عليه السلام على مســـتوى المعارضة، ففي محاججته لفضح النظام وإقراره بأحقّية أهل البيت عليهم السلام، تعاطى الإمام الكاظم عليه السلام مع قضيّة فدك، وأحيى معارضة أُمّه فاطمة الزهراء عليها السلام التي فضحت النظام وقتذاك من خلال قضيّة فدك،

حيث حاولت عليها السلام إلى الأخذ بالإقرار بوارثيها فدك؛ ليتسنّى لها إقرار أحقّية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة بعد أن أذعن النظام بحجّيتها وشهادتها، فإذا أقرّوا بصحّة شهادتها في أحقّية فدك فإنّهم بالملازمة يقرّون بأحقّية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من حجّية إلهية جديرة بوضع الأُمور في نصابها، هكذا كان الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام يملي على النظام أحقّيته في الخلافة من خلال مطالبته بفدك، فقد روى الكليني في الكافي، والشيخ في التهذيب بإسنادهما عن علي بن أسباط قال: لمّا ورد أبو الحسن موسى عليه السلام على المهدي رآه يردّ المظالم فقال ياأمير المؤمنين ما بال مظلمتنا لا ترد، فقال له: وما ذاك ياأبا الحسن، قال: إنّ الله لمّا فتح على نبيّه صلى الله عليه وآله فدك وما والاها لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فأنزل الله على نبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾، فلم يدر رسول الله صلى الله عليه وآله من هم، فراجع في ذلك جبرائيل عليه السلام ربّه فأوحى الله إليه أن ادفع فدك إلى فاطمة عليها السلام فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها: يافاطمة إنّ الله أمرني أن أدفع إليك فدك، فقالت: قد قبلت يارسول الله من الله ومنك فلم يزل وكلاءها في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا ولي أبو بكر أخرج عنها وكلاؤها فأتته فسألته أن يردّها عليها، فقال لها: أأتيني بأسود أو أحمر يشهد لك بذلك، فجاءت بأمير المؤمنين عليه السلام وأُمّ أيمن فشهدوا لها، فكتب لها بترك التعرّض فخرجت والكتاب معها، فلقيها عمر فقال: ما هذا معك يا ابنت محمّد، قالت: كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة قال: أرنيه، فأبت، فانتزعه من يدها ونظر فيه ثمّ تفل فيه ومحاه وخرقه، فقال لها: هذا لم يوجف أبوك فصعب الحبال في رقابنا، فقال له المهدي: يا أبا الحسن حدها لي، فقال حدّ منها جبل أُحد، وحد منها عريش مصر، وحد منها سيف البحر، وحد منها دومة الجندل، فقال له: كلّ هذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين هذا كلّه، إنّ هذا كلّه ممّا لم يوجف على أهله رسول الله صلى الله عليه وآله بخيل ولا ركاب فقال: كثير وأنظر فيه[1] وهي إشارة واضحة إلى أنّ كلّ ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فهي لرسول الله صلى الله عليه وآله، وكلّ ما لرسول الله صلى الله عليه وآله من هذا القبيل فهو لابنته فاطمة عليها السلام حالها حال فدك، إذن فالدولة الإسلامية

(١) الكافي ١: ٥٤٣، والتهذيب ٤: ١٩٩.

مالهـــا إلى فاطمة عليها السلام وإلى من يرث فاطمة من أهل بيتها المعصومين عليهم السلام، هكذا أرعب المهدي العبّاســـي من مطالبة الإمـــام عليه السلام بحقوقه المغتصبة، وهي حاكميته السياسية على الدولة الإسلامية، وقد فهم المهدي العبّاسي إشارة الإمام عليه السلام إليه بعدم شـــرعيته في السلطة ووجوب تنحّيه شـــرعاً وقانوناً؛ لأنّ ذلك يعدّ وثوباً غير شرعي على حقوق الحاكم الشرعي للدولة الإسلامية وهو الإمام المعصوم عليه السلام، لم تنته هذه المطالبة من قبل الإمام موســـى بن جعفر عليهما السلام بحقوقه في فدك والتي هي حقوقه لقيادة الدولة الإسلامية، فتكرّرت هذه المطالبة أيّام الرشيد العبّاسي إلّا أنّها بمعنى آخر، حيث بادر الرشـــيد إلى تحديد فدك من قبل الإمام موســـى بن جعفر عليهما السلام ليستشفّ من خلال ذلك رؤيته في المعارضة، وهل لا يزال الإمام عليه السلام يخفي تطلّعاته في تحقيق قيادة السياسة للدولة الإسلامية؟ وهل كانت محاولته مع المهدي العبّاسي في تحديد فدك قضيّة عابرة، أم هي رؤية حقيقية يتبنّاها الإمام عليه السلام ؛ لذا حاول الرشـــيد العبّاسي معرفة توجّهات الإمام الكاظم عليه السلام في عدم إقرار الشرعية للرشـــيد العبّاسي، ومن على شـــاكلته في قيادتهم للدولة الإسلامية، فقد روي في البحار عن المناقب أنّ هارون الرشـــيد كان يقول لموسى بن جعفر عليهما السلام: حد فدكاً حـــتّى أردّها إليك، فيأبى، حتّى ألحّ عليه فقال عليه السلام: لا آخذها إلّا بحدودها، قال: ومـــا حدودها؟ قال: إن حددتها لم تردّها، قـــال: بحقّ جدّك ألا فعلت؟ قال: أمّا الحدّ الأوّل فعدن، فتغيّر وجه الرشـــيد وقال: إيهاً، قال: والحدّ الثاني سمرقند فأربد وجهه، قال: والحدّ الثالث أفريقيا فاســـودّ وجهه، وقال: هب، قال: والرابع سيف البحر ممّا يلي الجزر الأرمينية، قال الرشـــيد: فلم يبق لنا شيء فتحوّل إلى مجلسي، قال موسى عليه السلام: قد أعلمتك أنّني إن حددتها لم تردّها فعند ذلك عزم على قتله[1] ويبدو لي أنّ هذه الحادثة لم تكن وحدها كافية في تيقّن الرشيد بثورية الإمام موسى بـــن جعفر عليهما السلام، بل قرأ فيه توجّهاته الثورية كآبائـــه الطاهرين عليهم السلام في العديد من مواقفه المعارضة للنظام، إلّا أنّ الرشيد يعيش نشوة النصر الموهوم، ويجد أنّ ملكه لا ينبغـــي لأحد من قبله من آبائه، ولا من بعده من أبنائه؛ لذا فقد كان جدّ حريص

(١) بحار الأنوار ٤٨: ١٤٤.

على تذليل عقبات نجاحه المزعوم، وتصفية خصومه بما يحقّق له إمكانية السيطرة على أي خطر محتمل، وإذا كان الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام قائد التغيير في نظر الأُمّة فإنّ خطورة الإبقاء على حياته يوازي خطورة الإبقاء على تمرّد عسكري عارم، أو نار تلتهم كلّ شيء، هكذا كانت هواجس الرشيد، وهكذا كانت أحاسيسه، كذلك إزاء الإمام الكاظم عليه السلام، لذا فقد كان تكرار حبسه عليه السلام بين فترة وأُخرى من قبل الرشيد تحقيقاً لهذه الهواجس، وتأكيداً على هزيمة الرشيد الطموح الذي امتاز عن أسلافه بتوجّهاته العريضة في بلوغ ملكه أقاصي الأرض، وهو ما يكشفه خطابه عند مرور السحاب (أينما تمطرين ففي أرضي) وهو شعار توسّعي يكشف عن روح استبدادية لا تسمح لأي احتمال يهدّد طموحتها، ما لم يتّخذ الاجراءات الاحترازية اللازمة لتبديد مخاوفه، والتخفيف عن الأزمة الخانقة التي يعيشها، لم يكن ذلك مبرّر في ارتكاب الرشيد أبشع مغامراته في التعرّض للإمام عليه السلام وإيداعه السجن بين الفترة، والأُخرى لتنتهي بتصفيته جسدياً، بل لم يكن مبرّراً كذلك تصفيته الفكرية للإمام عليه السلام، فالرشيد الذي أعدّ خطّته لإيقاف امتداد تأثير الإمام عليه السلام على الأُمّة يستعدّ بعد عملية التغيّب الجسدي إلى عملية مبرمجة من التغيّب الفكري ففي تقييمه الرجالي ذكر الذهبي عند تعرّضه للإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ما نصّه: (موسى بن جعفر بن محمّد بن علي العلوي الملقّب بالكاظم، قال ابن أبي حاتم الرازي: صدوق إمام، وقال أبوه أبو حاتم الرازي ثقة إمام، قلت روى عنه بنوه علي الرضا وإبراهيم وإسماعيل وحسين، وأخوه علي ومحمّد وإنّما أوردته لأنّ العقيلي ذكره في كتابه وقال حديثه غير محفوظ يعني في الإيمان قال: الحمل فيه على أبي الصلت الهروي، قلت: فإذا كان الحمل فيه على أبي الصلت فما ذنب موسى تذكره[1].

هكذا حاول العبّاسيون ومن انتمى إلى مدرستهم بمحاولة التقليل من شأن أئمّة أهل البيت عليهم السلام وذلك بتصفيتهم عبثاً، أو الإعراض عنهم عناداً وتكبّراً، ومحاولة

(١) ميزان الاعتدال، للذهبي ٤: ٢٠١.

العقيلي إحدى الرهانات الخاسرة في إبعاد أهل البيت عليهم السلام عن مقاماتهم، وممارسة أدوارهم القيادية، وتبقى الإخفاقات التي سجّلتها الذاكرة التاريخية تطارد منهجيتهم بكلّ إدانة.

وفي معرض ذكره لسجن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لم يتورّع الذهبي عن كلّ ما من شأنه أن يحطّ من سمعة الباحث الموضوعي حتّى يودي حادثة سجن الإمام الكاظم عليه السلام بهذه العقلية الساذجة، فقال حجّ الرشيد فحمل معه موسى عليه السلام من المدينة إلى بغداد وحبسه إلى أن توفّي غير مضيّق عليه[١] قال الذهبي بلغنا أنّه بعث موسى بن جعفر عليهما السلام إلى الرشيد من الحبس رسالة كانت: أنّه لن ينقضي عنّي يوم من البلاء إلّا انقضى منك يوم من الرخاء، حتّى نقضي جميعاً إلى يوم ليس فيه انقضاء، يخسر فيه المبطلون[٢] وهو تناقض لا يمكننا حلّه إلّا على أساس محاولات التغييب الفكري، التي تورّط فيها كثير من المؤرّخين، وإمكانية التقليل من شأن ما يرتكبه الرشيد من جرائم بشعة في حقّ الإمام عليه السلام، فضلاً عن تهميش شخصيته الإلهية، ولعلّك تتّفق معي إذا ما قرأت النصّ التغييبي الآخر: قال الذهبي في تاريخه: كان مؤمناً يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده وكان سخياً يبلغه عن الرجل يؤذيه فيبعث إليه بصرّة فيها الف دينار، وكان يصرّر الصرر مائتي دينار أو أكثر، ويرسل بها، فمن جاءته صرّة استغنى.

قلت والكلام للذهبي هذا يدلّ على كثرة إعطاء الخلفاء العبّاسيين له، ولعلّ الرشيد ما حبسه إلّا لقولته تلك: السلام عليك يا أبه، فإنّ الخلفاء لا يحتملون مثل هذا[٣] وإذا كان الإمام عليه السلام يستغني سائله أو من يصله بصرره التي يبعث بها إليهم، فكيف يعتمد في عطاءاته هذه على ما يرسله إليه بنو العبّاس، وهي محاولة لنقل فضيلة سخائه عليه السلام إلى بني العبّاس، إنّها محاولات خاسرة لا ينبغي أن نجد لها

(١) تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام، للذهبي، حوادث ووفيات ١٨١ – ١٩٠.

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه

مكاناً في مشاريعنا التثقيفية ونحن في صدد الوقوف على مجريات التاريخ الإسلامي بكلّ حقائقه المشرّفة.

العلويون مصدر الثورة وتطلّعات الأُمّة:

وقد ذكرنا ذلك فيما سبق وأشرنا إليه بإشارات واضحة، ولكن لا يعني أنّ ذلك استيفاءً لمشروع ثوري امتدّ سنين، وكلّف من التضحيات الكثير، ولابدّ لنا من وقفة أُخرى في هذا الشأن.

كان قرار التغييب مأخوذاً على ذمّة الأحداث التي تشـــهدها البلاد الإسلامية، فالاحتجاجات والتمرّدات والثورات التي كان يخوضها الرافضون لهارون وسياســـته الأثر الكبير في قرارات هارون التعسّـــفية، فالثورات تنتشر على الأرض الإسلامية، وتأخذ مدياتها إلى ما شاء الله من الاحتجاج والاستنكار، الذي كان الجميع يحمله في نفوســـهم، فجذوة التحدّي والثورة يقضيان على أمل الرشيد بانصياع الأُمّة له، وإعلان الرفض الشعبي تتّسع رقعته في البلاد، ولعلّك ستجد أنّ تعاظم النقمة التي تعكسها ثورات العلويين تنطلق من قناعة الأُمّة بجدارة هذا البيت العلوي، وقيادته للأحداث يوكّد على ضرورة التسليم لهذا البيت الذي طالما عبّر عن هواجس الأُمّة، وأحاسيس الناس، ولابدّ من متابعة بعض تلك الثورات التي عبّرت عن فترة الحماس الشعبي في رفض الرشيد، أو تمرّدهم على العبّاسيين الذين أضحوا أداة تصفية الأُمّة بشـــكل دموي مرعب، لذا فإنّ هذه الثورات تعبير حقيقـــي عن رأي الأُمّة بكلّ قطاعاتها وتوجّهاتها، ومن تلك الثورات التي رصدها المؤرّخون:

أوّلاً: ثورة يحيى بن عبد الله بن الحسن:

وهي من أهمّ الثورات التي سـجّلها التاريخ حيث خرج هذا العلوي على هارون بعـد أن وجد له أتباعاً يقولون برأيه، ويرجّحون خروجه فقد كان يحيى بن عبد الله جديراً بهذا الأمر، وكان خروجه مقلقاً لهارون، ولم يجد بدّاً أن يدفع هارون له بأمان بعثـه مـع الفضل بن الربيع، ولم يجد يحيى بن عبد الله قبول هذا الأمان لمّا رأى من عدم جدوى اسـتمرارية الثورة، بعد أن «صحبه جماعة من أهل الكوفة، فيهم ابن الحسـن بن صالح بن حي، كان يذهب مذهب الزيدية البُترية في تفضيل أبي بكر وعمر وعثمان في سـت سـنين من إمارته ويكفّره في باقي عمره، ويشـرب النبيذ ويمسح على الخفّين، وكان يخالف يحيى في أمره ويفسد أصحابه.

قال يحيى بن عبيدالله: فأذّن المؤذّن يوماً وتشاغلت بطهوري، وأُقيمت الصلاة فلم ينتظرني وصلّى بأصحابي، فخرجت فلمّا رأيته يصلّي قمت أُصلّي ناحية ولم أُصلِّ معه، لعلمي أنّه يمسـح على الخفّين، فلمّا صلّى قال لأصحابه: علام نقتل أنفسنا مع رجل لا يرى الصلاة معنا، ونحن عنده في حال من لا يرضى مذهبه؟

قال: وأُهديت إليّ شـهد في يوم من الأيّام وعندي قوم من أصحابي، فدعوتهم إلى أكلهـا فدخل في أثر ذلك فقال: هـذه الأثرة، أتأكله أنت وبعض أصحابك دون بعض؟

فقلـت له: هذه هدية أُهديت إليّ، وليسـت من الفيء الذي لا يجوز هذا فيه، فقال: لا، ولكنّك لو ولّيت هذا الأمر لأستأثرت ولم تعدل.

وأفعال مثل هذا الاعتراض»[1].

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٩٢.

ومعنى هذا أنّ عدم الانسجام في الرؤى بين القائد وبعض مؤيّديه يدفع باتّجاه الخلاف، وإفشال الثورة، وإراقة دماء الكثير دون طائل، ولم يجد الثائر العلوي بدأ من قبول الأمان، وأخذه إلى الرشيد، إلّا أنّ الذي حدث شيء مثير لا ينسجم ودعاوى الرشيد الإصلاحية التي حاول تسويقها والعمل على أساسها، حيث أبطل الأمان، وخرّق الكتاب الذي كتب فيه الأمان ليحيى، وأفتى بعض قضاته بعدم شرعية هذا الأمان، وبالفعل أُلقي في طامورة من طوامير هارون دون طائل حتّى انتهى به القتل.

قال الأصفهاني في مقاتل الطالبيين: وقد اختلف في مقتله كيف كان، فحدّثني جعفر بن أحمد الورّاق، قال: حدّثنا محمّد بن عثمان، عن الحسن بن علي، عن عمرو بن حمّاد، عن رجل كان مع يحيى بن عبيدالله في المطبق قال: كنت قريباً منه، فكان في أضيق البيوت وأظلمها، فبينا نحن ذات ليلة كذلك سمعنا صوت الأقفال وقد مضت من الليل هجعة، فإذا هارون قد أقبل على برذون له، ثمّ وقف وقال: أين هذا؟ يعني يحيى بن عبيدالله بن الحسن، قالوا: في هذا البيت، قال: عليّ به فأُدني إليه، فجعل هارون يكلّمه بشيء لم أفهمه، فقال: خذوه، فأخذوه فضرب مائة عصا، ويحيى يناشده الله والرحم والقرابة من رسول الله ﷺ ويقول: بقرابتي منك، فيقول: ما بيني وبينك قرابة.

ثمّ حمل فردّ إلى موضعه فقال: كم أجريتم عليه؟ قالوا: أربعة أرغفة وثمانية أرطال ماء.

قال: اجعلوه على النصف.

ثمّ خرج ومكثنا ليالي ثمّ سمعنا وقعاً، فإذا نحن به حتّى دخل فوقف موقفه فقال: عليّ به، ففعل به مثل فعله ذلك، وضربه مائة عصا أُخرى، ويحيى يناشده الله، فقال: كم أجريتم عليه؟

قالوا: رغيفين وأربعة أرطال ماء.

قال: اجعلوه على النصف.

ثمّ خــرج وعاد الثالثــة، وقد مرض يحيى بن عبيدالله وثقل، فلمّا دخل قال: عليّ به، قالوا: هو عليل مدنف لما به.

قال: كم أجريتم عليه؟

قالو: رغيفاً ورطلين ماء.

قالوا: فاجعلوه على النصف.

ثمّ خرج فلم يلبث يحيى بن عبيدالله أن مات، فأُخرج إلى الناس، ودفن رضي الله عنه وأرضاه.

وقال ابن عمّار في روايته عن إبراهيم بن رياح:

إنّه بني عليه إسطوانة بالرافقة وهو حي.

وقال ابن عمّار في خبره عن علي بن محمّد بن سليمان:

إنّه دسّ إليه في الليل من حنقه حتّى تلف.

قال: وبلغني أنّه سقاه سمّاً.

وقال علي بن إبراهيم، عن إبراهيم بن بنان الخثعمي، عن محمّد بن أبي الخنساء: إنّه أجاع السباع ثمّ ألقاه إليها فأكلته[1].

(١) مقاتل الطالبيين: ٤٠٢.

وروى الأصفهاني عن أحمد بن سعيد قال: حدّثنا يحيى بن الحسن قال: حدّثني موسى بن عبد الله عن أبيه ومحمّد بن عبد الله البكري عن سلمة بن عبد الله بن عبد الرحمن المخزومي، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن حفص العمري قال: دعينا لمناظرة يحيى بن عبيدالله بن الحسن بحضرة الرشيد، فجعل يقول له اتّق الله وعرّفني أصحابك السبعين لئلّا ينتقض أمانك، وأقبل علينا فقال: إنّ هذا لم يسمّ أصحابه، فكلّما أردت أخذ إنسان بلغني عنه شيء أكرهه ذكر أنّه ممّن أمنت.

فقال يحيى: يا أمير المؤمنين، أنا رجل من السبعين فما الذي نفعني من الأمان، أفتريد أن أدفع إليك قوماً تقتلهم معي، لا يحلّ لي هذا.

قال: ثمّ خرجنا ذلك اليوم، ودعانا له يوماً آخر، فرأيته أصفر الوجه متغيّراً، فجعل الرشيد يكلّمه فلا يجيبه، فقال: ألا ترون إليه لا يجيبني، فأخرج إلينا لسانه، وقد صار مثل الفحمة، يرينا أنّه لا يقدر على الكلام فتغيّظ الرشيد وقال: إنّه يريكم أنّي سقيته السم، ووالله لو رأيت عليه القتل لضربت عنقه صبراً.

قال: ثمّ خرجنا من عنده فلمّا وصلنا في وسط الدار حتّى سقط على وجهه لا حراك به[1].

وحدّثني أحمد بن سعيد قال: حدّثني يحيى بن الحسن قال: كان إدريس بن محمّد بن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن يقول:

قتل جدّي بالجوع والعطش في الحبس[2].

وقد ذكر الأصفهاني نماذج ممّن خرج مع يحيى بن عبيدالله فكان لهم شأنهم

(١) المصدر السابق: ٤٠٣.

(٢) المصدر السابق.

ومنزلتهم منهم:

١. عامر بن كثير السرّاج كان ممّن خرج مع يحيى.

٢. يحيى بن ساور، فقد تحدّث الأصفهاني عن مبدأ هذا الرجل وتفانيه قائلاً: أعطى يحيى بن عبد الله يحيى بن مساور من المال الذي أعطاه هارون ثلاثة بدور، فلمّا كان بعد ذلك قال يحيى: احتل لي في ألفي درهم قرضاً، فقال له: ابعث برسول ومعه بغل، فوجّه إلى يحيى بالثلاث بدور، فقال له ما هذا؟ قال: هذا الذي كنت أعطيتني، علمت أنّك ستحتاج إليه، قال له: خذ بعضه، فقال: لا والله ما كان الله ليراني آكل على حبّكم درهماً أبداً[١].

٣. مجموعة مع علي بن هاشم بن البريد قال: إنّ هارون أخذه، وعبد ربّه بن علقمة، ومخول بن إبراهيم النهدي وكانوا من أصحاب يحيى بن عبد الله فحبسهم جميعاً في المطبق[٢].

هذه إلمامة عن ثورة يحيى بن عبد الله بن الحسن وكم استطاعت أن تستقطب المؤيّدين والمناصرين الرافضين لسياسة هارون وتسلّطه.

ثانياً: حركة إدريس بن عبد الله:

وهو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وهو ممّن «أفلت من وقعة فخ، ومعه مولى يقال له راشد فخرج في جملة حاج

(١) ن. م: ٤٠٤.

(٢) ن. م

مصـــر وافريقية، وكان إدريس يخدمه ويأتمر له حتّى أقدمه مصر، فنزلها ليلاً فجلس على باب رجل من موالي بني العبّاس فســمع كلامهمــا وعرف الحجازية فيهما، فقــال: أظنّكما عربيين، قالا: نعم، قال: وحجازيين، قالا: نعم، فقال له راشــد: أُريــد أن ألقي إليك أمرنــا على أن تعاهد الله أنّك تعطينا خلّة من خلّتين: إمّا أن تؤمننا، وإمّا سترت علينا أمرنا حتّى نخرج من هذا البلد.

قال: افعل: فعرّفه نفســه وإدريس بن عبد الله، فآواهما وســترهما، وتهيّأت قافلة إلى افريقية فأُخرج معها راشــد إلى الطريق وقال له: إنّ على الطريق مسالح ومعهم أصحــاب أخبار تفتش كلّ من يجوز الطريق، وأخشــى أن يعرف، فأنا أمضي به معي على غير الطريق حتّى أُخرجه عليك بعد مســيرة أيّام، وهنا تنقطع المســالح، ففعــل ذلك وخرج به عليه، فلمّا قرب من افريقية ترك القافلة، ومضى مع راشــد حتّى دخل بلد البربر في مواضع منه، يقال لها فاس وطنجة، فأقام بها واســتجابت له البربر[1].

واستجابة البربر لإدريس يفسّــره طاعة المسلمين حتّى الذين لم يلتقوا بالعلويين، فإنّهم يحملون لهم الولاء والحبّ وداعي النصرة، فضلاً عن حالة الاستنكار والرفض التي يحملها هؤلاء البربر وغيرهم للعبّاسيين وهارون الرشيد خاصّة.

إنّ تأســيس دولة الأدارســة في بلاد المغرب العربي في مقابل الدولة العبّاسية هي حالة من حالات الرفض للوجود العبّاســي، ومحاولة لكبح جماح السطوة العبّاسية التي أخذت بخناق الأُمّة، كما أنّ تأســيس هذه الدولة العلوية هي رســالة مهمّة لهارون تنذره بالرفض الذي يعصف بكيانه، وإمكانية آل علي من تأسيس دولة في أي جناح من الرقعة الإسلامية الممتدّة إلى أقاصي الغرب العربي.

(١) المصدر السابق: ٤٠٦.

العقدة العبّاسية:

لم ينجح الرشـيد في إسكات الصوت الثوري الذي ينطلق بين الحين والآخر من بين تراكمات القهر والحرمان، ولم يسـتطع إيقاف المـدّ الثوري الإصلاحي الذي يتبنّـاه آل أبي طالب، ولم يتخـلّ الطالبيون عن المحرومـين أُولئك الذين لم يجدوا ملجأً سـوى العلويين الذين أخذوا على عاتقهم برامـج التغيير، حيث صيحات الاحتجاج تتوالى من هنا وهناك، والأُمّة مصرّة على التغيير، فحكّامها اليوم لم يمثّلوا طموحاتهم، والحقوق المغموطة لم تحقّقها إلّا المطالبات الثورية التي تتصاعد وتائرها يومـاً بعد آخر، واضطرّ الثوريون إلى شـرعنة تحركاتهم من خـلال اختيار القيادة الشـرعية، ولم يكن أحد يمثّل شـرعية الثورة سـوى العلويين الذين رفعت لافتات التغيير باسمهم، حيث اسـتغلّ العبّاسـيون مظلومية العلويين ليرفعوا شعار التغيير، فلمّا أُديلت دولة الأمويين إلى العبّاسيين تنكّر هؤلاء إلى العلويين الذين هم عنوان التغيير كما أنّهم عنوان الإصلاح، بل لم يتركهم العبّاسـيون إلّا في سجون مظلمة وطوامير مرعبة، وتتوالى رغبات الحاكم العبّاسـي في تنفيذ سياسة الإقصاء والإلغاء للعلويين، حتّى امتلأت سـجونهم بآل أبي طالب، ولم يخرج أحدهم من سجنه إلّا جثّة هامدة ينفذ بها الحقد العبّاسـي الدفـين، ولم تقف هذه الحملات عند حدّ، بل صارت هي السياسـة العامّة للدولة، ولم يسـتطع أحد إيقاف هذه الحملات الظالمة ضدّ أُناس آمنين لم يشتركوا في تمرّد ولم يحثوا على عصيان، ولم يستطع أحد أن يفسّر أسـباب تصاعد النقمة العبّاسية ضدّ الطالبيين سوى عقدة النقص التي يستشعرها العبّاسيون حيال العلويين، فبنو العبّاس يراقبون الأحداث عن كثب فلا يجدون إلّا توجّه الناس لآل علي، ففيهم العلم والزهد والورع والتقوى والشـجاعة والعطاء، وكلّ ما من شـأنه أن يؤهّلهم للقيـادة، ويدبّرهم للخلافة، ولم يجدوا من العبّاسيين إلّا العبث واللهو والمجون، وأخذ حقوق الناس بغير حقّ، والمقارنة تتكرّر في كلّ يوم، والعبّاسـيون محرجون من هذه النظرة التي تصنّفهم في عداد الظالمين، وتجعل آل علي أُولئك المظلومين الذين يضطهدهم خصماؤهم دون حقّ في مصافي

القدوة المعصومة، ولم تزل هذه المشاهد تتكرّر وأخبارها تصكّ أسماع الخليفة الذي بات يفقد شرعيته التي ادّعاها إبّان الثورة على الأمويين، وتتضخّم هذه العقدة يوماً بعد آخر، وأقصد بها عقدة النقص التي يعاني منها العبّاسيون، وستنعكس هذه العقدة على جملة شؤونهم، وتصرّفاتهم خصوصاً وهم يتابعون حركة العلويين باتّجاه الإصلاح العام، الذي بات هاجس الأُمّة بكلّ قطاعاتها.

إذن ستشكّل هذه الحالة تراجعاً في التأييد الشعبي للعبّاسيين، وفي المقابل أعطت مثل هذه الحالات زخماً يدفع التأييد الشعبي للعلويين، وستشكّل هذه الظاهرة حالة إحباط عبّاسي يعانيها الخليفة في كلّ تحرّكاته، ومن هنا لابدّ أن تطفو عقدة النقص على تعاملات الخليفة مع العلويين، وسينفذها في السجون المنتشرة في أنحاء مملكته، وسيكون حظّ العلويين من هذه السجون الأوفر على الإطلاق، عندها لم نتفاجئ بإجراءات الخليفة في تنفيذ رغباته الانتقامية بزجّ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في سجون الدولة دون مبرّر قانوني شرعي، وستنال هذه السجون القسط الأكبر من حياة الإمام في إجراء احترازي تعسّفي يرتكبه هارون الرشيد، وليحقّق أُمنياته في استتباب الأمن من خلال زجّ الإمام الكاظم في سجونه المتكرّرة، كما تخيّله هارون الرشيد، وبالفعل نفّذ رغباته في سجن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام وتكرّر ذلك كما سيأتي.

السجون المتكرّرة:

ولم يكد هارون يقرّ له قرار حتّى أخذ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام مسجوناً إلى حيث تنتهي هذه السجون المظلمة به إلى نهاية موحشة، يفارق فيها الإمام الدنيا مظلوماً مضطهداً، ولم يودع الإمام في سجن واحد، بل تكرّرت سجونه حسب فترات مختلفة، تتراوح مددها بين عام وأكثر، أو قلّ من ذلك وأكثر، ولعلّ هذا

التعدّد من السجون يعود إلى أسباب مختلفة تشترك فيها ظروفاً غير متكافئة تتعلّق بالــرأي العام مرّة، أو بالســجّانين أُخرى، أو بمعجزة تحــدث للإمام ترغم هارون للتنازل عن قراره.

وهكذا كانت هي حياة الإمام في ســجون العبّاســيين تؤكّد حقيقة مهمّة، وهي أحقّية الإمام موســى بن جعفــر عليهما السلام وانهزامية النظام وقلقــه، ولعلّ هارون مثّل القسط الأكبر من الفراغ الشرعي الذي كان يعانيه العبّاسيون، واستولى على هارون بطريقة بشعة نفّذ فيها انتقامه وتسلّطه.

أسباب السجون المتكرّرة:

وإذا كان الأمر كذلك فلابدّ أن نبحث عن أسباب هذا الاضطهاد المتكرّر الذي مارسه هارون بحقّ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام وسنقف على بعض منها:

أوّلاً: الولاء الشــعبي للإمام موســى بن جعفر عليهما السلام والاعتقاد بأحقّيته للخلافة، وإبعاده عن حقوقه شــكّل شــعوراً عاماً بمظلوميته، واســتنكاراً شديداً لتعاملات العبّاســيين مع الإمام دون مبرّر، وهو ما أشارت إليه رواية النوفلي في إلقاء القبض على الإمام من قبل الرشيد حين قال الراوي: «وأقبل الناس من كلّ جانب يبكون ويصيحون..» وخروجه بالإمام ســرّاً، وأنّه جعل قبّتين أحدها ســيّرها إلى الكوفة، والأُخــرى إلى البصرة ليخفي معلومات وجود الإمام موســى بن جعفر عليهما السلام لئلّا يتحرّك الناس لمحاولة تخليصه من ســجن هارون، وهذا يكشف عن النقمة الشعبية ضــدّ هارون وما يكنّه الناس من محبّة واعتقاد للإمام موســى بن جعفر عليهما السلام، لذا فقد دفع هارون إلى أن ينقل الإمام من سجن إلى سجن لأدنى احتمال تحرّك شعبي باتّجاه إنقاذ الإمام من براثن السجون العبّاسية الظالمة.

وقد كان الرفض الشعبي لحكومة هارون وحبّ الناس للإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وتداول ذلك بشكل علني أربك هارون ودعاه إلى اتّخاذ اللازم كما يرى في تطويق الأزمة، وجعل موسى بن جعفر عليه السلام تحت الاقامة الجبرية خارج السجن، أو تحت الظلم والاضطهاد وهو قابع في مطامير السجون، ولم يكد ينفكّ عن عقدة النقص وهي تتعاظم في داخله، كلّما تعاظمت مشاعر الناس حيال الإمام بالمحبّة، بل بالفداء والتضحية و «لقد كان هارون يقظاً، فكان يخرج بغير زيّه متنكّراً ليسمع أحاديث العامّة، ويقف على اتّجاهاتهم ورغبتهم، فكان لا يسمع إلّا الذكر العاطر للإمام والثناء عليه، وحبّ الناس له، ورغبتهم في أن يتولّى شؤونهم فلذلك أقدم على ارتكاب الموبقة، وأنهى به الحرص والحقد إلى قتله له»[1].

ثانياً: شهدت سجون الإمام الكاظم تعاطفاً واضحاً مع الإمام من خلال ما كان السجّانون له يوسعون عليه، ويمتنعون عن الضغط عليه، بل وقتله كذلك، فهذا عيسى بن أبي جعفر يكتب للرشيد في إعفائه عن سجن الإمام لتحرّجه من ذلك، وسلوكية الإمام تهيمن على عيسى، ولم تبق له عذراً في سجنه، والتضييق عليه حتّى أنفذ إليه برسالة جاء فيها في شأن سجن الإمام: «أن خذه منّي وسلّمه إلى من شئت، وإلّا خلّيت سبيله، فقد اجتهدت بأن أجد عليه حجّة، فما أقدر على ذلك، حتّى أنّي لأتسمّع عليه إذا دعا، لعلّه يدعو عليّ أو عليك، فما أسمعه يدعو إلّا لنفسه، يسأل الرحمة والمغفرة»[2].

ولم يستطع الرشيد أن يودع الإمام في سجن عيسى حتّى نقله إلى سجن الفضل بن الربيع ببغداد «فبقي عنده مدّة طويلة، وأراده الرشيد على شيء من أمره فأبى، فكتب بتسليمه إلى الفضل بن يحيى»[3] ولم يتغيّر حال هؤلاء السجّانين، بل وسّعوا على الإمام ولم يمتثلوا لأمر هارون في تنفيذ قتله، حتّى أدّى بالفضل بن يحيى إلى

(١) حياة موسى بن جعفر عليه السلام دراسة وتحليل باقر شريف القرشي ٢: ٤٥٠.
(٢) البحار ٤٨: ٣٣٣.
(٣) المصدر السابق.

غضب الرشـــيد عليه ونقمته إيّاه، فجلده السندي بن شـــاهك بأمر الرشيد بمائة ســـوط، وفي ذلك يروي المجلسي هذه الحادثة فيقول: «فكتب بتسليمه إلى الفضل بن يحيى فتســـلّمه منه وأراد ذلك منه فلم يفعل، وبلغه أنّه عنده في رفاهية وســـعة، وهو حينئذ بالرقّة.

فأنفذ مســـرور الخادم إلى بغداد على البريد، وأمره أن يدخل من فوره إلى موسى بـــن جعفر عليهما السلام فيعـــرف خبره، فإن كان الأمر على ما بلغـــه أوصل كتاباً منه إلى العبّاس بن محمّد وأمره بامتثاله، وأوصل منه كتاباً إلى الســـندي بن شـــاهك يأمره بطاعة العبّاس.

فقـــدم مســـرور فنزل دار الفضل بن يحيى لا يدري أحـــد ما يريد، ثمّ دخل على موسى بن جعفر عليهما السلام فوجده على ما بلغ الرشيد، فمضى من فوره إلى العبّاس بن محمّد والســـندي فأوصل الكتابين إليهما، فلم يلبث الناس أن خرج الرسول يركض إلى الفضل بن يحيى فركب معه، وخرج مشدوهاً دهشاً حتّى دخل على العبّاس فدعا بسياط وعقابين فوجّه ذلك إلى السندي، وأمر بالفضل فجرّه ثمّ ضربه مائة سوط، وخرج متغيّر اللون خلاف ما دخل، فأذهبت نخوته، فجعل يسلّم على الناس يميناً وشمالاً..»[1] وهكذا تعاقبت الســـجون على الإمام موســـى بن جعفر عليهما السلام، إذ لم يجد الرشيد من يتّفق معه على تضييق سجن الإمام أو إيذائه، لما وجدوه من عبادة ودعاء لا ينقطعان.

ثالثاً: كان للمعجزات التي تظهر للإمام وهو في ســـجنه أثرها الكبير على معاناة هارون في تنفيذ رغباته في حبس الإمام وتصفيته أخيراً، فقد أحسّ هارون بالإحراج الشديد الذي كان يلازمه طيلة فترة سجن الإمام، وكان يعبّر عن إحراجه هذا بيث ما يعتلج صدره من هموم في تفاقم النقمة عليه بســـبب ســـجن الإمام، وكان ذلك

(١) المصدر السابق ٤٨: ٣٣٣.

شعور خاصّته وتحسّسهم بحريجة الموقف.

فقد روى المجلسي عن محمّد البرقي عن محمّد بن غياث المهلبي قال: لمّا حبس هارون الرشيد أبا إبراهيم موسى عليه السلام وأظهر الدلائل والمعجزات وهو في الحبس تحيّر الرشيد، فدعا يحيى بن خالد البرمكي فقال له: يا أبا علي أما ترى ما نحن فيه من هذه العجائب، ألا تدبّر في أمر هذا الرجل تدبيراً تريحنا من غمّه، فقال له يحيى بن خالد: الذي أراه يا أمير المؤمنين أن تمتنّ عليه، وتصل رحمه، فقد والله أفسد علينا قلوب شيعتنا، وكان يحيى يتولّاه، وهارون لا يعلم إلى آخر الرواية[1]. ولنا مناقشة مع هذه الرواية في تشيّع البرامكة، تأتي في محلها إن شاء الله تعالى.

رابعاً: كان تنقّل الإمام الكاظم عليه السلام من سجن إلى سجن إجراء احترازي على ما يبدو، فبالإضافة إلى الأسباب التي ذكرناها، ترى أنّ هارون مدفوعٌ مع هذه الأسباب السالفة إلى تغيير أماكن الإمام للتعمية على وجوده، ولئلّا تكون أيّة حركة شعبية تعمل على خلاصه من السجن، فبإمكان هذه القوى الشعبية أن ينفذ صبرها على السكوت لتتحرّك على سجن الإمام وتخلّصه عنوة، ولعلّها كانت تتلقّى أوامرها عن الإمام بعدم أي تحرّك في هذا الاتّجاه، حفاظاً على الدماء من أن تراق، ولئلّا يكون لهارون حجّة في تصفية شيعة الإمام.

خامساً: حذر الرشيد من تأثير الإمام على خاصّته والإذعان لإمامته، والقول بأحقّيته لما كان يرى سادة البلاط وغلمانهم من عظمة الإمام في عبادته وهديه وسمته، وقد وقفنا على بعض ذلك حيث كان مسؤلو السجون وهم وزراء هارون يذعنون لمقامات الإمام وشأنه، ومعاقبة بعضهم في التعاطف مع الإمام، وهو ما أقلق الرشيد حقّاً، فاتّخذ إجراءات التنقّل من سجن إلى سجن كما هو معروف.

سادساً: الامعان في أذى الإمام، فتنقّلاته بين السجون هو من أزعج الإجراءات

(١) المصدر السابق ٤٨: ٢٣٠.

التي يتّخذها هارون في هذا الشـأن وإقـلاق الإمام هي أحد منافذ أحقاد هارون وتشفّيه.

سـابعاً: التنكيل بشـيعة الإمام حيث متابعتهم لأخبار الإمام عليه السلام في سجون الرشـيد، وتنقّلاته بين السجون سيعطي رسـالة واضحة للقواعد الشيعية بدموية النظام وبطشه.

ثامناً: إنّ التحرّكات الثورية ضدّ الرشيد سيخفت وهجها حينما تتلقّى من الرشيد رسـالة التنكيل بأهمّ شخصية علوية، وستؤدّي هذه التنقّلات للإمام بين سجون النظام إشـارة واضحة على قـوّة النظام، وبالمقابل الإحباط الذي ستعيشـه هذه التمرّدات الشعبية وهي تراقب عن كثب أحوال الإمام في سجون الرشيد الدموية.

هذه جملة من أسـباب السـجون المتكرّرة ودواعي تنقّلات الإمام من سجن إلى سـجن، ولعلّ دواع أُخرى أغفلها التاريخ، أو أغفلتها تحقيقاتنا سـتجد الدواعي الأُخرى طريقها في بحوث أُخرى إن شاء الله.

عزلة هارون:

وقد نفّذ هارون رغبته في سـجن الإمام وأظهر أحقاده في التنكيل به وهو ينقله من سـجن إلى سـجن؛ لينفّذ به حقده وغيظه، وكلّما طالت مدّة سجن الإمام موسـى بن جعفر عليهما السلام زادت دواعـي هارون في نقمته، وتعدّدت أسـباب هذه الدواعـي، بل صارت هذه السـجون هواجس هارون في ضعفه وشـعوره بالعزلة التامّة، حيث يجد أنّ أهل القصر مستوحشون لإجراءات هارون التعسّفية، ويقف بنفسـه على تعاطفهم مع الإمام الكاظم، ورغبتهم في إطلاق سراحه، وكان يجول

في خلده أمراً يبعث فيه الرغبة في زيادة النقمة والتنكيل، إلّا أنّه ظنّ يسـرّ تنفيذه وتنجيزه، لكنّه اصطدم بصلابة موقف الإمام وعدم تنازله ولو كلّفه ذلك نفسـه، وبالفعل فقد نفّذ هارون نقمته في الإمام ثأراً لخيلائه، وحرصاً على غروره، وهو يجد نفسـه معزولاً محاطاً بمعارضيه في الرأي، ومناوئيـه في القرار، وكانت آخر محاولاته تنفيـذ ما عزم عليه اعتذار الإمام، وطلب العفو مـن هارون، وهو أمر محزن كما هو مناف للقيم التي فقدها هارون، فالإمام بالرغم من مظلوميته فضلاً عن مقامه وشأنه، إلّا أنّ موقفه لا يعني نفسه مع عظمتها وجلالها، لكنّه يمثّل منصباً إليهاً لا يدانيه شيء، وهو منصب الإمامة ولا يمكن لمثل هذا المقام أن يساوم على المبادئ للتخلّص من القتل والهلاك، فقد دعا هارون بعد تفاقم الأزمة في أحد الأيّام يحيى بن خالد البرمكي إليه وكلّفه بأمر لم يقو على حصوله، فعن محمّد البرقي عن محمّد بـن غياث المهلبي قال: لمّا حبس هارون الرشـيد أبا إبراهيم موسـى عليه السلام وأظهر الدلائل والمعجزات وهو في الحبس تحيّر الرشيد، فدعا يحيى بن خالد البرمكي فقال له: ياأبا علي أما ترى ما نحن فيه من هذه العجائب، ألا تدبّر الأمر في هذا الرجل تدبيراً تريحنا من غمّه.

فقال له يحيى بن خالد: الذي أراه لك ياأمير المؤمنين أن تمتنّ عليه، وتصل رحمه فقد والله أفسد علينا قلوب شيعتنا، وكان يحيى يتولّاه، وهارون لا يعلم ذلك، فقال هارون: انطلق إليه وأطلق عنه الحديد وأبلغه عنّي السلام وقل له: يقول ابن عمّك أنّه قد سبق منّي فيك يمين أنّي لا أُخلّيك حتّى تقرّ لي بالإساءة وتسألني العفو عمّا سلف منك، وليس عليك في إقرارك عار ولا في مسألتك إيّاي منقصة، وهذا يحيى بن خالد هو ثقتي ووزيري وصاحب أمري فسله بقدر ما أخرج من يميني وانصرف راشداً.

قال محمّد بن غياث: فأخبرني موسى بن يحيى بن خالد أنّ أبا إبراهيم قال ليحيى: ياأبا علي أنا ميت، وإنّما بقي من أجلي أسبوع، أُكتم موتي وائتني يوم عند الزوال،

وصـــلّ عليّ أنت وأوليائي فرادى، وانظر إذا ســـار هذا الطاغية إلى الرقّة وعاد إلى العراق لا يراك ولا تراه لنفســـك، فإنّي رأيت في نجمك ونجم ولدك أنّه يأتي عليكم فاحذروه، ثمّ قال: يا أبا علي أبلغه عنّي يقول موسى بن جعفر عليه السلام: رسولي يأتيك يـــوم الجمعة فيخبرك بما ترى، وســـتعلم غداً إذا جاثيتـــك بين يدي الله من الظا لم والمعتدي على صاحبه والسلام..[1].

لذا فقد حاول هارون أن يجرّب آخر ورقة يستخدمها ضدّ الإمام لإطلاق سراحه بعد الاعتذار وطلب العفو وسيحصل هارون على عدّة مكاسب أهمّها:

أوّلاً: التخلّص من الإحراج الذي سببه سجن الإمام، والتخلّص منه بما يحفظ ماء وجهه، ليظهر قوّته السياسية وإرادته في تنفيذ بطشه بمعارضيه.

ثانياً: فكّ العزلة التي عاناها هارون من خلال ســـجن الإمام، إذ يشـــعر بعزلته ووحدته في هذا الشـــأن، حيث جميع الآراء القريبة منه والبعيدة إليه تخالفه في هذا الأمر.

ثالثاً: استغلال هذا التنازل إلى إحباط الجهد الشيعي الآخذ بالازدياد، بل القوّة، طالما ينتاب الشيعة الشعور بالمظلومية، وتغييب قائدهم يدعوهم إلى تنظيم أنفسهم والالتفاف حول الإمام أكثر من خلال تلقّيهم تعليماته وتوجيهاته.

رابعاً: شلّ حركة الثوّار من خلال الفتِّ في عضدهم، ومصادرة مشروعيتهم بعد اعتذار الإمام عليه السلام لهارون.

خامســـاً: إيقاف حركات التمرّد الشعبي العام من خلال ما سيعرضه هارون من تنازل الإمام واستغلاله إعلامياً، وبذلك ستجد الحركات الثورية حراجة موقفها وهي ترفع شعار مظلومية الإمام، أو تطالب بمظلوميته، وجنايات هارون على الإمام هي

(١) المصدر السابق ٤٨: ٢٣٠.

من أهمّ دواعي الثورة وتحرّكات الثوّار.

سادساً: ستنقلب الكثير من القيم والمبادئ من خلال قراءة هذا الموقف، وسيجد الناس مشـــروعية هارون في الحكم، والتي حاول الحصول عليها دون جدوى بكلّ السبل، ومصادرة جهود الأئمّة الذين سبقوا الإمام الكاظم، وإيقاف جهود الأئمّة الذين بعده، وذلك من خلال إعلان أحقّية هارون ومشروعيته.

سابعاً: إيقاف مشروع الأئمّة جميعاً وإلغاؤه وهو فرض الحقّ الإلهي المتمثّل بالإمام الحاضر، واستبداله بمشروع عبّاسي، بل وإنعاش المشروع الأموي من قبل، والشطب على كلّ الدماء المراقة ظلماً من قبل الظالمين.

ثامناً: ســينقل التاريخ لنا قراءته المقلوبة عن مجريات الأحداث، وسيعطي صورة سيّئة معكوســة عن أحقّية العبّاسيين دون أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وانّ أهل البيت إنّما قاتلوا من أجل منافسة العبّاسيين على الحكم، وبذلك سيكون هذا الاعتذار.. لو حصل من الإمام سيكون حجّة رخيصة لذوي الأهواء والأغراض المنحرفة.

هذه بعض مكاســب هارون لو تنازل الإمــام بالاعتذار وطلب العفو، ممّا دعى الإمام أن يضحّي بنفســه الشريفة دون تحقيق هذه المكاسب وغيرها لهارون ولغيره من الوجودات العبّاسية.

تشيّع البرامكة في الميزان:

هــذا العنوان لم يتداوله الباحثون مع ضرورتــه وأهميّته، ولعلّ التجاذبات الفكرية في هذا الشــأن دعا الباحثين إلى عــدم الخوض في ذلك، لكن الأمر بهذه القضية الخطيرة وانعكاساتها على الواقع البحثي لا تدع أحد أن يتجاوز الموضوع، أو يلغيه

مهما كانت تداعيات النتائج المترتّبة على البحث، ولابدّ أن تقف الآن وقفة تأمّل في روايات دعت الباحثين إلى الحيرة فعلاً، فمنها يؤكّد على تشيّع البرامكة ويصرّح بقولهم بإمامة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وبعض الروايات تحمّل مسؤولية ما جرى على الإمام الكاظم ونهايته المروّعة في زنزانات النظام على عاتق البرامكة الذين تمكّنوا من التحشيد ضدّ الإمام الكاظم وما لاقاه من النظام.

وهكذا تتجاذب الروايات فيما بينها، ولابدّ لنا من معالجة هذه الروايات للوصول إلى بعض الحقائق، إذ لم نستطع البتّ ما لم نتعاطَ مع هذه الروايات بموضوعية تلغي معها النتائج القبلية التي تسبق البحث، أو تعزيز النظرة التقليدية التي تترسّخ في ذهن الباحث ليبني مسلّماته على أساسها، وبذلك نتوقّف عند هذه الروايات ونجدولها كالآتي:

روايات في إدانة البرامكة:

أوّلاً: ما رواه الصدوق عن محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، قال: حدّثنا محمّد بن يحيى الصولي قال: حدّثنا أبو العبّاس أحمد بن عبد الله عن علي بن محمّد بن سليمان النوفلي عن صالح بن علي بن عطية قال: كان السبب في وقوع موسى بن جعفر عليه السلام إلى بغداد: انّ هارون الرشيد أراد أن يقعد الأمر لابنه محمّد بن زبيدة وجعله ولي عهده وعبد الله المأمون جعل الأمر له بعد ابن زبيدة والقاسم المؤتمن، وجعل له الأمر من بعد المأمون فأراد أن يحكم الأمر في ذلك، ويشهره شهرة يقف عليها الخاصّ والعام فحجّ في سنة تسع وسبعين ومائة، وكتب إلى جميع الآفاق بأمر الفقهاء والعلماء والقرّاء والأُمراء أن يحضروا مكّة أيّام الموسم فأخذ هو طريق المدينة، قال علي بن محمّد النوفلي: فحدّثني أبي أنّه كان سبب سعاية يحيى بن خالد بموسى بن جعفر عليه السلام وضع الرشيد ابنه محمّد بن زبيدة في حجر جعفر

بن محمّد بن الأشـعث فسـاء ذلك يحيى وقال: إذا مات الرشيد وأفضى الأمر إلى محمّـد انقضت دولتي ودولة ولدي وتحوّل الأمر إلى جعفر بن محمّد بن الأشـعث وولده، وكان قد عرف مذهب جعفر في التشـيّع فأضمر له أنّه على مذهبه، فسرّ بـه جعفر، وأفضـى إليه بجميع أُموره، وذكر له ما هو عليه في موسـى بن جعفر عليهما السلام، فلمّا وقف على مذهبه سـعى به إلى الرشيد، وكان الرشيد يرعى له موضعه وموضـع أبيه من نصرة الخلافة، فـكان يقدّم في أمره ويؤخّـر، ويحيى لا يألوا أن يخطـب عليه إلى أن دخل يوماً إلى الرشـيد فأظهر له إكراماً، وجرى بينهما كلام مزية جعفر لحرمته وحرمة أبيه فأمر له الرشـيد في ذلك اليوم بعشـرين الف دينار، فأمسك يحيى عن أن يقول فيه شيئاً حتّى أمسى، ثمّ قال للرشيد ياأمير المؤمنين قد كنت أخبرتك عن جعفر ومذهبه فتكذب عنه وهيهنا أمر فيه الفيصل، قال: وما هو، قال: إنّه لا يصل إليه مال من جهة من الجهات إلّا أخرج خمسه فوجّه به إلى موسـى بن جعفر عليهما السلام. ولست أشـكّ أنّه قد فعل ذلك في العشرين الألف دينار التي أمرت بها له فقال هارون إنّ في هذا لفيصلاً، فأرسل إلى جعفر ليلاً وقد كان عرف سـعاية يحيى به فتباينا، وأظهر كلّ واحد منهما لصاحبه العداوة، فلمّا طرق جعفر رسول الرشيد بالليل خشي أن يكون قد سمع فيه قول يحيى وأنّه[1] إنّما دعاه ليقتله، فأفاض عليه ماء ودعا بمسـك وكافور فتحنّط بهما، ولبس بردة فوق ثيابه، وأقبل إلى الرشيد فلمّا وقعت عليه عينه وشمّ رائحة الكافور ورأى البردة عليه، قال: ياجعفر ما هذا؟ فقال ياأمير المؤمنين قد علمت أنّه[2] سعى بي عندك، فلمّا جاءني رسولك في هذه الساعة لم آمن أن يكون قد قرح قلبك ما يقول عليّ فأرسلت إليّ لتقتلني، قال كلّا، ولكن قد خبّرت أنّك تبعث إلى موسـى بن جعفر عليهما السلام من كلّ ما يصير إليك بخمسـه وإنّك قد فعلت بذلك في العشـرين الألف دينار فأحببت أن أعلـم ذلك، فقال جعفر: الله اكبر يا أمير المؤمنين تأمر بعض خدمك يذهب فيأتيك بها بخواتيمها، فأتى بها الرشيد فقال له جعفر: هذا أوّل ما تعرف به كذب

(١) أي هارون الرشيد.

(٢) أي يحيى.

من سعى بي إليك، قال: صدقت يا جعفر انصرف آمناً فإنّي لا أقبل فيك قول أحد، قال: وجعل يحيى يحتال شيء إسقاط جعفر، قال النوفلي: فحدّثني علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي عن بعض مشايخه وذلك في حجّة الرشيد قبل هذه الحجّة قال: لقيني علي بن إسماعيل بن جعفر بن محمّد فقال لي: ما لك قد أخملت نفسك؟! مالك لا تدبّر أُمور الوزير؟ فقد أرسل إليّ.

فعادلته وطلبت الحوائج إليه وكان سبب ذلك أن يحيى بن خالد قال ليحيى بن أبي مريم: ألا تدلّني على رجل من آل أبي طالب له رغبة في الدنيا فأوسع له منها، قال: بلى أدلّك على رجل بهذه الصفة وهو علي بن إسماعيل بن جعفر، فأرسل إليه يحيى، فقال: أخبرني عن عمّك[1] وعن شيعته والمال الذي يحمل إليه، فقال له: عندي الخبر وسعى بعمّه فكان من سعايته أن قال من كثرة المال عنده أنّه اشترى ضبعه تسمّى البشر به بثلاثين الف دينار، فلمّا أحضر المال قال البائع لا أُريد هذا النقد أُريد نقداً كذا وكذا، فأمر بها فصبّت في بيت ماله، وأخرج منه ثلاثين الف دينار من ذلك النقد، ووزنه في ثمن الضيعة، قال النوفلي قال: أبي، وكان موسى بن جعفر عليهما السلام يأمر لعلي بن إسماعيل ثمّ استوحش منه، فلمّا أراد الرشيد الرحلة إلى العراق بلغ موسى بن جعفر عليهما السلام أنّ علياً ابن أخيه يريد الخروج مع السلطان إلى العراق فأرسل إليه مالك والخروج مع السلطان؟! قال لأنّ عليَّ دينٌ فقال دينك عليّ، قال: فتدبير عيالي؟! قال: أنا أكفيهم، فأبى إلّا الخروج، فأرسل إليه مع أخيه محمّد بن إسماعيل بن جعفر بثلاثمائة دينار وأربعة آلاف درهم، فقال له: اجعل هذا في جهازك ولا تؤتم ولدي.

ثانياً: روى الصدوق عن أبيه، قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن محمّد بن عيسى اليقطيني عن حمد بن عبد الله الغروي عن أبيه... في رواية طويلة.. إلى أن قال فيها: بعد ذلك حوّل عليه السلام إلى الفضل بن يحيى البرمكي فحبس عنده

(١) وعمّه موسى بن جعفر عليهما السلام لأنّ إسماعيل أبوه وهو أخو موسى بن جعفر عليهما السلام.

أيّامـــاً، فـــكان الفضل بن الربيع يبعث إليه في كلّ يوم مئـــة حتّى مضى ثلاثة أيّام ولياليهـــا، فلمّا كانت الليلة الرابعة قدّمت إليه مئة للفضل بن يحيى، فرفع عليه السلام يده إلى الســـماء، فقال: ياربّ إنّك تعلم أنّي لو أكلت قبل اليوم كنت قد أعنت على نفسي فأكل فمرض فلمّا كان من الغد جاءه الطبيب فعرض عليه خضرة في بطن، راحته وكان السمّ الذي سمّم به قد اجتمع في ذلك الموضع، فانصرف الطبيب إليهم فقال: والله لهو أعلم ممّا فعلتم به منكم ثمّ توفّي عليه السلام [١].

والرواية تشير إلى مسؤولية الفضل بن يحيى البرمكي عن قتله عليه السلام.

ثالثاً: في البحار عن أحمد بن محمّد عن إبراهيم بن أبي محمود عن بعض أصحابنا قال: قلت للرضا عليه السلام: الإمام يعلم إذا مات؟ قال: نعم، يعلم بالتعليم حتّى يتقدّم في الأمر، قلت: علم أبو الحسن عليه السلام بالرطب والريحان المسمومين الذين بعث إليه يحيى بن خالد؟ قال: نعم، قلت: فأكله وهو يعلم؟ قال: أنساه لينفذ فيه الحكم[٢].

رابعاً: محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن البزنطي عن الرضا عليه السلام:

قال في حديث طويل فلولا أنّ الله يدافع عن أوليائه وينتقم لأوليائه من أعدائه، أمـــا رأيت ما صنع الله بآل برمك وما انتقم الله لأبي الحســـن عليه السلام، وقد كان بنو الأشعث على خطر عظيم فدفع الله عنهم بولايتهم لأبي الحسن عليه السلام [٣].

خامساً: روى الكشي عن محمّد بن الحسن بن بندار القمي بخطّه حدّثني الحسن بن أحمد المالكي قال حدّثني عبد الله بن طاووس في ســـنة ثمان وثلاثين في حديث قال: قلت للرضا عليه السلام: إنّ يحيى بن خالد سمّ أباك موسى بن جعفر عليهما السلام قال نعم،

(١) عيون أخبار الرضا ١: ٨٩.

(٢) البحار ٤٨: ٢٣٦.

(٣) المصدر السابق ٤٨: ٢٤٩.

سمّه في ثلاثين رطبة قلت له فما كان يعلم أنّها مسمومة قال غاب عنه المحدّث، قلت: من المحدّث، قال: ملك أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمّة عليهم السلام وليس كلّما طلب وجد[١].

سادساً: عن محمّد بن الفضيل قال: لمّا كان في السنة التي بطش هارون بآل برمك بدأ بجعفر بن يحيى، وحبس يحيى بن خالد، ونزل البرامكة ما نزل، كان أبو الحسن عليه السلام واقفاً بعرفة يدعو ثمّ طأطأ رأسه فسئل عن ذلك فقال: كنت أدعو الله عزّوجلّ على البرامكة بما فعلوا بأبي عليه السلام، فاستجاب الله لي اليوم فيهم فلمّا انصرف لم يلبث يسيراً حتّى بطش بجعفر ويحيى وتغيّرت أحوالهم[٢].

هذه جملة من الروايات التي تشير إلى مسؤولية البرامكة عن شهادة الإمام الكاظم عليه السلام ودفعهم الرشيد لاتّخاذ مواقف متشدّدة حياله.

إلّا أنّ هناك رواية تشير إلى تشيّع البرامكة للإمام الكاظم أو ميلهم له وهي ما رواه المجلسي عن محمّد بن غياث المهلبي قال: لمّا حبس هارون الرشيد أبا إبراهيم موسى عليه السلام وأظهر الدلائل والمعجزات وهو في الحبس تجبّر الرشيد فدعا يحيى بن خالد البرمكي فقال له: يا أبا علي أما ترى ما نحن فيه من هذه العجائب، ألا تدبّر في أمر هذا الرجل تدبيراً تريحنا من غمّه.

فقال له يحيى بن خالد: الذي أراه لك يا أمير المؤمنين أن تمتنّ عليه، وتصل رحمه، فقد والله أفسد علينا قلوب شيعتنا، وكان يحيى يتولّاه وهارون لا يعلم ذلك..[٣].

وهي الرواية الوحيدة التي أشارت إلى هذا المعنى، مقابل الروايات الكثيرة التي

(١) تنقيح المقال ٣: ٣١٤.

(٢) ن. م

(٣) البحار ٤٨: ٢٣٠ والغيبة للشيخ الطوسي: ١٩.

صرّحت باتّهام البرامكة في قتله، على أنّ الرواية رواها الشـيخ عن محمّد بن خالد البرقي عن محمّد بن غياث المهلبي، ومحمّد بن غياث مشترك بين المجهول والمهمل، وهي لا تعارض الروايات الأُخرى التي تؤكّد اتّهام البرامكة في قتله.

إلّا أنّ هناك بعض الشـواهد التي تشـير إلى تعاطف البرامكة مع العلويين فضلاً عن تعاطفهم مع الإمام الكاظم عليه السلام ومن هذه الشواهد:

أوّلاً: ما ذكره بعض المؤرّخين عن أحد أسـباب تغيّر الرشـيد على البرامكة هو إطلاق سـراح يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن من قبل جعفر البرمكي دون علـم هارون، حيث أراد تعاطف جعفر مع يحيى وأطلق سـراحه دون علم هارون فوجـد عليه هـارون ولم يبدها إلّا بعد حين، والرواية تشـعر بمعرفة يحيى لقناعات جعفر حيث استحلفه في اطلاق سراحه، ممّا يعني أنّ جعفراً مسبوقاً بمواقف أُخرى في مسـاعدة العلويين، وإلّا كيف يعرض يحـيى أمر إطلاقه على جعفر ما لم يعلم بـأنّ جعفر له هوىً علوياً بمقدار مـا، والرواية هكذا أوردها بعض المؤرّخين: قال: وأسباب تغيّر الرشيد على البرامكة كثيرة، فيما أنّ الرشيد سلّم يحيى بن عبد الله بن الحسـن بن الحسن إلى جعفر فحبسه عنده، ثمّ دعا به جعفر فسأله عن شيء من أمره، فأجابه إلى أن قال: اتّق الله في أمري، ولا تجعل خصمك غداً محمّداً رسـول الله صلى الله عليه وآله، فـوالله ما أحدثت حدثاً ولا آويت محدثـاً، فرقّ له جعفر فقال: اذهب حيث شـئت من بلاد الله تعالى، قال: كيف أذهب ولا آمن أن أُؤخذ فأرد إليك أو إلى غـيرك، فوجّه معه من يؤدّيه إلى مأمنه، وبلغ الرشـيد الخبر من عين كانت عليـه فدعا جعفراً ودعا بالغداء فـأكلا وجعل يحادثه وقال: ما فعل يحيى بن عبد الله، قـال: بحاله في الحبس والضيق والقيود، قال: بحياتي، فأحجم جعفر وكان من أصحّ الناس ذهناً وأوضحهم فكراً، فهجس في نفسـه أنّ الرشيد قد علم بما جرى في أمـره فقال: لا وحياتك يـا أمير المؤمنين، أطلقته لما علمت أنّه لا خيانة به ولا مكروه عنده، قال: نعم ما فعلت ما عدوت ما كان في نفسـي، فلمّا خرج جعفر

أتبعه بصره حتّى كاد أن يتوارى عن عينه ثمّ قال: قتلني الله إن لم أقتلك[١].

وللاجابة على ذلك: إنّ الخبر لم يعط تأكيداً واضحاً على تعاطف جعفر مع يحيى لعقيدة جعفر العلوية، بل كان يحيى ناجحاً في إقناع جعفر بعدم ارتكابه جرماً يوجب سجنه ثمّ تعامل معه بإيحاء نفسي باطني حرّك لديه مشاعر الخوف والخشية من عواقب العقاب الأُخروي الذي سيواجهه من النبي صلى الله عليه وآله وقد شارك في دم ذرّيته، ممّا أحدث خوفاً في نفس جعفر دعاه أن يتعاطف مع يحيى.

لكن قد يشكل على ذلك: كون منابع الخوف والشعور لابدّ أن تكون مسبوقة بقناعات معيّنة تساعد على ترسيخ حالة الخوف هذه، وكون جعفر ممّن كان مستعدّاً لقبول مثل هذا الأمر، فضلاً عن أنّ يحيى لديه قناعات سابقة في توجّهات جعفر العلوية ممّا دفعه إلى مفاتحته في الأمر، ولو لم يكن كذلك لكان طرحه للأمر مجازفة تعرّض يحيى للقتل.

وللردّ على ذلك: فإنّ إثارة الهواجس والخوف في النفس لم تكن شرطاً في قبول أمر ما، فلعلّ الظروف الآتية تساعد على خلق أجواء معيّنة، وما كان يعيشه جعفر من أجواء القلق التي تساوره في أمر يحيى وأنّه لم يفعل ما يوجب العقوبة، وأنّ هذه القناعات كان مسبوقاً بها جعفر، أدّى حديث يحيى وطلبه إليه في مساعدته إلى إيجاد قناعات أُخرى في إطلاقه، وليس بالضرورة أن يكون الإنسان مسبوقاً بالإيمان بقضيّة معيّنة لتقوم عليها قناعاته، فربّما القناعات الآنية تساهم في تشخيص قضيّة ما.

على أنّ يحيى لم يكن بالضرورة مقتنعاً بإيمان جعفر في التعاطف معه، بل حاول يحيى أن يقوم بهذا الأمر ولا يتوقّع أكثر من القتل الذي يكون مصيره على يد هارون أو جعفر أو غيرهما، لكن كانت محاولة يحيى إحدى محاولات الدفاع عن النفس التي انتهت بخلاصه.

(١) العيون والحدائق في أخبار الحقائق لمؤلّف مجهول: ٣٠٦.

ثانيـــاً: إنّ الكثير من المؤرّخين يعزون نكبة البرامكـــة إلى العلاقة التي كانت بين جعفر وبين العبّاســـة أخت الرشيد، ممّا أثار حفيظة الرشيد في النقمة من البرامكة جميعاً، وهذا الســـبب يكون دافعاً لهذه النكبة الشـــاملة فيها مـــن المبالغة ومجانبة الحقائق الشيء الكثير، فإذا كان جعفر قد ارتكب أمراً استحقّ عليه العقوبة في نظر هارون فما ذنب بقيّة البرامكة أن يتعرّضوا إلى الإبادة ومصادرة الأموال، فالأمر لا يخلو أن يكون من ورائه توجّهات البرامكة العلوية التي أثارت مخاوف الرشيد فبطش بالبرامكة واستأصلهم جميعاً.

وللإجابة على ذلك:

إنّ علاقة جعفر بالعبّاســـة أُخت الرشـــيد تعدّت حدود الثقة التي جعلها هارون للبرامكة عموماً، ولجعفر خصوصاً، ممّا أثار نقمة الرشـــيد عليهم، وعدم تورّعه في أخـــذ الثأر لعِرضه في إبادة الجميع وأخذهم بجريرة رجل واحد أمر عرف به هارون وغيره، فقد تعرّض العلويون إلى إبادة عامّة بســـبب الخلاف بين الهادي العبّاســـي وبين الحســـين بـــن علي قتيل فخ، فعاقـــب جميع العلويين، وتـــوارث هذه النقمة العبّاســـيون بعد ذلك حتّى وصلت النوبة إلى الرشـــيد ليعاقب يحيى بن عبد الله بن الحســـن بن الحسن بجريرة الحسين بن علي قتيل فخ، وقد تعاقب على ذلك سنين طويلة، فالأمر لدى العبّاسيين خصوصاً في تعميم النقمة على الجميع بسبب جريرة فرد واحد أمر ليس بالجديد، فضلاً عن نوازع كثيرة تراكمت في نفس هارون لاتّخاذ قـــرار الإبـــادة، فلا دخل إذن في عقيدة البرامكة وكونهم شـــيعة دفعت بهارون إلى استئصالهم جميعاً، فهو أمر لم تثبته المراجع التاريخية والشواهد الأُخرى.

والأمر في شـــأن تشـــيّع البرامكة غير ثابت، حيث الروايات التي تؤكّد مسؤولية البرامكـــة في قتل الإمام الكاظم عليه السلام مســـتفيضة، وبعضها صحاح، ولا تعارضها رواية واحدة ضعيفة تشـــير إلى تشيّع البرامكة، فضلاً عن المحتملات المردودة بأدنى تأمّل في تشيّعهم.

والنتيجة:

لم يثبت تشـيّع البرامكة، ولا زالت مسؤولية تنفيذ استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام على أيديهم وبإشـرافهم، من خلال السندي بن شاهك تلقى على عاتقهم، فهم متّهمون في قتل الإمام عليه السلام حتّى يثبت العكس، ولا نقيض للروايات، والشـواهد التي تدين البرامكة في قتل الإمام الكاظم عليه السلام كما هو واضح.

لكنّنـا لا ننكر ما للإمام الكاظم عليه السلام من مقام حـتّى لدى أعدائه، فإنّه عليه السلام فرض عليهم بل وحتّى الرشـيد الإقرار بشـأنه وعظمته، بغضّ النظر عن الخلاف الناشـب بينه عليه السلام وبينهم، ولابدّ أن يكون البرامكة من ضمن أُولئك الذين وقفوا على شخصية الإمام وأحقّيته في الخلافة، لكن نوازع الملك وحرصهم على المناصب دعاهم أن يتنكّروا لأحقّية الإمام.. بل ولمظلوميته كذلك.

ملحمة السجون:

لابدّ من التأكيد على حالات الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام وهو في سجنه الذي فرضـه هارون عليه طيلة حكمه، إلّا أنّ حياة الإمـام كانت حافلة بملاحم غيبية أربكـت مخطّطات هارون في القضاء على شـخصية الإمام، أو حضوره في قلوب الناس، فقد كان المسـلمون يتطلّعون إلى شـخصيته المثلى التي افتقدها الكثيرون في خضم سياسـة العبّاسيين الذين ألغوا دور أهل البيت في تشييد الدور الرسالي، وتأسـيس توجّهات تنسجم وواقع الإسلام الصحيح، في حين تعيش الأُمّة حاضر العبـث والمجون، والظلـم والاضطهاد في ظلّ العبّاسـيين، إلّا أنّ أئمّة أهل البيت

عليه السلام لم يلغ وجودهم حتّى مع تلك الظروف الاستثنائية التي خلقها العبّاسيون في أجواء المطاردة والتنكيل، فلم يكن السجن سبباً في انعزال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن قواعده بل وحتّى عن الأُمّة بمختلف توجّهاتها، بل خلق الإمام الكاظم من السجن مدرسة مثلى تنطلق منه رسالته، ومصدراً مهمّاً يوجّه الأُمّة من خلاله، فعبادته ودعاءه وانقطاعه إلى الله كان مثار تساؤل المقرّبين من هارون عن استحقاق الإمام لهذا الارهاب، ولم يجد هارون في خضم هذا الإعجاب بالإمام من قبل كلّ مقرّبيه إلّا الإذعان لمطالباتهم بالإفراج عنه، أو يجد هارون في كثير من الأحيان إذعاناً لنزواته في التضييق على الإمام، وكلّ ذلك لم يثن الإمام عن عزمه، ولم يغيّر إرادته، وقد استطاع الإمام الكاظم أن يؤسّس مدرسة تنطلق منه وصاياه الرشيدة، ومكارم أخلاقه الحميدة، وبذلك فقد كانت فترة سجن الإمام عليه السلام محنة حقيقية لقطاعات الشيعة المبثوثة في الأرجاء، إلّا أنّها كانت فترة ناصعة انطلقت من خلالها مظلومية الإمام إلى قضيّة بناء وتكامل ثقافي عارم، زعزع أُسس الدولة العبّاسية المتهاوية من تجاذبات سياسية رهينة بظروف الواقع.

ولابدّ أن نقف عند حياة الإمام الكاظم عليه السلام وهو في سجنه من خلال أبعاد متعدّدة:

أوّلاً: البعد الغيبي:

احتلّ الجانب الغيبي من فترة سجن الإمام حيّزاً كبيراً قدّم الإمام الكاظم من خلالها حجّته على ارتباطه الغيبي والدليل على أهليته للخلافة، وكان هارون يتلقّى هذه الصعقات التي توقظه من غفلته ثمّ ما يلبث أن يرجع إلى التضييق على الإمام عليه السلام، ولعلّنا من خلال هذه الروايات سنقف على جانب مهم من محاولات الإمام في إلقاء الحجّة على هارون؛ لردعه عن المضي في مشروع التصفية الخطير الذي

تبنّاه لاستئصال شـيعة الإمام ومطاردتهم. وهذه بعض الروايات الواردة في الشأن الغيبي الذي تميّزت به مرحلة السجن:

أ روى المجلسـي عن علي عن أبيه عن عبيـدالله بن صالح قال: حدّثني حاجب الفضل بن الربيع عن الفضل بن الربيع قال: كنت ذات ليلة في فراشـي مع بعض جواريّ فلمّا كان في نصف الليل سمعت حركة باب المقصورة فراعني ذلك، فقالت الجارية: لعلّ هذا عن الريح، فلم يمض إلّا يسير حتّى رأيت باب البيت الذي كنت فيه قد فتح، وإذا مسـرور الكبير قد دخل عليّ فقال لي: أجب الأمير، ولم يسـلّم عليّ.

فيئست من نفسي وقلت: هذا مسرور ودخل إليّ بلا إذن ولم يسلّم، ما هو إلّا القتل، وكنت جنباً فلم أجسر أن أسأله إنظاري حتّى أغتسل، فقالت لي الجارية: لمّا رأت تحيّري وتبلّدي: ثق بالله عزّوجلّ وانهض، فنهضت، ولبسـت ثيابي، وخرجت معه حتّى أتيت الدار فسـلّمت على أمير المؤمنين وهو في مرقده فردّ عليّ السـلام فسـقطت، فقال: تداخلك رعب؟ قلت: نعم ياأمير المؤمنين، فتركني سـاعة حتّى سـكنت، ثمّ قال لي: صر إلى حبسنا فأخرج موسى بن جعفر بن محمّد وادفع إليه ثلاثين ألف درهم، واخلع عليه خمس خلع، واحمله على ثلاثة مراكب، وخيّره بين المقام معنا أو الرحيل عنّا إلى أي بلد أراد وأحب.

فقلت: ياأمير المؤمنين تأمر بإطلاق موسـى بن جعفر؟ قال: نعم، فكرّرت ذلك عليـه ثلاث مرّات، فقال لي: نعم ويلك أتريـد أن أنكث العهد؟ فقلت: يا أمير المؤمنين وما العهد؟ قال: بينا أنا في مرقدي هذا إذ سـاورني أسـود ما رأيت من السـودان أعظم منـه، فقعد على صدري وقبض على حلقي وقال لي: حبسـت موسـى بن جعفر ظالماً له؟ فقلت: فأنا أطلقه وأهب له، وأخلع عليه، فأخذ عليّ عهد الله عزّوجلّ وميثاقه، وقام عن صدري وقد كادت نفسي تخرج.

فخرجت من عنده ووافيت موسى بن جعفر وهو في حبسه فرأيته قائماً يصلّي فجلست حتّى سلّم ثمّ أبلغته سلام أمير المؤمنين وأعلمته بالذي أمرني به في أمره، وإنّي قد أحضرت ما وصله به، فقال: إن كنت أُمرت بشيء غير هذا فافعله؟

فقلت: لا وحقّ جدّك رسول الله ما أُمرت إلّا بهذا، فقال: لا حاجة لي في الخلع والحملان والمال، إذ كانت فيه حقوق الأُمّة.

فقلت: ناشدتك بالله أن لا تردّه فيغتاظ.

فقال: اعمل به ما أحببت، وأخذت بيده عليه السلام وأخرجته من السجن.

ثمّ قلت له: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني بالسبب الذي نلت به هذه الكرامة من هذا الرجل، فقد وجب حقّي عليك لبشارتي إيّاك، ولما أجراه الله عزّوجلّ على يدي من هذا الأمر.

فقال عليه السلام: رأيت النبي صلى الله عليه وآله ليلة الأربعاء في النوم فقال لي: يا موسى أنت محبوس مظلوم؟

فقلت: نعم يارسول الله محبوس مظلوم، فكرّر عليّ ذلك ثلاثاً ثمّ قال: ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[1] أصبح غداً صائماً، وأتبعه بصيام الخميس والجمعة، فإذا كان وقت الإفطار فصلّ اثنتي عشرة ركعة تقرأ في كلّ ركعة الحمد واثنتي عشرة مرّة قل هو الله أحد، فإذا صلّيت منها أربع ركعات فاسجد ثمّ قل: ياسابق الفوت[2]، ياسامع كلّ صوت، يامحيي العظم وهي رميم بعد الموت، أسألك باسمك العظيم الأعظم أن تصلّي على محمّد عبدك ورسولك وأهل بيته

(١) الأنبياء: ١١١.

(٢) وفي الاختصاص أورد الدعاء في أوّله: اللهمّ ياساتر العيوب وسامع كلّ صوت... إلى آخره. الاختصاص: ٦٠.

الطيبين الطاهرين، وأن تعجّل لي الفرج ممّا أنا فيه، ففعلت فكان الذي رأيت[1].

فالدعاء الذي دعا به الإمام عليه السلام بأمر من النبي صلى الله عليه وآله، كان له نتائجه الغيبية حيث شاهد هارون ذلك الرجل الذي يتوعّده، علماً أنّ الرواية لم تشر إلى ما شاهده هارون في الرؤيا، بل كانت مشاهدته في اليقظة، وهي حالة إعجازية غيبية وقف عليها هارون.

ب ما رواه الصدوق في العيون عن أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني ، قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم قال: حدّثني محمّد بن الحسن المدني، عن أبي عبد الله بن الفضل عن أبيه المفضّل قال كنت أحجب الرشيد فأقبل عليّ يوماً غضباناً وبيده سيف يقلّبه، فقال لي: يا فضل بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله لئن لم تأتني بابن عمّي الآن لآخذنّ الذي فيه عيناك فقلت: بمن أجيئك؟ فقال: بهذا الحجازي، فقلت: وأي الحجازي قال: موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال الفضل: فخفت من الله عزّوجلّ أن أجيء به إليه، ثمّ فكّرت في النقمة فقلت له افعل فقال: آتيني بسوطين وسارين وجلادين، قال فأتيته بذلك ومضيت إلى منزل أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام فأتيت إلى خربة فيها كوخ من جرائد النخل فإذا أنا بغلام أسود فقلت له: استأذن لي على مولاك يرحمك الله، فقال لي: لج فليس له حاجب ولا بوّاب، فولجت إليه فإذا أنا بغلام أسود بيده مقص يأخذ اللحم من جبينه وعرنين أنفه[2] من كثرة سجوده فقلت له: السلام عليك يا ابن رسول الله أجب الرشيد فقال: ما للرشيد ومالي؟ أما تشغله نقمته عنّي؟ ثمّ وثب مسرعاً وهو يقول: لولا أنّي سمعت في خبر عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ طاعة السلطان للتقية واجبة إذا ما جئت، فقلت له: استعد للعقوبة يا أبا إبراهيم رحمك الله، فقال عليه السلام: أليس معي من يملك الدنيا والآخرة؟!

(١) البحار ٤٨: ٢١٣.

(٢) عرنين الأنف: تحت مجمع الحاجبين وهو أوّل الأنف. أوّل كلّ شيء.

ولن يقدر اليوم على سوء بي إن شاء الله تعالى، قال الفضل بن الربيع: فرأيته وقد أدار يده عليه السلام يلوح بها على رأسه عليه السلام ثلاث مرّات، فدخلت على الرشيد فإذا هو كأنّه امرأة ثكلى قائم حيران فلمّا رآني قال لي: يا فضيل، فقلت: لبّيك، فقال جئتني بابن عمّي؟ قلت: نعم، قال: لا تكون أزعجته، فقلت: لا، قال: لا تكون أعلمته إنّي عليه غضبان، فإنّي قد هيّجت على نفسي ما لم أرده، ائذن له بالدخول، فأذنت له، فلمّا رآه وثب إليه قائماً وعانقه وقال له: مرحباً بابن عمّي وأخي ووارث نعمتي ثمّ أجلسه، فقال له: ما الذي قطعك عن زيارتنا؟ فقال سعة مملكتك وحبّك للدنيا، فقال: ايتوني بحقّة الغالية[1] فأُتي بها فغلفه بيده ثمّ أمر أن يحمل بين يديه خلع وبدرتان دنانير فقال موسى بن جعفر عليهما السلام: والله لولا إنّي أرى أن أُزوّج بها من غراب بني طالب لئلّا ينقطع نسله أبداً ما قبلتها، ثمّ تولّى عليه وهو يقول: الحمد لله ربّ العالمين، فقال الفضل: يا أمير المؤمنين أردت أن تعاقبه فخلعت عليه وأكرمته، فقال لي: يا فضل إنّك لمّا مضيت لتجيئني به رأيت أقواماً قد أحدقوا بداري بأيديهم حراب قد غرسوها في أصل الجدار يقولون: إن آذى ابن رسول الله خسفنا به، وإن أحسن إليه انصرفنا عنه وتركناه، فتبعته عليه السلام فقلت له: ما الذي قلت حتّى كفيت أمر الرشيد؟ فقال دعاء جدّي علي بن أبي طالب كان إذا دعا به ما برز إلى عسكر إلّا هزمه، ولا إلى فارس إلّا قهره، وهو دعاء كفاية البلاء، فقلت: وما هو؟ قال قلت: «اللهمّ بك أُساور، وبك أُجادل، وبك أُجاور، وبك أصول، وبك أنتصر، وبك أموت، وبك أحيا، أسلمت نفسي إليك، وفوّضت أمري إليك، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم، اللهمّ إنّك خلقتني ورزقتني، وسترتني عن العباد بلطف ما خولّتني، وأغنيتني، إذا هويت رددتني، وإذا عثرت قوّمتني، وإذا مرضت شفيتني، وإذا دعوت أجبتني، ياسيّدي ارض عنّي فقد أرضيتني»[2].

(١) الحقة: إناء من الذهب أو الفضة توضع فيها الأمتعة الثمينة، وأكثر ما يكون للعطور والأموال خصوصاً فيما يُراد تقديمه هدية من قبل الخليفة أو أهله أو خاصته.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ٧٤.

وإرسال الإمام عليه السلام إلى هارون ظاهر منه أنّه في أحد استدعاءاته المتكرّرة إلى بغداد، حيث استدعي الإمام عليه السلام إلى بغداد قبل وبعد سجنه، والرواية ظاهرها يشير إلى إنظار الإمام في كوخ بالقرب من قصره قبل إدخاله عليه تنكيلاً بالإمام ولشيعته في بغداد، واستصغاراً لهم.

هذه بعض الجوانب الغيبية التي كانت زاخرة فيها حياة الإمام الكاظم عليه السلام وهو في سجنه، وقد أعطت بُعداً مهمّاً في انصياع المقرّبين إلى هارون بجلالة شأن الإمام ومقامه الأقدس، وكان ذلك جزءً من رسالته التبليغية في إثبات أحقّيته وأهليته التي حاول هارون إلغاءها.

ثانياً: البعد العبادي:

لم ينفك الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام عن عبادته في سجنه، بل كان برنامجه العبادي في السجن حافلاً بمشاهدات هارون وأصحابه وهم ينظرون إلى قدّيس يترهّب بين أطباق السجون في ظلمات الليل، يناجي ربّه ويكثر من التضرّع إليه والخشوع في خلواته، ولم يكن هارون سعيداً بما يراه حيث هواجس النقص تحيط به وهو يقضي ليلته بين أحضان المغنّيات، ورنين الكؤوس، وعربدة المجون، وفي الوقت نفسه ينظر أصحابه إلى موسى الإمام عليه السلام المضطهد يتعبّد ويناجي ربّه في صمت ليل مطبق، أخرسته وحشة السجون، حتّى أنّ هؤلاء يزدادون يقيناً بأحقّية موسى الإمام عليه السلام وبطلان دعاوى هارون، والرواية التالية ستوقفنا على جانب من عبادته عليه السلام:

عن علي بن إبراهيم، عن اليقطيني، عن أحمد بن عبد الله القودي، عن أبيه قال دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح فقال لي ادن منّي، فدنوت

منــه حتّى جاذبته، ثمّ قال لي: أشــرف إلى البيت في الدار، فأشــرفت، فقال: ما ترى في البيت؟ قلت: ثوباً مطروحاً، فقال: انظر حســناً، فتأمّلت ونظرت فتيقّنت فقلت: رجل ســاجد، فقال لي: تعرفه؟ قلــت: لا، قال: هذا مولاك، قلت: ومن مــولاي!؟ فقــال: تتجاهل عليّ!؟ فقلت: ما أتجاهل ولكــنّي لا أعرف لي مولى، فقال: هذا أبو الحســن موســى بن جعفر إنّي أتفقّده الليل والنهار، فلم أجده في وقت من الأوقات إلّا على الحال التي أخبرك بها، إنّه يصلّي الفجر فيعقب ســاعة في دبر صلاته، إلى أن تطلع الشــمس، ثمّ يسجد ســجدة فلا يزال ساجداً حتّى تزول الشــمس، وقد وكّل من يترصّد له الزوال فلســت أدري متى يقول الغلام قد زالت الشمس إذ يثب فيبتدئ بالصلاة، من غير أن يجدّد وضوءً فأعلم أنّه لم ينم في ســجوده ولا أغفى، فلا يزال كذلك إلى أن يفرغ من صلاة العصر، فإذا صلّى العصر سجد سجدة فلا يزال ساجداً إلى أن تغيب الشمس، فإذا غابت الشمس وثــب من ســجدته فصلّى المغرب من غير أن يحدث حدثــاً، ولا يزال في صلاته وتعقيبه إلى أن يصلّي العتمة، فإذا صلّى لعتمة أفطر على شوي يؤتى به، ثمّ يجدّد الوضوء ثمّ يســجد، ثمّ يرفع رأســه فينام نومة خفيفة، ثمّ يقوم فيجدّد الوضوء، ثمّ يقوم فلا يزال يصلّي في جوف الليل، حتّى يطلع الفجر فلســت أدري متى يقول الغلام إنّ الفجر قد طلع إذ قد وثب هو لصلاة الفجر فهذا دأبه منذ حوّل إليّ.

فقلت: اتّق الله ولا تحدثنّ في أمره حدثاً يكون منه زوال النعمة، فقد نعلم أنّه لم يفعل أحد بأحد منهم بســوء إلّا كانت نعمته زائلة، فقال: قد أرســلوا إليَّ في غير مرّة يأمرونني بقتله فلم أجبهم إلى ذلك، وأعلمتهم أنّي لا أفعل ذلك ولو قتلوني ما أجبتهم إلى ما ســألوني، فلمّا كان بعــد ذلك حوّل إلى الفضل بن يحيى البرمكي، فحبــس عنده أيّاماً، فكان الفضل بن الربيع يبعث إليه في كلّ ليلة مائدة ومنع أن يدخــل إليه من عند غيره، فكان لا يأكل ولا يفطر إلّا على المائدة التي يؤتى بها، حتّى مضى على تلك الحال ثلاثة أيّام ولياليها، فلمّا كانت الليلة الرابعة قدّمت إليه مائدة للفضل بن يحيى قال: ورفع عليه السلام يده إلى السماء فقال: ياربّ إنّك تعلم أنّي

لو أكلت قبل اليوم كنت قد أعنت على نفسي، قال: فأكل فمرض، فلمّا كان من غد بعث إليه بالطبيب ليسأله عن العلّة، فقال له الطبيب: ما حالك؟ فتغافل عنه، فلمّا أكثر عليه أخرج إليه راحته فأراها الطبيب، ثمّ قال هذه علّتي، وكانت خضرة وسط راحته تدلّ على أنّه سم فاجتمع في ذلك الموضع، قال: فانصرف الطبيب إليهم وقال والله لهو أعلم بما فعلتم به منكم، ثمّ توفّى عليه السلام [1].

وفي العيون: محمّد بن علي بن محمّد بن حاتم، عن عبد الله بن بحر الشيباني قال حدّثني الخوزي أبو العبّاس بالكوفة قال: حدّثني الثوباني قال: كانت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام بضع عشر سنة كلّ يوم سجدة بعد ابيضاض الشمس إلى وقت الزوال، قال فكان هارون ربّما صعد سطحاً يشرف منه على الحبس الذي حبس فيه أبا الحسن عليه السلام، فكان يرى أبا الحسن عليه السلام ساجداً فقال للربيع: ما ذاك الثوب الذي أراه كلّ يوم في ذلك الموضع، قال يا أمير المؤمنين: ما ذاك بثوب وإنّما هو موسى بن جعفر له كلّ يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال، قال الربيع فقال لي هارون: أما إنّ هذا من رهبان بني هاشم، قلت: فما لك فقد ضيّقت عليه في الحبس، قال هيهات لابدّ من ذلك[2].

ثالثاً: البعد الثقافي والفكري:

ولم تنفكّ جهود الإمام الكاظم عليه السلام وهو في سجنه عن تثقيف أصحابه ونشر الوعي المعرفي الذي حرص عليه آباؤه من قبل لبثه في أوساط شيعتهم، فالسجن لم يحجب ثقافة الإمام وفكره من أن يخترقا أسوار السجن ليصلا إلى كلّ من أراد الحقيقة، فقسمة الزمن التي كان يقتنصها أصحابه للوصول إلى الإمام في سجنه أو

(١) أمالي الصدوق ص١٤٦.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج١ ص٩٥.

إيصال رسائلهم إليه قدّم فيها الإمام عليه السلام أروع أُطروحاته وأسّس من خلالها العديد من القيم التي أُنيطت بظروفها لتنتشر مع دواعي الحاجة إليها، ولم تكن مكاتبات أصحابه له عليه السلام تنفكّ عن السؤال عمّا يعتريه من شبهات، كما أنّ مراسلاته لأصحابه عليه السلام لم تبتعد عن الظرف المعرفي السائد الذي يحتاجه أصحابه إليه، لذا فإنّ الإمام الكاظم عليه السلام وظّف سجنه منطلقاً لدور معرفي يأخذ الأُمّة إلى كمالاتها ويوقظها لصحوتها، ويتلامس مع وجدانها وهواجسها.

ولعلّنا سنقف في بعض النصوص على ثقافة المراسلات التي تعاهدها أهل البيت عليهم السلام مع شيعتهم، وكان للإمام الكاظم عليه السلام بصماته الواضحة على هذه الثقافة المعرّفية، وسنقف عند بعض مراسلاته لشيعته ومواليه.

أ عن علي بن سويد قال: كتبت إلى أبي الحسن موسى عليه السلام وهو في الحبس كتاباً أسأله عن حاله وعن مسائل كثيرة فاحتبس الجواب عليّ أشهر ثمّ أجابني بجواب هذه نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله العلي العظيم الذي بعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من في السماوات ومن في الأرض إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة والأديان المتضادّة، فمصيب ومخطئ، وضالّ ومهتد، وسميع وأصم، وبصير وأعمى وحيران، فالحمد لله الذي عرف[1] ووصف دينه محمّد صلى الله عليه وآله أمّا بعد فإنّك امرؤ أنزلك الله من آل محمّد بمنزلة خاصّة، وحفظ مودّة ما استرعاك من دينه[2]، وما ألهمك من رشدك، وبصّرك من أمر دينك بتفضيلك إيّاهم، وبردّك الأُمور إليهم، كتبت تسألني عن أُمور كنت منها في تقية،

(١) عرف ووصف كذا في بعض النسخ، فقوله عرف بتخفيف الراء أي عرف محمّد دينه ووصفه وفي بعض النسخ عزّ ووصف أي عزّ هو تعالى ووصف الخلق دينه محمّد وفي بعض النسخ محمّداً بالنصب فعرف بتشديد الراء والأوّل أظهر بل أصوب.

(٢) حفظ مودّة كأنّه معطوف على قوله منزلة أي جعلك تحفظ مودّة أمر استرعاك وهو دينه ويمكن أن يقرأ حفظ على صيغة الماضي ليكون معطوفاً على قوله أنزلك.

ومن كتمانها في سعة، فلمّا انقضى سلطان الجبابرة وجاء سلطان ذي السلطان العظيم[١] بفراق الدنيا المذمومة إلى أهلها العتاة على خالقهم[٢] رأيت أن أُفسّر لك ما سألتني عنه مخافة أن يدخل الحيرة على ضعفاء شيعتنا من قبل جهالتهم، فاتّق الله عزّ ذكره وخصّ بذلك الأمر أهله، واحذر أن تكون سبب بلية على الأوصياء، أو حارساً عليهم[٣] بإفشاء ما استودعتك، وإظهار ما استكملتك، ولن تفعل إن شاء الله، إنّ أوّل ما أنهى إليك أنّي أنعى إليك نفسي في ليالي هذه، غيره جازع ولا نادم، ولا شاكّ فيما هو كائن، ممّا قد قضى الله عزّوجلّ وحتم، فاستمسك بعروة الدين آل محمّد والعروة الوثقى الوصي بعد الوصي، والمسالمة لهم، والرضا بما قالوا، ولا تلتمس دين من ليس من شيعتك، ولا تحبّنّ دينهم فإنّهم الخائنون الذين خانوا الله ورسوله وخانوا أماناتهم، وتدري ما خانوا أماناتهم، ائتمنوا على كتاب الله فحرّفوه وبدّلوه، ودلّوا على ولاة الأمر منهم فانصرفوا عنهم، فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون.. سألت عمّن حضر ذلك الرجل وهو يغصب ماله ويوضع على رقبته منهم عارف ومنكر، فأُولئك أهل الردّة الأُولى من هذه الأُمّة، فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وسألت عن مبلغ علمنا، وهو على ثلاثة وجوه: ماض وغابر وحادث، فأمّا الماضي فخسر وأمّا الغابر فمزبور، أمّا الحادث فقذف في القلوب ونقرّ في الأسماع وهو أفضل علمنا ولا نبي بعد نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله.

وسألت عن أُمّهات أولادهم، وعن نكاحهم، وعن طلاقهم، فأمّا أُمّهات أولادهم منهنّ عواهر إلى يوم القيامة، نكاح بغير ولي، وطلاق بغير عدّة، وأمّا من

---

(١) أي كنت أتّقي هذه الظلمة في أن أكتب جوابك لكن في تلك الأيّام دنا أجلي وانقضت أيّامي ولا يلزمني الآن التقية وجاء سلطان الله فلا أخاف من سلطانهم.

(٢) المذمومة إلى أهلها لعلّ المراد أنّها مذمومة بما يصل منها إلى أهلها الذين ركنوا إليها كما يقال استذمّ إليه أي فعل ما يذمّه على فعله يحتمل أن تكون إلى بمعنى اللام أو بمعنى عند أي إنّما هي لهم بئست الدار وأمّا للصالحين فنعمت الدار فإنّ فيها يتزوّدون لدار القرار.

(٣) التحرّش الإغراء على الطرد والحرش: الصيد يطلق على الخديعة والمعنى الأوّل هنا أنسب.

دخل في دعوتنا فقد هدم إيمانه ضلاله، ويقينه شكّه، وسألت عن الزكاة فيهم فما كان من الزكاة فأنتم أحقّ به؛ لأنّا قد أحللنا ذلك لكم، من كان منكم وأين كان، وسألت عن الضعفاء فالضعيف من لم ترفع إليه حجّة ولم يعرف الاختلاف فإذا عرف الاختلاف فليس بضعيف، وسألت عن الشهادات لهم فأقم الشهادة لله عزّوجلّ ولو على نفسك والوالدين والأقربين فيما بينك وبينهم، فإن خفت على أخيك ضيماً فلا رادع إلى شرائط الله عزّ ذكره بمعرفتنا، من رجوت إجابته ولا تحصّن بحصن رياء ووال آل محمّد عليهم السلام ولا تقل لما بلغك عنّا ونسب إلينا هذا باطل، وإن كنت تعرف منّا خلافه فإنّك لا تدري لما قلناه، وعلى أي وجه وصفناه، آمن بما أخبرك، ولا تفش ما استكتمناك من خبرك، إنّ من واجب حقّ أخيك أن لا تكتمه شيئاً تنفعه به لأمر دنياه وآخرته ولا تحقد عليه وإن أساء، وأجب دعوته إذا دعاك، ولا تخل بينه وبين عدوّه من الناس وإن كان أقرب إليه منك، وعده في مرضه، ليس من أخلاق المؤمنين الغش، ولا الأذى، ولا الخيانة، ولا الكبر، ولا الخنا، ولا الفحش، ولا الأمر به، فإذا رأيت المشوّه الأعرابي في جحفل جرار فانتظر فرجك ولشيعتك المؤمنين، فإذا انكشفت الشمس فارفع بصرك إلى السماء وانظر ما فعل الله عزّوجلّ بالمجرمين، فقد فسّرت لك جملاً مجملاً، وصلّى الله على محمّد وآله الأخيار[1].

ولابدّ أن نشير إلى أنّ هذا الكتاب هو إحدى مراسلاته في السجن إشارة إلى أنّه عليه السلام لم ينقطع عن شيعته وتعاهده لهم، وأنّ أسوار السجن لم توقف جهوده المباركة، فإنّ مساعيه في رعاية شيعته واستمرارية قيادته للأُمّة من أعظم مراحل تلك الفترة الاستثنائية التي عاشها الإمام وشيعته معاً في مطاردة وتنكيلٍ لإيقاف المدّ الفكري الذي أقضَّ مضاجع الطغاة.

---

(١) الصبح إذا أسفر في أحوال موسى بن جعفر عليهما السلام للشيخ عبدالرسول زين الدين ٢: ٣٧٨ عن الكافي ٨: ١٢٤ والبحار ٧٥: ٣٢٩.

إذن لم يكن سجن الإمام عليه السلام مانعاً من ممارسة قيادته للأُمّة ورعايتها، فقد حوّل الإمام سجنه منطلقاً لمشاريعه التعبوية في استنهاض الأُمّة من واقعها الراكد إلى واقع متحرّك نحو الإصلاح والكمال.

النهاية المفجعة:

ولم ينته السجن دون أن يكون الإمام ضحية الجلّاد الذي طالما تربّص بالإمام واحتال في قتله، وسعى في تصفيته، فكان السجن الرحلة الأخيرة للإمام من دنيا جرّعته الغصص وأذاقته الآلام، ولم يكن هارون منفكّاً عن تدبير قتل الإمام وتصفيته، لكن ما يمنعه هو الوصول إلى تدبير يدفع معه تهمة القتل عن نفسه، خوفاً من العامّة، وتوقّياً لنقمة الأُمّة التي ترى في الإمام المضطهد مظلوميتها وهضم حقوقها، وكانت مشاعر الأُمّة تغلي حقداً على هارون الذي هتك كلّ حرماتها وعبث في مقدراتها، لذا فإنّ هارون كان يبحث عن «أفضل» الطرق في إبعاده عن تهمة تصفية الإمام، ومهما يكن من شيء فإنّ قتل الإمام أياً كان أُسلوبه، وكيفما كانت طريقته، وعلى يد مَنْ، فإنّ الأمر لا يعدو عن هارون في اتّخاذ القرار الحاسم لتصفية الإمام وإنهائه، وكان المؤرّخون انقسموا إلى طوائف في تنفيذ طريقة القتل:

الأُولى: القتل بالسمّ، وقد ذهب إليه الأكثر.

الثانية: قتله خنقاً، وقد ذهب بعضهم.

الثالثة: قتله بوضع الرصاص في فمه، وهي الرواية الشاذّة.

أمّا الطائفة الأُولى:

روى الصـــدوق في العيون عن تميم بن عبد الله بن تميم القرشـــي، قال: حدّثني أبي عن أحمد بن علي الأنصاري عن سليمان بن جعفر البصري عن عمر بن واقد قال: أنّ هارون الرشيد لمّا ضاق صدره ممّا كان يظهر له من فضل موسى بن جعفر عليه السلام، وما كان يبلغه من قول الشيعة بإمامته واختلافهم في السرّ إليه بالليل والنهار خشـــية على نفسه وملكه، تفكّر في قتله بالسمّ، فدعا برطب وأكل منه، ثمّ أخذ صينية فوضع عشرين رطبة وأخذ سلكاً فعركه [أي دلكه] في السمّ وأدخله في سمّ الخياط فأخذ رطبة من ذلك الرطب فأقبل يردّد إليه ذلك السمّ بذلك الخيط حتّى قد علم أنّه قد حصل الســـمّ فيها، فاســـتكثر منه ثمّ ردّها في ذلك الرطب، وقال لخادم له: احمل هذه الصينية إلى موســـى بن جعفر، وقل له: إنّ أمير المؤمنين أكل مـــن هذا الرطب وتنغّص لك بما به وهو يقســـم عليك بحقّـــه لما أكلتها عن آخر رطبة، فإنّي اخترتها لك بيدي ولا تتركه يبقي منها شـــيئاً ولا تطعم منه أحداً، فأتاه بها الخادم وأبلغه الرسالة فقال ايتني بخلال، فناوله خلالاً وقام بإزائه وهو يأكل من الرطـــب إلى آخر ما ورد في الروايـــة حيث لم يؤثّر فيه الرطب وماتت كلية هارون، فقال هارون: ما ربحنا من موســـى إلّا أن أطعمناه جيّد الرطب وضيّعنا سمّنا وقتل كلبتنا، ما في موسى بن جعفر من حيلة.. إلى آخر الرواية[1].

وأخـــذ هارون يتربّص بالإمـــام ويترصّد موارد قتله، وكان قـــرار هارون أن يتولّى أمـــر قتل الإمام الفضـــل بن يحيى البرمكي، وهو ما أورده الصدوق في رواية إلى أن قـــال: فلما كان بعد ذلك حـــوّل عليه السلام إلى الفضل بن يحيى البرمكي فحبس عنده أيّامـــاً، فكان الفضل بن الربيـــع يبعث إليه في كلّ يوم مائدة حتّى مضى ثلاثة أيّام ولياليهـــا، فلمّا كانت الليلة الرابعة قدّمـــت إليه مائدة للفضل بن يحيى، فرفع عليه السلام يده إلى الســـماء فقال: ياربّ إنّك تعلـــم إنّي لو أكلت قبل اليوم كنت قد أعنت على نفسي، فأكل فمرض فلمّا كان من الغد جاءه الطبيب فعرض عليه خضرة في بطن راحته وكان السمّ الذي سمّه به قد اجتمع في ذلك الموضع، فانصرف الطبيب

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، للصدوق ١: ٩٤.

إليهم فقال: والله لهو أعلم بما فعلتم به منكم ثمّ توفّي عليه السلام [١].

علــى أنّ تصريحاً للإمام الكاظم في التأكيــد على سمّه أعلنه أمام نفرٍ من الناس الذي أتى بهم الرشيد ليشهدوا على أحوال الإمام في سجنه، وأنّه يعيش في توسعة وعــدم ضيق، ولم يتعرّض إلى أذى وهي مقدّمــات تبرئة النظام من التورّط في قتله قبل شهادته، إلّا أنّه عليه السلام قال لهؤلاء النفر الذين اجتمعوا في السجن لمشاهدة حالة الإمام قال: أخبركم أيّها النفر: إنّي قد سممت في تســع تمرات، وإنّي أخضر غداً، وبعد غد أموت..[٢].

ولعلّ روايات عدّة تشــير إلى هذا المعنى، وتؤكّد قتله بالسمّ والاغتيال عن طريق الآليات المتوفّرة المعروفة لدى النظام والتي من خلالها يتعاطى مع معارضيه.

أمّا الطائفة الثانية:

وهي ما أشــارت إلى أنّ شــهادته كانت خنقاً على يد خالد بن يحيى البرمكي، وقــد روى حادثة الوفاة أبو الفــرج الأصفهاني في مقاتله ضمن رواية طويلة إلى أن قال: ثمّ خرج يحيى بن خالد بنفسه على البريد حتّى وافى بغداد تمام الناس وأرجفوا بكلّ شــيء، وأظهر أنّه ورد لتعديل الســواد، والنظر في أعمال العمّال، وتشاغل ببعض ذلك.

ثمّ دخل ودعا السندي وأمره فيه بأمره فلفّه على بساط وقعد الفراشون النصارى على وجهه.

وأمر [أي الإمام] السندي عند وفاته أن يحضر مولى له ينزل عند دار العبّاس بن

(١) المصدر السابق ١: ٩٩.

(٢) المصدر السابق: ٩١.

محمّد في مشرعة القصب ليغسله، ففعل ذلك...[١].

وقد روى ذلك المفيد[٢] إلّا أنّه رجّح موته عليه السلام بالسمّ.

الطائفة الثالثة:

وهي نادرة حيث أشارت إلى أنّه مات بعد أن ألقوا في فمه الرصاص.

وهذه الرواية نقلها المستوفي ما لفظه: يقول الشيعة إنّ هارون الرشيد أمر بالرصاص فأُذيب ثمّ صبّ في فمه[٣].

ومهما يكن من شيء فإنّ روايات السمّ هي أكثر من غيرها حيث تولّد اطمئناناً لدى المحقّق في القطع على موته عليه السلام مسموماً ومن المصادر التاريخية التي شهدت على سمّه:

١. الإرشاد للمفيد: ٣٣٩.

٢. مروج الذهب للمسعودي ٣: ٢٧٣.

٣. الفخري لابن الطقطقي: ١٧٢.

٤. التهذيب لشيخ الطائفة الطوسي ٦: ٨١.

٥. مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ٤٣٧.

---

(١) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني: ٣٦٥.

(٢) الارشاد للمفيد: ٣٣٩.

(٣) نقلاً عن الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام للشيخ رسول جعفريان: ٥١٢،

٦. وفيات الأعيان لابن خلّكان ٤: ٣٩٥.

٧. الصواعق المحرقة لابن حجر: ١٢٢.

٨. الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ٢٢٢.

٩. ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي: ٣٦٣.

١٠. البحار للمجلسي ٤٨: ٢٠٧.

هذه الشهادات تؤكّد على أنّ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قضى بالسمّ وهي المشهورة بين أوساط المؤرّخين، بل بين الناس عموماً، وغيرها من شواذ الروايات لا يعوّل عليها.

وهكذا تنتهي حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ولم ينته عطاؤه ولم يتوقّف لسان الذاكرين له، يلهجون به وينشدون مواقفه تلك هي ترانيم قدسية في ملاحم الخلود.

المصادر

١. أحسن التراجم في أصحاب الأمام الكاظم عليه السلام، عبد الحسين الشبستري، معاصر، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام ١٤٠٩.

٢. الإرشاد، المفيد محمد بن النعمان العكبري، ت ٤١٣هـ، دار المفيد/ بيروت ١٤١٤هـ.

٣. إعلام الورى، للعلامة الطبرسي،ت ٥٤٨هـ، منشورات الشريف الرضي – ١٤٢٧.

٤. أمالي الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ت ٣٨١هـ، المطبعة الحيدرية/ النجف ١٩٧٠م.

٥. الإمام الجواد عليه السلام الإمامة المبكرة وتداعيات الصراع العباسي، السيد محمد علي الحلو، معاصر، العتبة الكاظمية المقدسة – مطبعة دار المرتضى– بيروت ٢٠١٢.

٦. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدنيوري، ت ٢٧٦هـ، دار الكتب العلمية ١٤١٨.

٧. الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام وليد الأبواء وشهيد بغداد، الأمانة العامة للعتبة الكاظمية، معاصر، الأمانة العامة للعتبة الكاظمية ١٤٢١.

٨. بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي، ت ١١١١هـ، مؤسسة الوفاء – بيروت ١٩٨٣.

٩. تاريخ الأمم والملوك، أبي جعفر محمد بن أبي جرير الطبري، ت ٣١٠هـ، مكتبة آرومية ١٤٠٤.

١٠. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، ت ٥٧١هـ، دار إحياء التراث العربي ٢٠٠١.

١١. تاريخ الخلفاء للسيوطي، جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، دار الفكر للنشر ٢٠٠١.

١٢. تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت ٧٤٨هـ دار الكتب العلمية ٢٠٠٥.

١٣. تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، د. شوقي حنيف، معاصر، سليمان زادة ١٤٢٧.

١٤. تاريخ الخلفاء، ابن قتيبة الدنيوري، ت ٢٧٦هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٤٢٧.

١٥. تاريخ الطبري، جعفر بن محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠هـ، دار المعارف بمصر ١٩٦٨.

١٦. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن ابراهيم حسن، معاصر، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤.

١٧. تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت ٧٤٨هـ، دار الهلال/ بيروت ٢٠٠٥م.

١٨. تجارب الأمم، أبو علي مكسويه الرازي، ت٤٧١هـ، دار سروش للطباعة والنشر/ طهران (١٣٦٦ ش - ١٩٨٧م).

١٩. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ت ٤٦٣هـ، دار الفكر/ بيروت.

٢٠. تفسير القرطبي، عبد الله محمد بن أحمد، ت ٦٧١هـ، الهيئة المصرية العامة ١٩٧٧.

٢١. تنقيح المقاتل، عبد الله المامقاني، تحقيق: محي الدين المامقاني، ت ١٣٥١هـ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ١٤٢٦.

٢٢. جهاد الشيعة، د.سميرة مختار الليثي، معاصر، دار الجبل- بيروت ١٩٧٨.

٢٣. الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، شيخ يوسف البحراني، ت ١١٨٦هـ، منشورات باقر العلوم ١٣٨٦.

٢٤. حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، باقر شريف القرشي، ت ١٤٣٤هـ، الاعتصام للنشر - ١٤٢٨.

٢٥. حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن عمدة الأخبار في مدينة المختار، الشيخ باقر شريف القرشي، ت ١٤٣٤هـ، انتشارات الاعتصام - ط١/ ١٤٢٨.

٢٦. الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، رسول جعفريان، معاصر، دار الحق/ بيروت ١٩٩٤م.

٢٧. الخرايج والجرايح، قطب الدين الراوندي، ت ٥٧٣هـ، منشورات مصطفوي/ قم.

٢٨. دلائل الإمامة، أبي جعفر بن محمد بن جرير بن رستم، ت ٣١٠هـ، مؤسسة الأعلمي/ بيروت ١٩٨٨م.

٢٩. شذرات الذهب، ابن فلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي، ت ١٠٨٩هـ، دار إحياء التراث العربي ١٩٧٨.

٣٠. الصبح إذا أسفر في أصول موسى بن جعفر عليهما السلام، عبد الرسول عبد السادة زين الدين، معاصر، العتبة الكاظمية المقدسة ٢٠١١م.

٣١. العصر العباسي الأول، د. شوقي حنيف، معاصر، سليمان زادة ١٤٢٧.

٣٢. عصر المأمون، د. أحمد زيد الرفاعي، دار الكتب المصرية/ قاهرة ١٩٢٨.

٣٣. عوالم العلوم موسى بن جعفر عليهما السلام، الشيخ عبد الله البحراني الأصفهاني، ت ١١٣٠هـ، مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه – قم المقدسة ١٤٠٩.

٣٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ت ٣٨١هـ، المكتبة الحيدرية/ قم ١٣٧٨هـ.

٣٥. العيون والحدائق في أخبار الحقائق، مؤلف مجهول، مكتبة المثنى/ بغداد.

٣٦. الغيبة، ابن جعفر ابن الحسن الطوسي، ت ٤٦٠هـ، مطبعة النعمان/ النجف ١٣٨٥هـ.

٣٧. فتح القدير، كمال الدين محمد عبد الواحد، دار إحياء التراث العربي.

٣٨. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني الرازي، ت ٣٢٩هـ، دار الأسرة – ايران ١٤١٨.

٣٩. كتاب بغداد، ابن طيفور، ٣٨٠هـ، دار صادر بيروت.

٤٠. كشف الغمة، أبي الحسن علي بن عيسى ابن أبي الفتح الأربلي، ت ٦٩٣هـ، منشورات الشريف الرضي ١٤٢١.

٤١. كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ت ٣٨١هـ، دار الأعلمي – بيروت ١٤٢٧.

٤٢. مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني، ت ١١٠٧عظ، مؤسسة دار المحجة/ قم ٢٠٠٥م.

٤٣. مروج الذهب، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، ت ٣٤٦هـ، مؤسسة الأعلمي ١٤١١هـ.

٤٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، ٢٤١هـ، دار الفكر للنشر ١٣٧٦.

٤٥. مسند الإمام الكاظم، عزيز الله العطاردي، معاصر، العتبة الكاظمية بغداد ١٤١٣هـ.

٤٦. مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، ت ١٣٥٩هـ، مؤسسة الأعلمي ١٤٢٣.

٤٧. الملتحقون بسفينة النجاة، سماحة السيد محمد علي الحلو، معاصر، مطبعة محمد/ قم ٢٠٠٣م.

٤٨. موسوعة الحضارة العربية العصر العباسي، قصي الحسين، معاصر، دار مكتبة الهلال ٢٠٠٤.

٤٩. الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف (الكويت)، مؤسسة دائرة المعارف ١٤٣٢.

٥٠. الموفقيات، الزبير بن بكار، ت ٢٥٦هـ، عالم الكتب/ بيروت ١٩٩٦م.

٥١. ميزان الاعتدال للذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت ٧٤٨هـ، دار الفكر/ بيروت ١٩٩٩م.

٥٢. مقاتل الطالبيين، أبي فرج الأصفهاني، ت ٣٥٦هـ، مؤسسة الأعلمي ١٩٨٧.

٥٣. مناقب ابن شهراشوب، أبي جعفر محمد بن علي بن شهراشوب، ت ٥٨٨هـ، انتشارات ذوي القربى ١٤٢١.

٥٤. منتهى الآمال، شيخ عباس القمي، ت ١٣٥٩هـ، مؤسسة النشر الإسلامي ١٤١٥.

٥٥. هارون الرشيد حقائق عن عصره وخلافته، عبد الجبار الجومرد، معاصر، مكتبة العمومية ١٣٧٦.

الفهرس

كلمة الناشر ٥
المقدمة ٧
شهيد بغداد ٩
وصي الأوصياء ٣١
خير أهل الأرض ٣٧
علامات الوصاية ٣٨
موسى.. ودور المعجزة ٣٩
معجزة المهد ٤٠
موسى.. آتاه العلم صبياً ٤٢
عالم آل محمد صلوات الله عليهم ٥٠
سخاء الأبناء.. وراثة الآباء ٥٣
كاظم الغيظ ٥٦
العباسيون.. تداعيات المؤامرة ودواعي الانقلاب ٦٠
أبو جعفر المنصور خطيئة المكر وسياسة التحايل ٦١
المهدي العباسي وراثة العداء والتنكيل ٦٢

الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام والخارطة الفدكية ٦٥
الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ونظرية العمران ٦٨
الهادي العبّاسي عهد جديد من التنكيل ٧٠
عداوته للعلويين ٧١
دعاء الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام لدفع غائلة الهادي العبّاسي ٧٣
وراثة طغيان ٧٦
القلق المتزايد ٧٧
هارون العبّاسي.. وانبهار المؤرّخين ٧٩
ابن عساكر في تأريخ دمشق ٨٠
السيوطي في تأريخ الخلفاء ٨١
الذهبي في تأريخ الإسلام ٨٢
موسوعة الحضارة العربية: العصر العباسي لقصي الحسين ٨٣
عبد الجبار الجومرد في كتابه: هارون الرشيد حقائق عن عهده وخلافته ٨٤
الغناء في الشرع الإسلامي ٨٥
فقه البلاط ٨٦
إباحة الغناء لدى فقهاء البلاط ٨٧
حليّة الخمر بحسب فتوى فقهاء البلاط ٨٧

حرمة الغناء عند علماء أهل السنّة ٨٩
أما حرمته عند علماء الإمامية ٩١
لماذا الاعتذار إذن؟ ٩٢
هارون العبّاسي.. انتهاكات الدولة وخروقات الدين ٩٣
الترف العباسي في عصر هارون ٩٤
الزواج الأسطورة ٩٩
الانحلال الأخلاقي.. النتيجة الحتمية ١٠٠
هارون الرشيد انتهاكات أخلاقية وشرعية ١٠٠
الخليفة العباسي وشرب المسكر ١٠٣
هارون وسياسته مع العلويين ١٠٤
الحركات الثورية في عصر هارون ١٠٩
فتاوى قضاة الدولة ١١٥
فتوى أبو البختري ١١٥
فتوى أبو يوسف ١١٦
الإعلام المضاد ١١٩
أدب الارتزاق ١٢٠
الإمام موسى الكاظم وتحديات النظام العباسي ١٢٤

أصحاب الإمام موسى الكاظم عليه السلام ١٢٦
الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام وإعداد المجتمع التضحوي الكامل ١٥٩
تعريف العامل التربوي في حركة الإمام الكاظم عليه السلام ١٦١
أسس التعايش السلمي عند الإمام الكاظم عليه السلام ١٦٣
العلاقات العامة بين تعبدية التعامل وفطرية السلوك ١٦٦
احذروا موجبات الفتن ١٧١
مسائل شتى ١٧٢
المجتمع الكامل ١٧٤
الثورة المتاحة ١٧٥
نهي الإمام عن الثورة لماذا؟ ١٧٦
الإمام الكاظم عليه السلام أو تأثيره على الداخل العباسي ١٧٨
أولاً: زبيدة زوجة هارون الرشيد ١٧٩
ثانياً: اخت السندي بن شاهك ١٨٤
ثالثاً: الفضل بن الربيع ١٨٥
رابعاً: جارية هارون ١٨٧
خامساً: المسيّب بن زهير ١٨٨
سادساً: علي بن يقطين ١٨٨

ردة الفعل بين تحدّيات النظام وواقع حال الأمة ١٨٩
احترازية السجون ومحاولات هارون ١٩٠
الإمام موسى بن جعفر بين تغييبين ١٩١
العلويون مصدر الثورة وتطلّعات الأمة ١٩٩
أولاً: ثورة يحيى بن عبد الله بن لحسن ٢٠٠
ثانياً: حركة إدريس بن عبد الله ٢٠٤
العقدة العباسية ٢٠٦
السجون المتكرّرة ٢٠٦
أسباب السجون المتكرّرة ٢٠٧
عزلة هارون ٢١٢
تشيّع البرامكة في الميزان ٢١٥
روايات في إدانة البرامكة ٢١٦
ملحمة السجون ٢٢٥
اولاً: البعد الغيبي ٢٢٦
ثانياً: البعد العبادي ٢٣٠
ثالثاً: البعد الثقافي والفكري ٢٣٢
النهاية المفجعة ٢٣٦

المصادر ٢٤١

الفهرس ٢٤٧

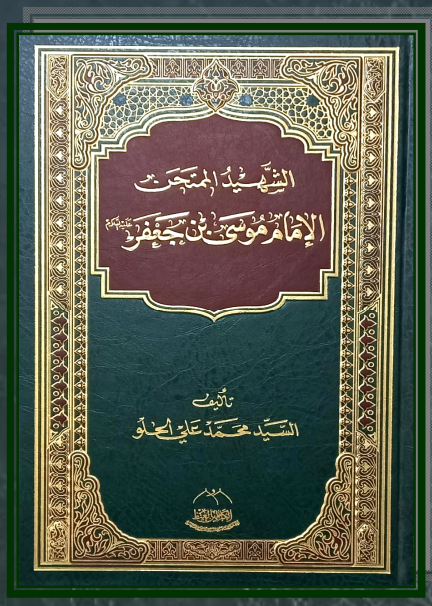
الشهيد الممتحن
الإمام موسى بن جعفر عليه السلام
تأليف
السيد محمد علي الحلو